

سلسلة كتب الدعوة والخطابة

(الكتاب الأول)

الدعوة إلى الإسلام

قواعد وأصول

أ.د/ أحمد عبد الحادي شاهين

أستاذ الدعوة ومقارفة اللاوياء في جامعة الأزهر

وعضو هيئة كبار علماء الجمعية الترحيمية الرئيسية بالقاهرة.

من نور القرآن الكريم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا

وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

سورة فصلت الآية (٣٣).

الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.

رقم الايداع ٧٥٩١ / ٢٠٠١ م. بدار الكتب المصرية.

الطبعة الأولى / سنة ١٤٢٢ هـ.

مقدمة

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه. وبعد... فإن الدعوة إلى الله ﷻ من أسمى الأعمال، وأشرف الرسائل، وذلك لسمو مقصدها، ولشرف غايتها، فهي دعوة إلى الله ﷻ للإيمان به، ولإفراجه بالوحدانية، ولأوامره أن تطبق، فهي ليست دعوة لشخص، ولا لهيئة، ولا لجماعة، ولا لحزب، وإنما دعوة إلى الله ﷻ وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ۗ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ۗ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (٢).

فيجب أن تكون الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، وعبادته وتنزيهه عن كل نقص، فالهدف الأعلى والأسمى هو دلالة الناس على عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (٣).

والدعوة إلى الله ﷻ مهمة الأنبياء والمرسلين، وهي وظيفة أمة خاتم النبيين ﷺ ورسالة الدعاة والمصلحين، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

(١) سورة النحل من الآية (٣٦).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٥).

(٣) سورة الأنفال الآية (٢٤).

﴿الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (١). وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ
أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٢).

والدعوة إلى الله ﷻ عبء ومسئولية ثقيلة، لا ينهض بتبليغها، ولا يتحمل تبعاتها إلا كبار
النفوس، لأنها تتعلق بمصير البشرية ونجاتها من الهلاك والدمار، قال تعالى: ﴿إِنَّا سَأَلْنَا عَلَيْكَ
قَوْلًا تَقِينًا ۝٥﴾ (٣). لذلك فهي تقوم على الاصطفاء والاختيار من الله ﷻ وليس كل إنسان
يصلح للقيام بعبء الدعوة ومسئولية التبليغ، إلا أصحاب الهمم العالية، والعزائم القوية، قال
تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِمَّنَ النَّاسِ ۝٤﴾ (٤).

والداعي إلى الله ﷻ يستمد شرفه من شرف عمله، وعمله أشرف الأعمال على الإطلاق،
فهو يستمد شرفه من الله ﷻ فليس في الوجود كله أسمى وأشرف من الدعوة إلى الله ﷻ. قال
تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٢﴾ (٥).

والمدعوون-على تنوعهم واختلاف مستوياتهم- في أمس الحاجة إلى أن يتعرفوا على هذه
الدعوة الربانية؛ لتخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن المعصية إلى الطاعة، ومن الغفلة إلى
اليقظة، ومن الغي والضلال، إلى الهدى والرشاد، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ
بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٥٦﴾ (٦).

(١) سورة آل عمران من الآية (١١٠).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٩).

(٣) سورة المزمل الآية (٥).

(٤) سورة الحج من الآية (٧٥).

(٥) سورة فصلت الآية (٣٣).

(٦) سورة البقرة من الآية (٢٥٦).



والتحديات التي تواجه الدعوة والدعاة في العصر الحاضر، كثيرة ومتنوعة، وهي تتطلب منا أن نحسن فهم الإسلام، وعرضه وتقديمه في أحسن صورة، وفي أجل حلة.

يقول د/ عصام البشير: (نريد أن نقدم الإسلام للناس، منهجا مرتبطا بالزمان والمكان والإنسان، موصولا بالواقع، مشروحا بلغة العصر، منفتحاً على الاجتهاد والتجديد من أهله في محله، جامعا بين النقل الصحيح والعقل الصريح، مستلهما للماضي، معاشيا للحاضر، مستشرفا للمستقبل، محافظا في الأهداف، متطورا في الوسائل، ثابتا في الكليات، مرنا في الجزئيات، مرحبا بكل قديم نافع، منتفعا بكل جديد صالح، مبشرا في الدعوة، ميسرا في الفتوي، منفتحاً على الحضارات بلا ذوبان، مراعياً للخصوصية بلا انغلاق، ملتصقا بالحكمة من أي وعاء خرجت، مرتبطا بالأصل، متصلا بالعصر)^(١).

فالدعوة الإسلامية التي جاء بها محمد ﷺ هي خاتمة الرسالات السابقة، وهي مهيمنه على ما سبقها من رسالات، في التصديق لما سلم من التحريف، والتصويب والتقويم فيما امتدت إليه أيدي الأحرار والرهبان، بالتغيير والتبديل، فهي رسالة الماضي والحاضر والمستقبل. إنها الرسالة التي امتدت طولا وعرضا وعمقا، لتستوعب الزمان والمكان، وشؤون الدنيا والآخرة.

ودعوة الإسلام في واقعنا المعاصر، إنما هي ثمرة من ثمرات جهاد الصحابة، والسلف الصالح-رضوان الله عليهم- في تبليغ هذا الدين، ونشره في آفاق الدنيا وربوع الأرض، تحملوا الصعاب، وقطعوا الفيافي والقفار، وخاضوا لجح البحار، لاستشعارهم طبيعة الدور المكلفين به، وثقل التبعة الملقاة على كواهلهم.

(١) من كلمة مسجلة للدكتور/ عصام البشير.



والدعوة الإسلامية هي طريق الوصول إلى حياة طيبة كريمة، هنيئة سعيدة، نريد أن نقلها للعالم، ليسعدوا بما فيها من تعاليم وأحكام، ولن يتحقق ذلك إلا بالقيام بواجب تبليغ الدعوة الإسلامية. قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ (١).

وحاجة الناس إلى الهداية والرشاد، أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وقد أدرك الصحابة ذلك فقاموا بدورهم في دعوة الناس على أحسن وجه، وأفضل بيان، فهل لنا أن نسير خلفهم، ونمضي خلف ركبهم، لنصل إلى ما وصلوا إليه من نصر وتمكين، وعزة وسيادة، فنقود البشرية إلى شاطئ الأمان، وبر السلامة.

ونظرا لأن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، فهي تحتاج إلى خطط مرتبة، وجهود منظمة، وسياسة مرسومة، وحكمة واعية، ودراسة جادة، لإعداد الداعي، ومعرفة أحوال المدعويين، ودراسة الوسائل والأساليب الدعوية الناجحة، من أجل الوصول إلى عقول الناس وقلوبهم في سهولة ويسر.

وتبليغ الدعوة يحتاج إلى لسان يتقن أبرز وأهم اللغات العالمية، من أجل ذلك أنشأت جامعة الأزهر كلية اللغات والترجمة، وخصصت قسما للدراسات الإسلامية باللغات المختلفة، تقوم على تعليم الإسلام، وتدرسه للطلاب بشتى اللغات، حتى ينتشر هؤلاء الدعاة في كل بلاد العالم، لتبليغ الإسلام ونشره بلغتهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ (٢).

(١) سورة النحل الآية (٩٧).

(٢) سورة إبراهيم من الآية (٤).

وينبغي العمل بجدية على إعداد الدعاة المؤهلين، الذين يحملون الدعوة، ويسعون إلى تبليغها على علم وبصيرة، في كل المجتمعات البشرية، وتيسير الأسباب المادية والمعنوية، للقيام بهذا الواجب الشرعي، والتركيز على إيفاد الدعاة الموهوبين، الذين لديهم مؤهلات علمية، وقدرات شخصية، حتى يكونوا دعاة خير، وسفراء رحمة للإسلام في خارج دياره، فيؤدوا واجبهم على أحسن حال، وأفضل بيان.

ومن ثم أعددت هذا الكتاب الذي يعتني بعلم الدعوة، من حيث بيان تعريفها وأهميتها، وحاجة الناس إليها، وحكم تبليغها، وحكم من لم تبلغه، وفضل الدعوة، وخصائص الدعوة، وإعداد الداعية من الناحية، الإيمانية، والأخلاقية، والعلمية، والمهارية، ومعرفة أنواع المدعوين وكيفية التعامل مع كل نوع، وكذا مادة الدعوة التي هي رسالة الإسلام ذاته، عقيدة وعبادة ومعاملات وأخلاق.

ومادة الدعوة هي ما يجب تبليغه من الداعي للمدعوين، من الأوامر والنواهي، التي وردت في القرآن الكريم، والسنة النبوية، أو هي رسالة الإسلام التي أرسل الله بها محمد بن عبد الله ﷺ وأمره ومن بعده من الدعاة بتبليغها للعالم كله قَالَ تَعَالَى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١).

فنسأل الله أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، وأن يجعلنا من الذين عناهم بقوله تعالى:

﴿ الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (٣٩) (٢).



(١) سورة آل عمران من الآية (١١٠).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٩).

المبحث الأول: مدخل لعلم الدعوة.

تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً، أهداف الدعوة وأهميتها، حاجة الناس إليها، حكم تبليغها، حكم من لم تبلغه، فضل الدعاة إلى الله، خصائص الدعوة الإسلامية.



الغرض من الدراسة

١- أن يتعرف الدارس على معنى كلمة الدعوة في اللغة والاصطلاح، وكذا كلمة الإسلام والقواعد والأصول، فيفهم معناها ومدلولها، ويعرف الفرق بين الدعوة بمعنى الإسلام، والدعوة بمعنى النشر والتبليغ، حتى يستخدم الكلمة في مكانها وموضعها.

٢- توضيح أهداف الدعوة بين المسلمين وغيرهم، وأنها في حاجة إلى التنسيق والتخطيط والتطوير والتجديد في الوسائل والأساليب، التي تساهم في تقديم الدعوة في أحسن صورة وبيان.

٣- إظهار وتبيين حاجة المجتمعات المعاصرة إلى الدعوة الإسلامية؛ لما تعانيه من عجز في العقول، وتغلب الأهواء والشهوات، واختلاف المدارك، والواقع الصعب الذي يعيشه المسلمون في جميع مناحي الحياة، فيتبين الحاجة الملحة في عودة الناس إلى الإسلام بنظامه الشامل.

٤- بيان حكم تبليغ الدعوة الإسلامية، وأنها واجبة على كل مسلم، على قدر وسعه واستطاعته، وقدراته العلمية، وأن الآيات والأحاديث الواردة في تغيير النكر، هي نفسها تلزم المسلمين جميعاً بوجوب الدعوة والإصلاح.

٥- التمييز بين تلك الفئات المختلفة من المدعويين، حتى لا تختلط على الداعي، فيستطيع أن يضع الأمور في نصابها، ويحكم عليها بميزان الاعتدال والوسطية.

٦- التأكيد على فضل الدعوة إلى الله، بما ورد في القرآن والسنة، وأقوال السلف الصالح والعلماء، فيحرص على أن يكون واحدا منهم، ويحظى بالثواب والأجر المترتب على هذا العمل العظيم، وهو تبليغ الدعوة إلى الناس أجمعين.

٧- أن يتعرف الدارس على خصائص الدعوة الإسلامية، التي هي بمعنى الإسلام، من خلال الأدلة المتنوعة التي تثبت ذلك، وأن الدعوة الإسلامية قد توفر لها من الخصائص والمميزات ما لم يتوفر لغيرها على الإطلاق.



أولاً: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح.

قبل الدخول في الموضوع، تجدر الإشارة إلى التعريف بالدعوة في اللغة، والاصطلاح، وتحديد المعنى الذي تدور حوله الدراسة.

كلمة الدعوة في اللغة: كلمة عامة لها معان كثيرة، ودلالات متعددة، وهذا من مميزات اللغة العربية وخصائصها، حيث إن اللفظة الواحدة من مفردات العربية تتسع لتشمل دلالات كثيرة، ويشهد لذلك آيات القرآن الكريم، ومعاجم اللغة العربية. ومن أبرز هذه المعاني التي جاءت في معاجم اللغة العربية، عن كلمة الدعوة ما يأتي:

جاء في لسان العرب لابن منظور: (فالفعل: دعا، ومصدره: الدعاء والدعاوة، والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، وواحدهم داع، ورجل داعية: إذا كان يدعو الناس إلى بدعة، أو دين، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة، وكذلك المؤذن والنبي ﷺ داع إلى الله ﷻ. وذكر ابن منظور عن الأزهري: المؤذن داعٍ إلى الله ﷻ والنبي ﷺ داع الأمة إلى توحيد الله ﷻ وطاعته) (١).
وإذا كانت كلمة الدعوة من الألفاظ المشتركة للحق والباطل، فالإضافة أو الوصف هو الذي يحدد ذلك، فإن القرآن الكريم أكد هذا المعنى أيضاً، فقد وصف الذات الإلهية بأنها دعوة الحق، وما سواها دعوات باطلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ (٢).

(١) لسان العرب لابن منظور، مجلد ١/٩٨٧. ط/ بيروت لبنان/ بدون تاريخ.

(٢) سورة الحج الآية (٦٢).

والدعوة في اللغة تعني: (المحاولة القولية أو الفعلية والعملية، لإمالة الناس إلى مذهب أو ملة) (١).

فهي تدل على بذل الجهد والوسع، وربط الناس بخالقهم، وإحاق الناس بدين الله ﷻ. وفيها معنى الإمالة والترغيب، أي الإمالة بالناس عن الشر- والمعصية، ودعوتهم إلى الخير والطاعة.

جاء في المعجم الوسيط: (دعا بالشيء: دعوا، ودعوة ودعاءً ودعوى، أي طلب إحضاره، ودعا فلانا: صاح به وناداه. ودعا فلانا: استعان به، ورغب إليه وابتهل. ودعا فلاناً: طلب الخير له. ودعا إلى الشيء: حثه على قصده. يقال دعاه إلى قتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب: حثه على اعتقاده وساقه إليه، والداعية: الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والهاء للمبالغة) (٢).

ووردت كلمة الدعوة في القرآن الكريم بمشتقاتها من الفعل دعا أكثر من مائتين وأربعين مرة. (٣). وفي ذلك دلالة على أن القرآن الكريم هو كتاب الدعوة الأول، وهو كتاب يحمل رسالة خير ونور وهداية وارشاد للناس أجمعين.

وقد وردت أيضاً بصيغ ومشتقات الفعل الماضي دعا، وجاءت بصيغة المضارع، والأمر، واسم الفاعل، والمصدر، وجاءت بلفظ المفرد والمثنى والجمع، والمذكر والمؤنث، وهذا التعدد والتنوع يدل على أصالة الكلمة، وسعتها وشمولها، وتعدد معانيها، وبعد مراميها.

(١) المصباح المنير للفيومي مادة دعا.

(٢) المعجم الوسيط/ لمجمع اللغة العربية/ مجلد ١/ ٢٩٦. ط/ الثالثة/ سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي ص ٢٧٥ وما بعدها.



يقول ابن القيم - رحمه الله -: (الدعاة: جمع داع كقاض وقضاة، ورام ورماة، وإضافتهم إلى الله تعالى للاختصاص، أي الدعاة المخصوصون به، الذين يدعون إلى دينه وعبادته، ومعرفته ومحبته، وهؤلاء هم خواص خلق الله، وأفضلهم عند الله منزلة، وأعلاهم قدرا) (١). فالدعوة بمعنى الرغبة إلى الله ﷻ. وطلب الاستجابة للتوحيد، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (٢). جاء في لسان العرب: (ومن معانى الدعوة: الدعوة إلى التوحيد). (٣) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ (٤).

ودعوة الإسلام إلى التوحيد هي دعوة الحق للخلق، ليوحدوه ويعبدوه، قال تعالى: ﴿ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ ﴾ (٥). وما سواها دعوات باطلة قال تعالى: ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾ (٦).

فالدعوة إلى الله تعنى: الدعوة إلى دينه وهو الإسلام، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (٧).

ومصطلح الدعوة بعد التعريفات السابقة، له علاقة قوية ومباشرة بمصطلحات أخرى، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاحتساب، والنصيحة، والوعظ والتذكير بالعواقب، والتربية، والإصلاح والتهديب.

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ١/١٩٢.

(٢) سورة يوسف من الآية (١٠٨).

(٣) سورة الأحزاب من الآية (٤٦).

(٤) لسان العرب، لابن منظور ١/٩٨٦.

(٥) سورة الرعد من الآية (١٤).

(٦) سورة يونس من الآية (٣٢).

(٧) سورة آل عمران من الآية (١٩).

ومما سبق يتبين أن كلمة الدعوة في اللغة لها معان كثيرة، وهي من الألفاظ المشتركة، لكنها تتقارب في مضمونها، وتتفق كلها على أن فيها معنى الطلب، والنداء لفعل شيء ما، أو الاجتماع عليه، أو اعتقاده، والطلب يحتاج إلى جهد وبذل، من أجل تليته والموافقة عليه، ففيها معنى الإلحاح والجهد، والتعب والمشقة.

ويتبين أيضا أن أبرز المعاني المرتبطة بالدعوة: هي الرغبة إلى الله ﷻ وطلب الاستجابة للتوحيد، الذي هو رمز الإسلام وعنوانه، ولا يتم تحديد المقصود من الطلب إلا بقرينة، من الحال أو المقال، والسياق هو الذي يحدد المقصود من كلمة الدعوة.



تعريف الدعوة في الاصطلاح:

لقد نحا العلماء مناحي شتى في تعريف الدعوة، نظرا للزاوية التي نظر كل واحد منهم إلى الدعوة، فمنهم من نظر إليها على أنها تبليغ الإسلام، ومنهم من جمع بين التبليغ وبين الدين نفسه، ومنهم من نظر إلي جانب من جوانب الدعوة، ووقف التعريف عليه، ومن ثم جاءت تعريفاتهم مختلفة في اللفظ والمعنى، وإن كان بينها شيء من التقارب.

وتدور الدعوة في الاصطلاح حول معنيين رئيسيين لهما صلة ببعضهما.

المعنى الأول: النشر والتبليغ، وهو المعنى الذي تدور حوله هذه الدراسة، وهو علم قائم بذاته، له قواعده وأصوله، وموضوعاته وثمراته وغاياته.

والمعنى الثاني: بمعنى رسالة الإسلام، أو الدين الإسلامي عقيدة وشرعية.





أما تعريف العلماء للدعوة بمعنى النشر والتبليغ فمن ذلك:

عرفها الدكتور أبو بكر ذكرى بأنها: (قيام العلماء والمستنيرين في الدين، بتعليم الجمهور من العامة، ما يبصرهم بأمور دينهم ودنياهم، على قدر الطاقة)(١).

وهذا التعريف يقصر الدعوة على جمهور العامة، ويحصرها في نطاق المسلمين وحدهم، رغم أن الدعوة للعامة والخاصة، وللعلماء والجهال، وللمسلمين وغيرهم.

وعرفها الشيخ على محفوظ بأنها: (حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل)(٢). وهذا التعريف أعم وأشمل من سابقه، لأنه لا يحصر الداعي أو المدعو في شخص معين.

الدعوة إلى الله: (هي جمع الناس إلى الخير، وداللتهم على الرشد، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، قال تعالى: (والتكن منكم أمة يدعون إلى الخير)(٣).

وعرفها د/ أبو المجد السيد نوفل: (قيام من عنده أهلية النصح والتوجيه السديد، من المسلمين مع كل زمان ومكان، بترغيب الناس في الإسلام، واعتقاداً ومنهاجاً، وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة)(٤).

(١) الدعوة إلى الإسلام د/ أبو بكر ذكرى ص ٨ ط/ دار المعرفة مصر/ بدون تاريخ.

(٢) هداية المرشدين/ الشيخ على محفوظ ص ١٧ ط/ دار الاعتصام ط/ التاسعة ١٩٧٩ م.

(٣) أسس الدعوة وآداب الدعاء للدكتور السيد محمد الوكيل، ص ٩. والآية من سورة آل عمران (١٠٣).

(٤) الدعوة إلى الله خصائصها ومفهومها د/ أبو المجد السيد نوفل ص ١٨.

وعرفها د/ أحمد غلوش بقوله: (هي حركة تبليغ الإسلام ونشره بين الناس، والتذكير به، والدفاع عنه، والعمل على أن يكون منهج الحياة لكافة الأفراد وسائر المجتمعات، وهذه الحركة تتضمن الوسائل والأساليب والقائمين عليها والمخاطبين بها)(١).

وتعريف الدعوة عند الشيخ محمد الغزالي: (برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس، ليبصروا الغاية من محياهم، وليكتشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)(٢).

وعرفها د محمد أبو الفتوح البيانوني: (نشر- الإسلام وتبليغ أحكامه، فهي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إياه، وتطبيقه في واقع الحياة)(٣).



وأما علم الدعوة فهو يعرفه بقوله: (مجموعة القواعد والأصول التي يتوصل بها إلى تبليغ الإسلام للناس وتعليمه وتطبيقه)(٤).

وعرفه د/ عبد الله يوسف الشاذلي: (علم يبحث في الكيفيات المناسبة، التي يجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها)(٥).

(١) الدعوة الإسلامية أصولها ورسائلها، وأساليبها في القرآن الكريم د/ أحمد غلوش ص ٣٨ ط مؤسسة الرسالة الثالثة ٢٠١١ م.

(٢) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ محمد الغزالي ص ١١٧.

(٣) المدخل إلى علم الدعوة / أبو الفتوح البيانوني ص ١٧.

(٤) المصدر السابق ص ١٧.

(٥) الدعوة والإنسان د/ عبد الله يوسف الشاذلي ص ٣٩.



وعرفه الشيخ عبدالرحمن حبنكة الميداني: (العلم الذي تعرف به مناهج ومسالك ووسائل وأداب الدعوة، إلى الدخول في دين الإسلام، اعتقاداً وقولاً وعملاً، ظاهراً وباطناً)(١).

وتعدد تعريفات الدعوة في الاصطلاح يدل على اتساع مفهوم كلمة الدعوة، وشموليتها وعمقه، فهو من الألفاظ التي تتعدد معانيها، وتنوع مفاهيمها، ولا يرجح المقصود من المعنى إلا القرينة أو السياق.

ويلاحظ على التعريفات السابقة، أن بعضها يختلف في الأسلوب، ويتفق في المضمون، بعضها مفصل، والآخر مختصر، بعضها يعرفها بمعناها العام، وهو الدين، والآخر يعرفها بمعناها الخاص، وهو النشر والتبليغ، وبعضها يدخل فيها علم الدعوة، وبعضها يدخل فيها الوسائل والأساليب، وبعضها لا يذكرها. والتعريفات السابقة تتفق على أنها علم وفن، يحتاج إلى دراسة في طلب إقبال الناس ودلائهم على الله، بالوسائل والأساليب المتعارف عليها في هذا العلم والفن.



وأما تعريف العلماء للدعوة بمعنى الدين أو رسالة الإسلام، فمنها:

عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بقوله: (الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه، فإن هذه الدرجات الثلاث التي هي: الإسلام والإيمان والإحسان، داخله في الدين، كما في الحديث

الصحيح: "هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم" بعد أن أجابه عن هذه الثلاث، فبين أنها كلها من ديننا(١).

وعرف الشيخ محمد الصواف الدعوة إلى الإسلام بقوله هي: (رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريقة الموصلة إليه ﷺ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ (٢). ثم اختارها لعباده وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلا عنها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (٣). فهذا التعريف يدل على أن الدعوة الإسلامية يقصد بها الإسلام بجميع تعاليمه وأحكامه، وأركانها وواجباته.

ومما سبق حول تعريف الدعوة في الاصطلاح، يتبين أن المراد بالدعوة بمعنى النشر- والتبليغ، هي عملية توصيل رسالة الإسلام من الداعي إلى المدعو، على الوجه الصحيح، وهذه الدعوة لها أركان أربعة:

١. الداعي: وهو الركن الأول.

٢. المدعو: وهو الركن الثاني.

٣. مادة الدعوة: وهي رسالة الإسلام.

٤. وسائل الدعوة وأساليبها: وهي الطريقة والكيفية التي يتم التبليغ بها.

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية/ مجلد ١٥/١٥٧-١٥٨ / ط/ الأولى مطابع الريان.

(٢) سورة آل عمران من الآية (١٩).

(٣) سورة آل عمران الآية (٨٥).



وعلى ذلك فكلمة الدعوة بمعنى النشر والتبليغ لها هنا معنى خاص، وهي جزء من الدعوة بمعنى الدين. وكلاهما جزء من علم الدعوة الذي يحتوي على كل ما سبق.



وأما الدعوة الإسلامية فتكون بمعنى الدين أو رسالة الإسلام ومادته، فلها ركنان أساسيان، هما العقيدة والشريعة، وهي هنا بمعناها العام الذي تندرج تحته الدعوة بمعناها الخاص، إذ أن من مبادئ الإسلام أن يقوم بعض المسلمين بتبليغه إلى الناس، فإذا قيل هذا الرجل من رجال الدعوة، كانت بمعنى النشر والتبليغ، وإذا قيل اتبعوا دعوة الله، كانت بمعنى الدين أو الرسالة.

وهناك تلازم بين أركان الدعوة الأربعة، فبدون الداعية فمن يحمل الدعوة، ومن يقوم بتوصيلها، وبدون المدعو فمن تتعامل معه، وهو الهدف من الدعوة، وبدون مادي الدعوة، فأى رسالة يحملها الداعية ليقوم بتوصيلها إلى المدعو، فهو كمن يسير في طريق بلا زاد، وبدون الوسائل والأساليب، فكيف نقل الدعوة من الداعي إلى المدعو، ومن ثم كانت هذه أصول وأركان للدعوة، مثل أعمده البناء، إذا سقط أحدها وقع خلل في البناء، ولا يصلح للاستخدام بصورة صحيحة.



وهناك ثلاثة مصطلحات تستخدم في الدعوة ينبغي التفريق بينها، ولا يكون ذلك إلا بتعريف كل مصطلح منها:

١ - الدعوة إلى الإسلام: بمعنى الدعوة إلى نشر الإسلام وتبليغه بين الناس.

٢- الدعوة الإسلامية: تعني الدين الإسلامي نفسه بجوانبه المتعددة، العقيدة والشريعة والمعاملات والأخلاق.

٣- علم الدعوة: وهو تعبير إضافي يشمل كل ما يتعلق بتخصص الدعوة من قريب أو بعيد، من أجل خدمة رسالة الإسلام العالمية.



تعريف الإسلام والقواعد والأصول:

الإسلام في اللغة:

يعنى الاستسلام والخضوع والانقياد لله ﷻ ويكون ذلك طوعاً أو كرهاً (١).

والإسلام في الشريعة: (إظهار الخضوع، وإظهار الشريعة، والتزام ما أتى به النبي ﷺ) (٢).

فكلمة الإسلام يدل لفظها على معناها، وهو إسلام العبد لله في كل شؤون حياته، وإسلام العبد في تعامله مع كل ما في الكون، من إنسان وحيوان ونبات وجماد، (فالمسلم من سلم الناس من لسانه ويده).

والإسلام في الاصطلاح: لقد عرف الإسلام بتعريفات كثيرة، وسبب تعدد هذه التعريفات، أن كل تعريف يتناوله من زاوية معينة، لكن هذه التعريفات تتفق في مضمونها على هذا التعريف، الذي يعد جامعاً لباقي التعريفات، وهو: (النظام العام، والقانون الشامل لأمر

(١) انظر المعجم الوسيط/ لمجمع اللغة العربية/ مادة سلم.

(٢) لسان العرب لابن منظور مادة سلم ٢٨٩/١٢.



الحياة، ومناهج السلوك للإنسان، التي جاء بها محمد ﷺ من ربه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على اتباعها أو مخالفتها من ثواب وعقاب (١).

ويلاحظ أن هذا التعريف يشتمل على كل ما جاء به النبي محمد ﷺ من دين، عقيدة وشريعة، وأخلاق ومعاملات، وأمره ربه بتبليغه إلى الناس كافة، كما أنه الرسالة الخاتمة للرسالات السابقة، ولا يقبل الله من أحد غير هذا الدين يوم القيامة، حتى يكون من الناجين، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٨٥) (٢).

والدعوة لا تقتصر على الشرق المسلم فقط، بل تمتد لتشمل الغرب أيضا، والغرب هو أحد الاتجاهات الأربعة، وهو موضع غروب الشمس، والغرب ضد الشرق، وجرى العرف على إطلاق لفظ الغرب على بلاد غير المسلمين، وهي تشمل دول أوروبا وأمريكا وكندا وأستراليا، وبعض دول آسيا التي لا تدين بالإسلام، فهناك الشرق المسلم، ويقصد به بلاد المسلمين، وهناك الغرب الصليبي، أو الملحد أو الشيوعي، ويقصد به بلاد غير المسلمين.



(١) أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان ص ١٠ ط/ مؤسسة الرسالة التاسعة سنة ١٤٢٢هـ - سنة ٢٠٠١م.
(٣٦) سورة آل عمران الآية (٨٥).

تعريف القواعد والأصول:

القواعد في اللغة: جمع لكلمة قاعدة، وأساسها الفعل الثلاثي قعد: والقاعدة في اللغة لها معان كثيرة، وهي تدور حول (الأصل والأساس الذي يبنى عليه غيره) (١).

فالقواعد هي أصل الشيء وأساسه الذي يقوم عليه، مثل قواعد البناء وغيرها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٢٧) (٢).

والقاعدة تشتمل على جزئيات كثيرة، تتعدد وتختلف حسب المعلومة المستخدمة فيها، فهناك قواعد محددة لكل علم، ومنها قواعد علم الدعوة.

تعريف الأصول: جمع أصل: وهو الشيء الأساسي الثابت الذي يقوم عليه غيره، ولا يستغنى عنه، والأصول في العلوم: (فالأصل هو: ما يبنى عليه غيره، وأصول العلوم قواعدها التي تبنى عليها الأحكام) (٣).

فأصول الدعوة: هي الأركان والأسس والقواعد والأدلة التي تقوم عليها الدعوة، لما يبنى عليها ويتفرع منها، ولا تستغنى عنها بأي حال من الأحوال.

ومما سبق من تعريفات، يتبين أن المقصود بعنوان الموضوع هو: الأصول والقواعد والأركان لعلم الدعوة، حتى يقوم المسلمون بدورهم في كيفية تبليغ الإسلام إلى الناس أجمعين في

(١) انظر لسان العرب، لابن منظور مادة قعد ١٢٦/٣، دار إحياء التراث العربي ط/ الثالثة. ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٦٧٨، دار القلم دمشق ط/ الثالثة ١٤٢٣ هـ. والمعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة مادة قعد. ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.

(٢) سورة البقرة الآية (١٢٧).

(٣) المعجم الوسيط ٤٠/١.



كل مكان، من الشرق والغرب، بواسطة الدعاة المتخصصين، وغيرهم، الذين يفقهون الإسلام ويحسنون عرضه، مستخدمين أفضل الطرق، وأحسن الوسائل، التي تحقق الهدف الأسمى، وهو دخول الناس في الإسلام، أو فهم الناس للإسلام على الوجه الصحيح، وإقامة الحجة الدامغة عليهم، حتى لا يكون لهم عذر عند الله ﷻ يوم القيامة.



ثانياً: أهداف الدعوة بين المسلمين وغيرهم، وأهميتها.

١- التنسيق بين الجهود الدعوية، حيث من الملاحظ أن الغالبية العظمى من الجهود الدعوية موجهة للمسلمين أنفسهم، إما من باب المحافظة على الذات أو الهوية، حتى لا تذوب في خضم التيارات الفكرية المختلفة، أو المحافظة على الأجيال المسلمة القادمة، حتى لا تنشأ بعيدة عن تعاليم الإسلام وآدابه، أو من باب الوعظ والتذكير المستمر، الذي يزكى النفس، ويسمو بالروح، وينقل الفرد من محيط الغفلة والنسيان، إلى أجواء العمل والإيمان، وهذا الباب يستوعب جهد السواد الأعظم من الدعاة، والمؤسسات الدعوية، سواء كانوا في داخل البلاد الإسلامية أو خارجها.

ومن ثم، يجب على الدعاة المختصين طرح موضوع الدعوة إلى الإسلام بين غير المسلمين، للبحث والمناقشة، بصفة مستمرة، حيث إنهم هم المستهدفون من الدعوة بالدرجة الأولى، ومحاوله نقلهم من محيط الإلحاد والشرك والكفر والوثنية، إلى سمو الإيمان والتوحيد.

فإذا لم يكن هناك مسلمون ودعاة يعيشون في الغرب للقيام بهذا الدور، لوجب على المسؤولين عن أمر الدعوة إرسال عدد من الدعاة، للقيام بواجب الدعوة في هذه البيئة الظامئة،

المتعطشة لمعرفة الإسلام، خاصة مع انفتاح موجات الهجرة، وسهولة الحصول على التأشيرات للدخول في تلك البلاد.

فنريد فتح معالم وآفاق للإسلام خارج أرضه، بحيث ينطلق الدعاة من الشرق إلى الغرب، لتذكير الناس وتبليغهم رسالة الإسلام، على أحسن وجه وأجمل صورة، فنتقيم الحجة، وندفع الشبهات، ونعذر أنفسنا إلى الله ﷻ.

٢- تصحيح المفاهيم الخاطئة، حيث إن أغلب المدعوين إلى الإسلام من أهل الغرب لا يعرفون شيئاً عنه، وبعضهم يعرفه بصورة مشوهة، وغير صحيحة، ومن ثم يجب على بعض الدعاة القيام بهذا الجانب، لتصحيح هذه المفاهيم الخاطئة، التي حجبت أعينهم عن الرؤية الصحيحة لتعاليم الإسلام، وإزالة الشبه التي علقوا بأذهانهم حول الإسلام والمسلمين، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ۖ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ۗ ﴾ (١).

وتحقيقاً لهذا الدور انطلق بعض الدعاة إلى الله ﷻ بصورة رسمية أو فردية، حكومية أو أهلية، إلى بلاد غير المسلمين، لتبليغ دعوة الإسلام إلى سكانها، وإقامة الحجة عليهم أمام الله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (١٦٥) (٢).

فمن الأهداف الرئيسة للدعوة الإسلامية، تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الإسلام في كل مكان، بحيث تصل الدعوة إلى الناس جميعاً، بعيداً عن التشويش والتشويه، والتزييف والكذب،

(١) سورة الكهف من الآية (٢٩).

(٢) سورة النساء الآية (١٦٥).



والتحريف والتضليل، فتصل الرسالة كما جاءت من عند الله، وكما بلغها رسول الله ﷺ دون زيادة أو نقصان.

٣- العمل على نشر الدعوة الإسلامية في العالم كله بصفة عامة، حيث إن الإسلام هو رسالة الله الأخيرة إلى الناس كافة، فالدعوة إلى الله ﷻ تكون في كل وقت، وفي كل زمان وفي كل مكان، فهي عامة وعالمية وشاملة، فوقتها الزمان كله إلى قيام الساعة، ومكانها العالم كله بقاراته الست، ووجهته كل الأجناس والألوان والطبقات والألسنة دون تمييز أو تفريق. قال تعالى:

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (١).

والدعاة إلى الله ﷻ بعد الرسل مكلفون بتبليغ الدعوة إلى الناس أجمعين، فيرفعوا الحرج والمساءلة عن أنفسهم، وعن أمتهم أمام الله ﷻ يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) (٣).

لقد بقى المهاجرون الأوائل من المسلمين في الحبشة مدة طويلة، من السنة الخامسة من البعثة، حتى السنة السابعة من الهجرة، أي بعد إقامة دولة الإسلام في المدينة، فلم يعودوا إلا في السنة السابعة بعد فتح خيبر، فلقد زال الاضطهاد عن المسلمين بالهجرة إلى المدينة، وبقى هؤلاء من أجل تبليغ الدعوة والرسالة إلى أهل الحبشة وغيرهم، إلى أن أرسل ﷺ كتبه إلى الملوك والأمراء.

(١) سورة الأعراف من الآية (١٥٨).

(٢) سورة المائدة من الآية (٦٧).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

فمن أهداف علم الدعوة تحقيق البلاغ الواضح المبين لرسالة الإسلام إلى الناس أجمعين، والأخذ بيد الناس إلى طريق الله، وإقامة الحججة على الناس بوصولهم الرسالة على أحسن حال.

وعرض الإسلام على الناس أجمعين، عرضاً صحيحاً يجعل من أصحاب الفطر السليمة، والعقول الصحيحة، قبولها بسهولة ويسر، بعد مناقشة وحوار وهدى، دون إكراه أو قسر، ومن لم يقبلها لا يخاصمها أو يعاديها.

٤- العمل على دعوة الناس إلى الدخول في الإسلام، عن طريق الإقناع العقلي، والحوار الهادئ، والتعريف بالإسلام بين غير المسلمين بشتى الوسائل والأساليب القديمة والحديثة، التي تضمن وصول الرسالة على أحسن وجه، حيث إن تبليغ الدعوة يحقق خيرية الأمة المسلمة التي وصفها الله بذلك في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١).

٥- مساعدة المسلمين الجدد على فهم الإسلام، والإيمان به عقيدة وشرعية، وإقامة أحكامه، وتطبيق تعاليمه، والثبات على مبادئه، وإيجاد روح الأخوة والتعاون والود بين المسلمين في كل مكان، فهم أمة واحدة، وتوطين الإسلام في هذه البلاد، وذلك من خلال تحويلهم إلى دعاة، يقومون بدور الدعوة بين بنى قومهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ (٢).

٦- دفع الخطر القادم على المسلمين، خاصة من المتحاملين على الإسلام، فحينما يعيش بعض الدعاة، وبعض المسلمين في الغرب للدعوة، والعمل المشروع الحلال، ويدخلوا في

(١) سورة آل عمران من الآية (١١٠).

(٢) سورة إبراهيم الآية (٤).



مؤسسات المجتمع، فيعطوا صورة حسنة عن الإسلام، ويصححوا المفاهيم الخاطئة، عن الإسلام والمسلمين، بذلك ندفع الضرر القادم منهم على المسلمين، حيث يشهدون لهم بحسن الخلق، والمعاملة الحسنة.

فمن أنجح الوسائل في التصدي لخطرهم وثقافتهم وأفكارهم، فما لم تكن أنت الداعي فأنت المدعو حينئذ، وما لم تقم بواجب الدعوة تصبح هدفا عند الخصوم فيشغلونك بما عندهم وما لديهم من مخططات تستهدف العقيدة والشريعة والاخلاق الإسلامية
لقد كان شغل الصحابة الذي حركهم لنشر هذا الدين هو الشعور بالمسؤولية جهة الإسلام لذلك انطلقوا في الآفاق مشرقين ومغربين للقيام بدورهم في دعوة الناس ودلالتهم على الله وتبليغ الإسلام إلى سائر الأمم.

٧- تحقيق الشهادة على الآخرين، حيث إنه من الأصول الإسلامية المهمة في العلاقة بين المسلم وغيره، الدعوة إلى الله ﷻ لأن الإسلام هو خاتم الرسالات الإلهية السابقة، والدعوة هي المحور الأساسي، والمهمة الأولى في علاقة المسلمين بغيرهم، وقد كلف الله ﷻ الأمة المسلمة القيام بهذا الواجب الديني بعد النبي ﷺ فجعل الله ﷻ الرسول ﷺ شهيدا على أمته، وجعل أمته شهيدة على الأمم السابقة، قال تعالى: ﴿ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ (١).

لقد هاجر كثير من المسلمين إلى بلاد غير المسلمين لأهداف متعددة، وعاشوا بينهم، وأقاموا في وسطهم، وتجنسوا بجنسياتهم، وأصبحت لهم حقوق المواطنة التي كفلها لهم قانون البلاد التي يعيشون فيها، ومن ثم يأتي دور هؤلاء المسلمين في الدعوة إلى الله ﷻ بين غير

المسلمين، في بذل الوسع، وإفراغ الجهد، وتبليغ الدعوة على الوجه الصحيح، والحرص على تقديم الإسلام في صورة عملية أكثر منها نظرية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (١).

ولا تتحقق الشهادة إلا بالحضور في وسط هذه المجتمعات، وبالبلوغ الواضح المبين الذي يقيم الحجة على الآخرين. وإخيرا الدعوة إلى الله تعالى طريق للجنة، والصرط المستقيم، وقد تولاها الله ﷻ بنفسه فهو يدعو عباده جميعا إلى جنته، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٢).



أهمية الدعوة الإسلامية:

١- تبرز أهمية الدعوة الإسلامية في أنها تهدف إلى تغيير حياة الأفراد وواقع المجتمعات نحو الأفضل والأمثل، في صورة صحيحة ومشرقة، تبدأ بتغيير الناس من داخلهم، في أنفسهم وأهليهم وأقاربهم، ثم تنطلق نحو المجتمع لتضبط مساره، نحو الهدف والغاية المنشودة في الإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٣).

٢- ومن أهمية الدعوة أنها تقوم على معالجه شهوات النفس البشرية، وأمراضها حتى تستقيم، والقلوب المريضة حتى تبرا، والعقول التائهة حتى تهتدي، والأفكار الحائرة حتى تجدد

(١) سورة البقرة من الآية (١٤٣).

(٢) سورة يونس الآية (٢٥).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٥٧).



الاستقرار، وهذا من أهم أهداف الدعاة ورسالتهم في الحياة، فهم يستهدفون تزكية النفوس، وسلامة القلوب، وحسن الخلق، قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ (١٥١) ﴿ (١).

٣- إن الدين الإسلامي لا يتحقق في حياة البشر في صورة عملية محسوسة، إلا إذا حمله المسلمون جميعاً، وتمثلوه في حياتهم، وانطلقوا به إلى كل مكان في دنيا الناس، لينقلوه إلى قلوب الآخرين، في حياتهم اليومية والعامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) ﴿ (٢).

والحقيقة أيضاً أن الإسلام ينتشر بنفسه وبتعاليمه ومبادئه، وما يحمله من مثل وقيم وأخلاق، لكن واقع بعض المسلمين هم الذين يقفون حجر عثرة أمام الإسلام، حين لا يمثلون الإسلام في حياتهم الشخصية أو العامة، أو في تعاملاتهم مع الآخرين، وهذه معضلة كبرى، تحتاج إلى توعية ونصح وإرشاد، حتى يستقيم أفراد المجتمع على الجادة والطريق المستقيم.

إن عملية نشر الدعوة وتبليغها بين الأمم، لا زالت تعاني من ضعف وقصور شديد، إما بسبب ضعف دور المسؤولين في إعداد الدعاة، وإرسالهم على المستوى الرسمي، أو غياب التنسيق بين المنظمات الكبرى، التي تعمل للإسلام، بينما أغلب الجهود المبذولة جهود فردية، تحتاج إلى مزيد من الإعداد والتوجيه والإرشاد والتعاون، لتحقيق الثمرة المطلوبة، والهدف المنشود، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١٠٤) ﴿ (٣).

(١) سورة البقرة الآية (١٥١).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

٤- الدعوة إلى الإسلام مسؤوليه ثقيلة، لأنها تتعلق بأعظم مهمة في التاريخ، وهي تبليغ الإسلام إلى الأمم والشعوب، حيث تكون سعادته وشقائه، فكانت مهمة الأنبياء والمرسلين والدعاة ومن بعدهم إلى قيام الساعة، لذلك قال الله لنبيه: ﴿ إِنَّا سُلِّقْنَا عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ (١). وهي تبعة تقسم الظهر، وترعد الفرائص، وتهز المفاصل، فلا استمرارا فيها إلا بعون من الله، ولا تحمل لها إلا بمدد منه ﷻ ولا ثبات عليها إلا بإخلاص الوجهة له، فصاحب هذا الطريق نهاره صيام، وليله قيام، وكلامه أذكار، وحياته ومماته لله ربي العالمين لا شريك له (٢).

٥- الدعوة إلى الإسلام تهدف إلى استقامة الناس على طريق الحق والخير والرشاد في الحياة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝١١٣ ﴾ (٣). وفي الحديث قَالَ ﷺ: " قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ" (٤).

٦- الدعوة إلى الإسلام ترغب الناس إلى الحياة الحقيقية الطيبة في ظلال الإيمان والتوحيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۝٢٤ ﴾ (٥).

٧- الدعوة إلى الإسلام ترشد الناس إلى طريق النجاة من الهلاك في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَنْقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ۝٤١ ﴾ (٦).



(١) سورة المزمل الآية (٥).

(٢) في ظلال القرآن ٣١/٦.

(٣) سورة هود الآية (١١٢).

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٨) عن سفيان بن عبد الله الثقفي ﷺ.

(٥) سورة الأنفال الآية (٢٤).

(٦) سورة غافر الآية (٤١).



ثالثاً: حاجة الناس إلى الدعوة.

١- الناس جميعاً على ظهر هذه البسيطة محتاجون إلى الدعوة الإسلامية، كما يحتاجون إلى الطعام والشراب، بل إن حاجتهم إلى الدعوة أشد، لأن غياب الطعام والشراب يترتب عليه موت البدن أو فساده، أما غياب الدعوة فيترتب عليه فساد الروح، والعقل، والنفس، والقلب، والبدن جميعاً، وما قيمة الحياة بنفس مريضة، وقلب ميت.

قال الإمام أحمد: (الناس مُتَّاجُونَ إلى العِلْمِ أكثر من حاجتهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يُحْتَاجُ إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعِلْمُ يُحْتَاجُ إليه بِعَدَدِ الأَنْفَاسِ) (١).

وقال ابن القيم: (العلماء بالله وأمره هم حياة الموجود وروحه، ولا يستغنى عنهم طرفة عين، فحاجة القلب إلى العلم ليست كالحاجة إلى التنفس في الهواء، بل أعظم! وبالجملة فالعلم للقلب مثل الماء للسّمك، إذا فقده مات، فنسبة العلم إلى القلب كنسبة ضوء العين إليها، وكنسبة سمع الأذن كلام اللسان إليه، فإذا عدمه كان كالعين العمياء، والأذن الصماء، واللسان الأخرس) (٢).

فالناس جميعاً في أمس الحاجة إلى الدعوة الإسلامية، لأنها تضمن لهم صحة الدنيا والآخرة، فحاجتهم لها أشد من حاجتهم إلى الغذاء والتنفس، الذي يحفظ لهم حياة الأبدان الدنيوية فقط، فكيف بما يحفظ لهم الدنيا والآخرة.

(١) انظر مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ص ٦٣/١. ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٢) مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ٣٧١/١.

وممن جلى هذه المسألة وبينها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - قال: (الرسالة
 ضرورية للعباد، لا بدّ لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء، والرسالة روح
 العالم ونوره وحياته، فأبى صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟. والدنيا مظلمة ملعونة
 إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة، وكذلك العبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة، وبناله
 من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات. قال الله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ
 وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ
 مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ (١).

فهذا وصف المؤمن، كان ميتا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان،
 وجعل له نورا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات (٢).

وعقد الإمام ابن القيم -رحمه الله - في كتابه القيم مفتاح دار السعادة، مقارنة بين فيها أنّ
 حاجة الناس إلى الشريعة، أعظم من حاجتهم إلى علم الطب، مع شدة حاجة الناس إليه
 لصلاح أبدانهم، فحاجتهم إلى الرسالة أعظم من حاجتهم إلى غيرها من العلوم.

قال -رحمه الله -: (حاجة الناس إلى الشريعة ضرورية، فوق حاجتهم إلى كل شيء، ولا
 نسبة لحاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أنّ أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون
 الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأمّا أهل البدو كلهم، وأهل الكفور كلهم، وعامة بني
 آدم لا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصحُّ أبدانا، وأقوى طبيعة ممن هو متقيد بالطبيب، ولعل
 أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم، واجتناب ما يضرهم، وجعل

(١) سورة الأنعام الآية (١٢٢).

(٢) انظر مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٩/٩٣. والآية من سورة الأنعام (١٢٢).



لكل قوم عادة وعرفا في استخراج ما يهجم عليهم من الأدواء، حتى إن كثيرا من أصول الطب إنما أخذت من عوائد الناس، وعرفهم وتجارهم.

وأما الشريعة فمبناها على تعريف مواقع رضا الله وسخطه، في حركات العباد الاختيارية، فمبناها على الوحي المحض، والحاجة إلى التنفس، فضلا عن الطعام والشراب، لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس والطعام والشراب موت البدن، وتعطل الروح عنه.

وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد، وشتان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفة ما جاء به الرسول ﷺ والقيام به، والدعوة إليه، والصبر عليه، وجهاد من خرج عنه حتى يرجع إليه، وليس للعالم صلاح بدون ذلك البتة، ولا سبيل إلى الوصول إلى السعادة والفوز الأكبر إلا بالعبور على هذا الجسم^(١).

٢- الإسلام دين الفطرة، فمن نعم الله على خلقه أنه فطرهم على التوحيد، ووضع فيهم العقل، وركب فيهم الشهوة، والإنسان في صراع بينهما، فأرسل إليهم الرسل، وأنزل عليهم الكتب، حتى لا يركنوا إلى عقولهم فقط فيضلوا الطريق.

والعالم الآن يعاني من القلق والاضطراب، والجفاف الروحي، وسيطرة المادة على كل شيء، وانتشار الأثرة والجشع بين طبقات المجتمع، وتلوث الفطرة عن طبيعتها التي خلقها الله عليها، فعاش الناس بلا رحمة ولا شفقة، ولا منقذ للبشرية إلا بالعودة إلى هدى القرآن الكريم والسنة النبوية.

(١) مفتاح دار السعادة، لابن قيم الجوزية ٢/٢.

فالعالم اليوم أشد ما يكون حاجة إلى الدعوة الإسلامية، لأنها تحترم الإنسان، وتقدر كرامته، وتصنع له قيمة وهدفا في الحياة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبْرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠). (١).

٣- لقد شرع البشر- لأنفسهم حسب أهوائهم ومصالحهم، ووضعوا قوانين أرضية تصطدم مع الفطرة، فأباحوا الشذوذ الجنسي، وسنوا القوانين التي تحميه وتدافع عنه، وأباحوا الخمر والمفترات وعكفوا على تعاطيها ليلا ونهارا، فعاشوا حياة بعيدة عن الهدى الرشاد. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا يَا نِينَكَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٢٣) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ (١٢٤). (٢).

فالبشرية في الغرب، تقف على حافة الهاوية، والعالم الغربي مها أوتى من قوة في العقل، وسعة في العلم، فهو قاصر على إدراك مصالحة ومنافعه، لسيطرة الشهوات على القلوب، واستيلاء الأهواء على العقول، فالدعوة تنصف المظلوم، وتأخذ على يد الظالم، وتقيم العدل وتنشره بين الناس جميعا. قال تعالى: ﴿يٰٓدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٦١). (٣).

٤- إن الإنسان الغربي في أي موقع كان على وجه الأرض، أصبحت حياته محصورة في الماديات، ومتطلبات الجسد، وإرواء الغرائز من أي سبيل مشروع أو غير مشروع، كما أنه

(١) سورة الاسراء الآية (٧٠).

(٢) سورة طه الآيتان (١٢٣-١٢٤).

(٣) سورة ص الآية (٢٦).



أهمل الروح والنفس، وابتعد عن الدين، وأصبحت غايته من الحياة التمتع بشهوات الدنيا وملذاتها، فلم تعد له رسالة سامية، ولا هدف غال يسعى إليه، ولا غاية نبيلة يضحى في سبيلها، ومن ثم لم يشعر بالسعادة الحقيقية، ولم يذق طعم السكينة والهناء، فعاش في بلاء وعناء، وكد وشقاء.

وهذا كله يبين مدى حاجة المجتمعات البشرية عامة، والغرب بصفة خاصة، والأفراد بصفة أخص إلى الدعوة الإسلامية، وإلى رسالة الإسلام، لأنها رسالة الإنقاذ والإصلاح، ورسالة الإنسان في الكون والحياة، فخالق الإنسان هو الذي يرسم له طريق الحياة، وهو أعلم بما يصلحه وبما يفسده، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١٤).

- إن العالم الغربي الآن يعاني من الجفاف الروحي، والبعد عن الله، وحاولوا أن يدخلوا في حياتهم ما يجذب الشباب إلى الكنيسة بصور شتى، وقد فشلت كل هذه المحاولات، ولم يبق أمامهم إلا حتمية العودة إلى الإيمان بالله الواحد الأحد.

٥- الإسلام هو روح العالم ونوره، والعالم بلا روح جثة هامدة، وظلام دامس في عالم الروح والقيم والأخلاق، وإذا أردنا لهذا العالم أن يحيا حياة كريمة، وأن يعيش حياة سعيدة، فلا بد من عودة الروح إلى الجسد، ليقع التوازن بين الجسد والروح، بعيدا عن المادية الطاغية، والنفعية المدمرة.

فالإسلام حزام الأمن، وصمام الأمان للبشرية، من الإباحية والإلحاد والكفر، الذي يعاني منه العالم الغربي، والشعوب التائهة في الغي والضلال، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ

الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا
(١) ﴿٧٥﴾

يقول الشيخ محمد الغزالي: (الناس لا يستغنون عن رزق الله، ولا عن هدايته، هم فقراء إليه فيما يطعم أبدانهم من جوع، وفيما يزكى أرواحهم من كدر، ومهما أوتى بعضهم من ذكاء أو صفاء، فإنه لن يستطيع تدبير شأنه وإصلاح أمره، بعيدا عن وحى الله وتعليم أنبيائه. إن مواهب الإنسان المادية والأدبية كبيرة، وربما مرت به أوقات يحس فيها أنه بحسبه ما وصل إليه بتفكيره، وأسعفته قواه، بيد أن هذا الغرور لن يجزى في عواقبه إلا الشر.

وسيكدح الإنسان ويمضى وحده، محروما من عناية السماء، ثم يلتفت إلى مكاسبه بعدما جرى شوطا طويلا، فلا يرى شيئا، بل سيرى أن جهوده التي ذهل فيها عن ربه كانت عليه وبالاً. إذا لم يكن عون من الله للفتى .: فأول ما يجنى عليه اجتهاده.

ولعل مصداق ذلك حال العالم من نصف قرن، إنه يتقلب بين فلسفات شتى، بعضها ينكر الله أصلا، والبعض الآخر يسعى معرفته، ويغلب هواه على وحيه.

فماذا جنى العالم من جحده للألوهية، أو جهله بحقيقتها وحقوقها؟ شقاء يرجم العالم بالدماء في أيام الحروب، ويرجمه بالقلق في أيام السلام، فهو بين الحروب الباردة والساخنة، محطوم الأعصاب، فارغ الفؤاد.

وقد يكون هناك فريق من البشر ميسر اللذائذ، مفلت الزمام، يرتع في الدنيا مثلما ترتع الأنعام في الربيع، فأى شيء في هذا؟ عجول تسمن للذبح، فإما أعطبتها فتن الحياة التي ارتكست



فيها، وإما أحر لها جزاؤها في جهنم، فهي هنالك تدعو ثبورا، وتصلى سعيرا، إن الحاجة إلى وحى الله، وقيادة المرسلين لا تنقطع أبدا^(١).

فالدعوة الإسلامية هي التي تنقذ العالم كله الآن، وكذا الشعوب الحاقدة والماكرة، من شقاء المادية الغربية، والطائفية والعنصرية، والجاهلية الحديثة، والفوضى الجنسية الآثمة، والأخلاق النفعية المدمرة، فليس هناك منقذ غير رسالة الإسلام والدعاة المسلمين الصادقين المؤمنين بالله رب العالمين.

إذا الإيـان ضاع فلا أمانَ .: ولا دنيا لمن لم يحيي ديناً

ومَن رَضِيَ الحياة بغير دين .: فقد جعل الفناء لها قريناً^(٢).



(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ/ محمد الغزالي ص ١٨.

(٢) انظر ديوان العلامة محمد إقبال قصيد الشكوى وجواب الشكوى والقصيدتان بالأردية وقام بنقلها للعربية شعرا رائعا الشاعر الأزهرى الصاوي شعلان.

رابعاً: حكم تبليغ الدعوة.

بالرغم من أن الدعوة الإسلامية لها خصائصها المتميزة عن غيرها من الدعوات السابقة، إلا أنها تحتاج إلى جهد بشري ضخم في نشرها وتبليغها، دون الانتظار لمعجزات خارقة للعادة، كما كانت في عصور الأنبياء السابقين.

وإذا كان الإسلام رسالة عالمية، فالمسلمون كلهم حكاما ومحكومين، علماء وعوام، مسؤولون عن تبليغه كله للناس أجمعين، كلٌّ على قدر وسعه واستطاعته، لكنها تتفاوت من شخص لآخر، من الحكام والعلماء والدعاة والعوام.

والدعاة إلى الله مطالبون بالبلاغ الواضح المبين، وأما الهداية للمدعوين فمن الله ﷻ. قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ رَبِّكَ تُبْلِغُ نِعْمَةً كَثِيرَةً وَلِئَلَّكَ تُنذِرُ نَذِيرًا كَثِيرًا وَأَلَّا يَكُونَ الْمُؤْمِنِينَ غَافِلِينَ﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ رَبِّكَ تُبْلِغُ نِعْمَةً كَثِيرَةً وَلِئَلَّكَ تُنذِرُ نَذِيرًا كَثِيرًا وَأَلَّا يَكُونَ الْمُؤْمِنُونَ غَافِلِينَ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (٣).

يقول الإمام أبو حامد الغزالي: (اعلم أن كل قاعد في بيته أينما كان، فليس خالياً في هذا الزمان عن منكر، من حيث التقاعد عن إرشاد الناس وتعليمهم، وحملهم على المعروف؛ فأكثر

(١) سورة الشعراء الآية (٣).

(٢) سورة الكهف الآية (٦).

(٣) سورة القصص الآية (٥٦).



الناس جاهلون بالشرع، في شروط الصلاة في البلاد، فكيف في القرى والبوادي؟ وواجب أن يكون في مسجد ومحلّ من البلد فقيه يُعلّم الناس دينهم، وكذا في كل قرية(١).

ويقول الشيخ محمد الغزالي: (لن تنقطع حاجة العالم إلى الإسلام، إلا يوم تستغني العيون عن الضياء، والصدر عن الهواء، فيا دعاة الإسلام في المشارق والمغرب، أدوا حق الله عليكم، وانقلوا الإسلام إلى الأجيال اللاحقة نقياً مصفى، كما نقل إليكم من الأجيال السابقة... أعيّدوا الحياة الصحيحة إلى الأفتدة الفارغة، والرؤوس الخربة، ليتحاب الناس بروح الله، ويتعارفوا على هداه)(٢).



ويمكن إقامة أدلة كثيرة على ما سبق إجماله فيما يأتي من أدلة مفصلة من القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي.

أدلة عامة على وجوب تبليغ الدعوة:

١- الدعوة إلى الإسلام فريضة شرعية، وضرورة بشرية، فريضة شرعية يفرضها الشرع الحنيف، وضرورة يحتمها الواقع الأليم، الذي تعيش فيه البشرية، وما لا يتحقق الواجب إلا به فهو واجب.

وبعض الناس يفهم أن الدعوة إلى الله محصورة في العلماء والدعاة المختصين في العلوم الشرعية فقط، وهذا فهم محدود، والصواب أن الدعوة إلى الله مسؤولة كل مسلم، من

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ط، عالم الكتب ٢/٢٩٩.

(٢) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ محمد الغزالي ص ٤١٦.

الخواص والعوام، من الذكور والإناث، من الموظفين والحرفيين، كل على قدر علمه وفهمه واستطاعته.

فكل المسلمين تابعون للنبي ﷺ في الإسلام والدعوة والتبليغ، والنبي ﷺ مكلف بالدعوة والتبليغ هو ومن اتبعه، فتصبح الدعوة إلى الله مسؤولية الجميع، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتُ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٠٨) ﴿١﴾.

- إن تبليغ الدعوة إلى الله ﷻ وحراسة الدين، يقتضى- من الأمة أن تعين فئة للقيام بهذا الدور على الوجه المطلوب، ألا وهم العلماء والدعاة، فيفرغون أنفسهم للقيام بهذا الدور المنشود، فالدعوة سبب لفلاح الأمة في الدارين، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) ﴿٢﴾.

قال ابن كثير -رحمه الله-: (والمقصود بمن في الآية ولتكن منكم أن تكون فرقة من هذه الأمة المتصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه) (٣).

فالأمر في الآية للوجوب، والأمة هم العلماء الدعاة الساهرون على حراسة الدين الإسلامي، وتبليغه في كل بقعة من بقاع الأرض، فالتبليغ في حق كل مسلم، واجب على قدر علمه واستطاعته، وفي حق هؤلاء الدعاة أشد وجوبا، لتفرغهم للقيام بهذا الدور العظيم، الذي لا ينهض به غيرهم.

١ سورة يوسف الآية (١٠٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

(٣) تفسير ابن كثير ٩١/٢.



فليكن شعار المسلمين (كلنا دعاة إلى الله) كما كان الصحابة كلهم دعاة إلى الله، كل على حسب استطاعته ومقدرته.

ولكن المبلغين للدعوة درجات في المستوى، فهناك الدعاة المتخصصون، وهناك المعروفون بالإسلام، وهناك عوام المسلمين. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه، إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز لم يطالب به)(١).

والدعوة الإسلامية تحتاج إلى التبليغ للبشرية كلها، وإنقاذ للشعوب، وإصلاح المجتمعات ولا يمكن تحقيق ذلك إلا من خلال واجب تبليغ الدعوة إلى الناس أجمعين.

٢- لقد كان النبي ﷺ وهو الداعية الأول في الأمة الإسلامية هو المكلف بتبليغ الدعوة إلى الناس في عصره، فإذا آمنوا به وبدعوته حملهم عبء الدعوة والتبليغ معه، ليواصلوا الطريق من بعده، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (٢١٤) (٢).

وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ (١) قُرْآنًا ذَرِّيرًا (٢)﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ (٤).

(١) انظر مجموعة الفتاوى الكبرى لابن تيمية ٧٧/٢.

(٢) سورة الشعراء الآية (٢١٤).

(٣) سورة المدثر الآيتان (١-٢).

(٤) سورة المائدة من الآية (٦٧).

وصعد النبي ﷺ إلى جبل الصفا فنادى في بطون قريش يا بنى فلان فاجتمعت حوله القبائل ثم قال لهم مبلغا دعوة ربه: "أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بطن هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكتتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قط" (١).

ولما أقام النبي ﷺ دولة الإسلام في المدينة كانت كتبه إلى الملوك والرؤساء تمثل الصورة الراقية المشرقة من التبليغ والبيان الواضح، وإنزال الناس منازلهم، فكانت كتبه إلى هرقل عظيم الروم، وإلى كسرى عظيم فارس، وإلى المقوقس عظيم مصر، وإلى النجاشي ملك الحبشة، وإلى غيرهم من الملوك والأمراء، مما يدل على سعة تبليغ الدعوة وعالميتها.

وإذا كان الله ﷻ أمر النبي ﷺ بتبليغ الدعوة فبذل كل ما في وسعه من جهد وطاقة لتبليغ دعوة ربه فإن النبي ﷺ أمر الصحابة والأمة من بعد، بمواصلة طريق البلاغ الواضح المبين.

٣- لقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالبلاغ الواضح المبين في جملة من الأحاديث التي تدل على وجوب التبليغ مثل قوله ﷺ: "بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً" (٢). وقوله ﷺ: "ليبلغ الشاهد الغائب" (٣). وقوله ﷺ: "نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه" (٤).

فمن سمع أو حفظ أو تعلم آية واحدة من القرآن، أو حديثا واحدا من أحاديث الرسول ﷺ وجب عليه أن يبلغ ذلك للآخرين على قدر علمه وفهمه واستطاعته من أمور الدين.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٩٧١) عن عبد الله بن عباس ؓ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٤٦١) عن عبد الله بن عمرو بن العاص ؓ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٠٥) عن أبي بكر نفيع بن الحارث ؓ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٨٦٠) عن زيد بن ثابت ؓ.



وكل من سمع من الصحابة أو بلغته هذه الأحاديث السابقة، كان مكلفاً بالدعوة، ولم يكن كلهم من العلماء المختصين في العلوم الشرعية.

ولا يشترط في المبلغ أن يكون عالماً أو فقيهاً بالدين كله، بل إن الأمر مقصور على ما تعلمه، أو حفظه من أمور الدين.

- وفي إرساله ﷺ الصحابة إلى القرى والمدن، ليلغوهم الإسلام، ويعلموهم تعاليمه، أكبر شاهد على تبليغ الدعوة، فقد أرسل مصعباً إلى المدينة، ومعاذاً إلى اليمن، وأبا ذر إلى غفار، والطفيل بن عمرو الدوسي إلى دوس، فكل ذلك يدل على التطبيق العملي من النبي ﷺ بتكليف الصحابة بمهام الدعوة إلى الله ﷻ.

- ومن فقه الإمام البخاري - رحمه الله - في ترجمته ترجم في صحيحه باباً بعنوان: (باب وصاة النبي ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم) (١). وكذلك ترجم الإمام مسلم - رحمه الله - باباً بعنوان: (باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وتبليغه من لم يبلغه) (٢).

- ففي قصة أبي ذر ﷺ فقال له النبي ﷺ: "ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَصْرُخَنَّ بِهَا بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَخَرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، ثُمَّ قَامَ الْقَوْمُ فَصَرَ بُوهُ حَتَّى أَضْجَعُوهُ،

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢٤٢/١٣.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٤٦/١.

وَأَتَى الْعَبَّاسُ فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، قَالَ: وَيْلَكُمْ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنْ غِفَّارٍ، وَأَنَّ طَرِيقَ تِجَارِكُمْ إِلَى الشَّامِ، فَأَنْقَذَهُ مِنْهُمْ، ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِ لِيُثْلِهَا، فَضَرَبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ، فَأَكَبَّ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ" (١).

-وفي قصة الطفيل بن عمرو الدوسي رضي الله عنه يقول: "فأسلمت ثم دعوت دوسًا إلى الإسلام فأبطأوا عليّ ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت يا رسول الله إِنَّهُ قد غلبني على دوس الزنا فادعُ الله عليهم قال اللهم اهدِ دوسًا ارجع إلى قومك فادعهم وارفق بهم قال فلم أزل بأرض دوسٍ أدعوهم إلى الإسلام حتى هاجر رسولُ الله إلى المدينة ومضى - بدرَ وأُحدَ والخندق ثم قدمتُ على رسولِ الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلمَ معي من قومي ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم بخيرٍ حتى نزلتُ المدينة بسبعين أو ثمانين بيتًا من دوسٍ فلحقنا برسولِ الله بخيرٍ فأسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسولِ الله صلى الله عليه وسلم حتى فتح اللهُ عليه مكة" (٢).

-وفي قصة وفد بني ليث يقول مالك بن الحويرث رضي الله عنه: "فَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَنَحْنُ شَبِيَّةٌ، فَلَبِثْنَا عِنْدَهُ نَحْوًا مِنْ عَشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم رَحِيمًا فَقَالَ: لَوْ رَجَعْتُمْ إِلَى بِلَادِكُمْ، فَعَلِمْتُمْوَهُمْ مُرُوهُمُ، فَلْيُصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ، فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ وَلْيُؤَمِّمْكُمْ أَكْبَرُكُمْ" (٣).

ففي النماذج السابقة يتضح أن الفترة التي قضوها مع النبي قصيرة لا تكفي لصناعة عالم، لكنه علمهم أشياء، وأمرهم أن يبلغوها ويعلموها لقومهم، فحملوا مسؤولية تبليغ الدعوة إلى من وراءهم، لأنهم مكلفون بذلك شرعا.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٨٦١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٩٧/٣ مرسل وله شواهد عن محمد بن اسحاق رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٨٥) عن مالك بن الحويرث رضي الله عنه.



٤- إن كل إنسان في هذا الوجود يعرض نفسه للخسران المبين، ما لم يسلك طريق الحق، الذى عناه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ (٣)﴾ (١).

فلا بد من الإيمان الصادق، والعمل الصالح المتواصل مع الأمة المسلمة، وهذا يقتضى- الثبات على طريق الحق، وتحمل تبعاته بالصبر على تكاليف الدعوة الإسلامية وتبليغها، فالنجاة من الخسران متعلقة في القيام بهذه الشروط السابقة، وهذا ما ينبغي أن ينشغل به كل مسلم، ومن مقتضيات العمل الصالح تبليغ الدعوة المتمثلة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، الذى هو الركن الركين، من أركان هذا الدين الإسلامي الحنيف. فالدعوة إلى الله سبب للنجاة من الخسران في الدنيا والآخرة.

٥- إن الدعوة إلى الإسلام وتبليغه، المتمثلة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، واجب شرعي، لا يجوز لمسلم أن يتخلف عن ركبه، ولا يقعد عن أداء دوره في توصيله، ويشمل ذلك الرجل والمرأة معا، لقيام الأدلة على ذلك، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢).

فالصلاة والزكاة من أركان الإسلام، ولن يقوم هذا الواجب إلا بالدعوة، المتمثلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذى هو صمام الأمان للأمة الإسلامية، ويقوم بالدعوة كل آحاد المسلمين حسب حاله، وطاقته، وإيانه، وإدراكه لأحوال المدعوين، وواقع المجتمعات التي يعيش فيها.

(١) سورة العصر الآيات (١-٣).

(٢) سورة التوبة الآية (٧١).

-لقد فضل الله ﷺ الأمة الإسلامية على غيرها من الأمم السابقة لقيامها بهذا الدور الفعال، من أجل الحفاظ على سير البشرية نحو الله ﷻ فالدعوة سبب للفوز بخيري الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (١).

والتعبير هنا بقوله ﷻ: (كنتم) يشمل المسلمين جميعا في مشارق الأرض ومغاربها، على اختلاف أجناسهم، وألوانهم، وألسنتهم، ومستوياتهم، فهم كلهم أصحاب رسالة وتبليغ، وذلك من أجل أن يحققوا عزهم وشرفهم ومجدهم، وقوله تعالى: (أخرجت) يفيد اصطفاة الله لهذه الأمة، فهي لم تخرج من نفسها، ولم تدع القيام بهذا الدور من ذاتها، وإنما أخرجها الله من ستار الغيب، وأظهرها في الوجود تحقيقا لتبليغ الدعوة إلى الناس.

فخيرية الأمة مرتبطة بالقيام وشروط الانتماء إلى الله، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي مسؤولية كل المسلمين أجمعين، وليست الدعوة محصورة في طائفة خاصة من العلماء والأئمة والدعاة والخطباء.

ومن الأدلة على وجوب الدعوة أيضا، أقوال العلماء القدامى، في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا طرف منها.

قال الجصاص-رحمه الله-: (أكد الله ﷻ وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مواضع من كتابه، وبينها رسول الله ﷺ في أخبار متواترة، وأجمع السلف وفقهاء الأمصار على وجوبها)(٢).

(١) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٢) انظر أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٣١٥-٣١٦-٣١٧.



وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: (وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة، فمجموع أمته تقوم مقامه في الدعوة إلى الله ولهذا كان إجماعهم حجة قاطعة، فأمرته لا تجتمع على ضلالة) (١).

وقال ابن حزم - رحمه الله -: (اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بلا خلاف من أحد) (٢).

وقال القرطبي - رحمه الله -: (أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البر أن المنكر واجب تغييره على كل من قدر عليه) (٣).

٦ - لقد لعن الله ﷻ فئة من بنى إسرائيل، حينما تخلوا عن هذا الواجب، الذي تسبب في ضياع مجتمعاتهم، وانحرافهم عن الهدى والرشاد، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ (٤).

وهذا ما بينه النبي ﷺ محذرا الأمة حتى لا تقع فيما وقع فيه بنو إسرائيل من انحراف فقال: "لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي، نهتهم علماءهم فلم ينتهوا، فجالسوهم في مجالسهم، وآكلوهم وشاربوهم، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم" (٥).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥/١٦٦.

(٢) الفصل في الأهواء والملل والنحل لابن حزم الأندلسي ٢/١٣٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن الكريم للقرطبي ٤/٤٨.

(٤) سورة المائدة الآيتان (٧٨-٧٩).

(٥) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٠٤٧) وقال حسن غريب، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

وقال ﷺ: "لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يعمكم بعذاب من عنده ثم تدعوه فلا يستجيب لكم" (١).

فإذا لم تقم الأمة الإسلامية بمسئوليتها في الدعوة إلى الله ﷻ وتبليغها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فسوف يتخلى الله عن نصرتها، وينزل عليها عذاباً من عنده، ليذيقها وبال أمرها، وليس لها من ولى أو نصير.

٧- إن الأمة الإسلامية مأمورة بتبليغ الدعوة إلى الله ﷻ في الداخل والخارج، أما في الداخل فهناك خطب الجمعة، ومجالس العلم والوعظ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الأحاديث التي تدل على وجوب الدعوة، بتقديم النصيحة، وتغيير المنكر، حديث النبي ﷺ: "مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعاً" (٢).

فالحديث يمثل رقابة الفرد على المجتمع، والمجتمع على الفرد، فكل عليه مسؤولية نحو الآخر، ومنها الأخذ على يد العابثين والمفسدين بأمن السفينة وركابها، حتى تسلم السفينة والأمة، وتصل إلى شاطئ الأمان، وبر السلامة.

(١) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٣٣٦). عن عبد الله بن مسعود ؓ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٤٩٣) عن النعمان بن بشير ؓ.



وأما في الخارج بأن يدعوا المسلمون غيرهم من الأمم إلى الإسلام، مستشعرين دورهم في إنقاذ العالم من الكفر والشرك والإلحاد، ولقد انطلق الرعيل الأول من الصحابة لتطبيق ذلك في فتوحاتهم شرقاً وغرباً.

ومن بين المواقف المشهورة في ذلك، موقف ربعي بن عامر قبل معركة القادسية، وقد حكى كتب التاريخ هذا الموقف الرائع، كما ذكره العلامة محمد الخضر حسين فيقول: (ثم إن رستم سار بجيشه من الحيرة حتى نزل القادسية على العتيق جسر- القادسية أمام عسكر المسلمين، يحول بينهم النهر، ومع الفرس ثلاثة وثلاثون فيلاً، ولما نزل أرسل إلى سعد أن ابعث إلينا رجلاً نكلمه.

فأرسل إليه: ربعي بن عامر فجاءه وقد جلس على سرير من ذهب! وبسط النهارق والوسائد منسوجة بالذهب! فأقبل ربعي على فرسه، وسيفه في خرقة (١). ورمحه مشدود بعصب (٢). فلما انتهى إلى البساط وطئه بفرسه، ثم نزل وربطها بوسادتين شقهما! وجعل الحبل فيهما، ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها، فأشاروا عليه بوضع سلاحه، فقال: لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم، وإنما دعوتوني، ثم أقبل يتوكأ على رمحه، ويقارب خطوه حتى أفسد ما مر عليه من البسط، ثم دنا من رستم، وجلس على الأرض، وركز رمحه على البساط، وقال: إنا لا نقعد على زينتكم.

فقال له رستم: ما جاء بكم؟ قال: "الله جاء بنا، وهو بعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام فأرسل لنا

(١) الخرقة: القطعة من الثوب الممزق.

(٢) العصاب: ما يشد به من خرقة أو منديل.

رسوله بدينه إلى خلقه، فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه، وتركناه وأرضه، ومن أبى قاتلناه حتى نفضى إلى الجنة، أو الظفر".

فقال رستم: قد سمعنا قولكم، فهل لكم أن تؤخروا هذا الأمر حتى ننظر فيه؟ فقال "نعم، وإن مما سن لنا رسول الله ﷺ ألا نمكن الأعداء أكثر من ثلاث، فنحن مترددون عنكم ثلاثاً، فانظر في أمرك، واختر واحدة من ثلاث بعد الأجل: الإسلام وندعك وأرضك، أو الجزاء فنقبل ونكف عنك، وإن احتجت إلينا نصرناك، أو المنابذة (١) في اليوم الرابع إلا أن تبدأ بنا، وأنا كفيلاً بذلك عن أصحابي".

فقال رستم: أسيدهم أنت؟ قال: "لا، ولكن المسلمين كالجسد الواحد بعضهم من بعض، يميز أديانهم على أعلاهم" ثم انصرف، فخلا رستم بأصحابه، وقال: رأيتم كلاماً قط مثل كلام هذا الرجل؟ فأروه الاستخفاف بشأنه!

فقال رستم: ويلكم إنما أنظر إلى الرأي والكلام والسيرة، والعرب تستخف اللباس وتصون الأحساب (٢).

هذا هو مفهوم رسالة المسلم والدولة عند ربي بن عامر، وعند الجيش المسلم في الفتوحات الإسلامية، إن الله قد ابتعث هذه الطائفة؛ لتقوم بمهمة سامية، وهي نشر الدين وتبليغ الرسالة، وليست للبحث عن الغنائم، أو الإفساد في الأرض. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي

(١) المنابذة: نأبذ الحرب: جاهر بها.

(٢) إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء. الشيخ/ محمد الخضر حسين ص ٧٥-٧٦. ط/ دار المعرفة بيروت لبنان ط الثانية ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م.



الْأَرْضِ فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٣٦﴾ (١).

-ومما سبق يتبين أن الأدلة قامت على أن الدعوة إلى الإسلام بين المسلمين وغيرهم أمر واجب، لأنه تكليف إلهي للمسلمين، ومرتبطة بخيرية الأمة وفلاحها في الدنيا والآخرة، وهذا ليس فيه اختيار للمسلم أن يفعله أو لا يفعله. وإذا لم تقم الأمة أو أفرادها بذلك، فقد ذهبت عنها خيريتها، وعرضت نفسها للخسران المبين.



الدعوة بين الواجب العيني والكفائي.

ففرض العين هو الأمر المطلوب فعله بالشرع من كل فرد مكلف، بشكلٍ جازمٍ لازم، أما فرض الكفاية فهو الأمر المطلوب في الشرع من جماعة من المكلفين، ولم يُفرض على كل فردٍ مكلفٍ، بحيث إن أدته جماعة المكلفين سقط عن الباقيين، وإن لم يؤدّه أحدٌ نال الإثم الجميع.

ويُمكنُ أن يتحوّل فرض الكفاية إلى فرض عين في حالاتٍ معيّنة؛ كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمثلاً إذا رأى المسلم من يرتكب المعصية ولم يكن هنالك أحد غيره - أي لا يوجد إلا هو - ليقوم بالنصح فيصح الفرض في هذه الحالة فرض عين بعد أن كان فرض كفاية.

واختلف العلماء في تعيين الوجوب هل هو واجب عيني على كل فرد بعينه، أم واجب كفائي إذا قام به البعض سقط الإثم والخرج عن الباقيين.

القول الأول: الواجب العيني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (١٢٥) ﴿١﴾. جاءت صيغة الأمر في "اذع" لتكون دلالة على الوجوب العيني، أي أثمها واجبة على كل شخص.

قال ابن حزم -رحمه الله-: (والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان على كل أحد على قدر طاقته باليد، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يقدر فبقلمه، وذلك أضعف الإيمان، وليس وراء ذلك من الإيمان شيء) (٢).

واستدل وهذا الفريق بأن كلمة من في الآية بيانية، والأمر في الآية عام يدل على العموم، وأن الله ذم بنى اسرائيل ولعنهم على لسان أنبيائه لتركهم هذا الواجب،

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) ﴿٣﴾. ﴿ ٧٨ ﴾ ﴿٣﴾. ﴿ ٧٨ ﴾ ﴿٣﴾.

وقالوا بأن حديث: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعْبِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ) (٤). صريح في لزوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لزوم عيني.



(١) سورة النحل الآية (١٢٥).

(٢) المحلى لابن حزم الظاهري ٢٦/١، ٢٧ المسألة رقم (٤٨) باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٣) سورة المائدة الآيتان (٧٨-٧٩).

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٩) عن أبي سعيد الخدري ؓ.



القول الثاني: الواجب الكفائي.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الإثم عن الباقين. قال شيخ الإسلام-رحمه الله-: (وقد تبين أنها واجبان على كل فرد من أفراد المسلمين، وجوب فرض كفاية، لا وجوب فرض عيان، كالصلوات الخمس، بل كوجوب الجهاد) (١).

قال النووي-رحمه الله-: (إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقين، وإذا تركه الجميع، أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف، ثم إنه قد يتعين لمن إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو) (٢).

والخلاصة كما يقول الطبري: (الخلاف يدور حول تفسير كلمة (من) في قوله (ولتكن من منكم أمة) فالذين يقولون الوجوب العيني يفسرونها بأنها للتبيين وليست للتبعيض، ومثل ذلك في قوله تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان...) فالله قد أوجب على الأمة كلها الدعوة بقوله تعالى (كنتم خير أمة). وبالحدِيث (من رأى منكم منكراً فليغيره).

والقائلين بالوجوب الكفائي يفسرون (من) بأنها للتبعيض لأن في المسلمين من لا يستطيع القيام بهذا الدور لعجز أو مرض أو جهل، ومن ثم فهذا الدور منوط بالعلماء والله يقول (فلولا نفر من كل فرقة) (٣).

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٥ / ١٦٦.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٢ / ٢٤.

(٣) انظر التفسير الكبير للرازي ٨ / ١٦٦ ط/ بيروت دار احياء التراث العربي ط/ الثالثة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومجموع أمة محمد تقوم مقامه في الدعوة إلى الله، وكل واحد من الأمة يجب عليه أن يقوم من الدعوة بما يقدر عليه، إذا لم يقم به غيره، فما قام به غيره سقط عنه، وما عجز لم يطالب به، وأما ما لم يقم به غيره وهو قادر عليه فعليه أن يقوم به، ولهذا يجب على هذا ما لا يجب على هذا، وقد تقسّطت الدعوة على الأمة بحسب ذلك تارة، وبحسب غيره أخرى، وقد تبين بهذا أن الدعوة إلى الله تجب على كل مسلم، لكنها فرض على الكفاية، وإنما يجب على الرجل المعين من ذلك ما يقدر عليه، إذا لم يقم به غيره)(١).

والخلاصة إن الدعوة منها ما هو فرض عين على كل أحد من المسلمين مثل من اطلع على مُنكرٍ لم يعلم به سواه، ومنها ما هو فرض كفاية قد يتعين على بعض الناس دون بعض أيضاً. وفي الحقيقة يعد هذا الخلاف نظرياً، لأن الواجب يبقى واجبا، سواء كان بصورة فردية أو جماعية، غير أن الكفائي إذا قام به بعض الأفراد، يرتفع الاثم والخرج عن آحاد الناس، وأفراد الأمة.



عقوبة ترك الدعوة إلى الله ﷻ على المسلمين وغيرهم.

١- الاستبدال من الله للمسلمين بقوم آخرين، يقومون بتبليغ الدعوة وتحمل تبعاتها، قَالَ تَعَالَى:

﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْاْ يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (٣٨)

٢- اللعن والحرمان من رحمة الله تعالى، بسبب عدم القيام بواجب الدعوة، المتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦٥/١٥-١٦٦.

(٢) سورة محمد الآية (٣٨).



دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ (١).

٣- وقوع العداوة والبغضاء بين الناس، حينما ينسون ما دعاهم إليه الأنبياء، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ
وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ (٢).

٤- التدمير والهلاك من الله للمكذبين والمعرضين عن الدعوة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا
بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَعْتَهُ فَاذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَفُطِعَ
دَائِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ (٢). قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ
أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا
عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ (٤).

٥- وقوع الفرقة والخلاف بين المسلمين، عند غياب واجب الدعوة، والنصح والإرشاد والتوجيه
والإصلاح، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ (٥).



(١) سورة المائدة الآيتان (٧٨-٧٩).

(٢) سورة المائدة الآية (١٤).

(٣) سورة الأنعام الآيتان (٤٤ - ٤٥).

(٤) سورة الأعراف الآيتان (١٦٥-١٦٦).

(٥) سورة آل عمران الآيتان (١٠٤-١٠٥).

خامسا: حكم من لم تبلغه الدعوة.

إن غير المسلمين أمام تبليغ الدعوة الإسلامية ثلاثة أصناف: من بلغته الدعوة بصورة واضحة عن الإسلام والقرآن والرسول ﷺ وهؤلاء محاسبون إن لم يقبلوا الدعوة، وإن ماتوا على ذلك فهم في نظر الإسلام كفار من أهل النار.

وأما من لم تبلغه دعوة الإسلام، ولم يسمع عنها شيئا، ولا عن القرآن، ولا عن الرسول ﷺ فهؤلاء حكمهم حكم أهل الفترة، وتوجه التبعة والتقصير على أهل الإسلام في عدم تبليغهم. ومن بلغتهم الدعوة الإسلامية وسمعوا عن الإسلام والقرآن والرسول ﷺ لكن بصور مشوهة أو منفرة، فهؤلاء حكمهم حكم أهل الفترة، يعامل على دينه، وفي الآخرة أمره إلى الله (١).



وأما اليهود والنصارى فهناك اتفاق بين علماء المسلمين أنهم أهل الكتاب، لأن القرآن ساءهم بذلك، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤) (٢). وقال تعالى: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَفِيلِينَ ﴾ (١٥٦) (٣).

(١) انظر مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، الشيخ/ محمد الغزالي ص ٦٦.

(٢) سورة آل عمران الآية (٦٤).

(٣) سورة الأنعام الآية (١٥٦).



والقرآن أضاف اليهود والنصارى فقط للكتاب في قوله: (يا أهل الكتاب) إضافة تشریف لهم، ودفعتهم للإيمان بما جاء به محمد من كتاب ورسالة، فالأصول من مصدر واحد، وهذا من مقتضى إيمانهم بالكتب السابقة المنزلة على أنبيائهم السابقين.

قال ابن القيم -رحمه الله- في أحكام أهل الذمة، أصناف الكفار: (الكفار: إما أهل حرب، وإما أهل عهد.. وأهل العهد ثلاثة أصناف: أهل ذمة، وأهل هدنة، وأهل أمان.. ولفظ "الذمة والعهد" يتناول هؤلاء كلهم في الأصل، فإن الذمة من جنس لفظ العهد والعقد، ولكن صار في اصطلاح كثير من الفقهاء: أهل الذمة عبارة عمّن يؤدي الجزية، وهؤلاء لهم ذمة مؤبدة، وهؤلاء قد عاهدوا المسلمين على أن يجري عليهم حكم الله ورسوله إذ هم مقيمون في الدار التي يجري فيها حكم الله ورسوله..

بخلاف أهل الهدنة، فإنهم صالحوا المسلمين على أن يكونوا في دارهم، سواء كان الصلح على مالٍ أو غير مال، ولا تجري عليهم أحكام الإسلام كما تجري على أهل الذمة ولكن عليهم الكف عن محاربة المسلمين، وهؤلاء يسمون أهل العهد والصلح والهدنة...

وأما المستأمن فهو الذي يقدم بلاد المسلمين من غير استيطان لها، وهؤلاء أربعة أقسام: رُسل، وتجار، ومُستجرون حتى يُعرض عليهم الإسلام والقرآن، فإن شاءوا دخلوا فيه، وإن شاءوا رجعوا إلى بلادهم، وطالبوا حاجة وزيارة.. وحكم هؤلاء: ألا يُهاجروا، ولا يُقتلوا، ولا تؤخذ منهم الجزية، وأن يُعرض على المستجير منهم الإسلام والقرآن فإن دخل فيه فذاك، وإن أحب اللحاق بمأمنه ألحق به، ولم يُعرض له قبل وصله إليه، فإذا وصل مأمنه عاد حربياً كما كان" (١).

أما ما عداهم من أصحاب الكتب السابقة فمحل خلاف فالصابئة- وهم عبدة الكواكب- أدخلهم ابن كثير في أهل الكتاب فعند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصْرِيَّةَ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧) عن جماعة من العلماء أن الصابئين هم فرقة من أهل الكتاب يقرأون الزبور، ويسكنون شمال العراق(١).

والمجوس: هم عبدة النار، وهم أيضا محل خلاف، فيرى الشافعي وابن حزم أنهم أهل الكتاب، وجمهور العلماء يرون أنهم ليسوا من أهل الكتاب، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (١٥٦) (٢).

فلو كان المجوس أهل كتاب لكان أهل الكتاب ثلاثة طوائف، قال ابن قدامة: (ليس للمجوس كتاب، ولا تحل ذبائحهم، ولا نكاح نسائهم، نص عليه الإمام أحمد) (٣).

وقول النبي ﷺ: "سنوا بهم سنة أهل الكتاب" (٤). دليل على أنه لا كتاب لهم، وإنما أراد النبي ﷺ حقن دمائهم وإقرارهم بالجزية لا غير(٥). قال ابن القيم -رحمه الله-: (أجمع الفقهاء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس) (٦).

(١) انظر تفسير ابن كثير ١١/١ والآية من سورة الحج (١٧).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٦).

(٣) المغنى لابن قدامة ٥٩١/٦ والآية من سورة الأنعام (١٥٦).

(٤) الحديث ذكره ابن عبد البر التمهيد ١١٤/٢ منقطع ومعناه متصل من وجوه حسان، عن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٥) المغنى لابن قدامة ٥٩٢/٦.

(٦) أحكام أهل الذمة لابن القيم ١/١.



ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف: "أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوس هجر" (١).

وحكم أهل الذمة المعاهدين الذين يسكنون المسلمين في ديارهم، ويدفعون الجزية، أنهم يخضعون للأحكام الإسلامية، في غير ما أقروا عليه من أحكام العقائد والعبادات والزواج والطلاق والمطعمات والملبوسات. ولهم على المسلمين الكف عنهم وحمائتهم، فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين.

قال الماوردي: (ويلتزم -أي الإمام- لهم ببذل حَقَّين: أحدهما: الكف عنهم. والثاني: الحماية لهم، ليكونوا بالكف آمنين، وبالحماية محروسين) (٢).

وقال النووي: (ويلزنا الكف عنهم، وضمان ما نُتلفه عليهم، نفساً ومالاً، ودفع أهل الحرب عنهم) (٣).

والغرض من عقد الذمة مع الكتابي والمجوسي: أن يترك القتال، مع احتمال دخوله الإسلام عن طريق مخالطته للمسلمين، ووقوفه على محاسن الدين، فكان عقد الذمة للدعوة إلى الإسلام، لا للرغبة في المال.

والخلاصة أن المجوس لا يدخلون في مسمى أهل الكتاب، وهذا المصطلح يخص أصحاب الكتب السابقة فقط، من اليهود والنصارى دون غيرهم، وإن كان يؤخذ منهم الجزية بقول الرسول ﷺ في الحديث السابق.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب (٣١٥٧).

(٢) الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٣.

(٣) انظر مغني المحتاج ٤/٢٥٣.

إن كل من بلغته الدعوة بصورة صحيحة وواضحة، لا لبس فيها ولا غموض، فقد قامت عليه الحجج البالغة، والأدلة الدامغة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ۝١١٥﴾ (١).

فالمقصود بالهدى في الآية، الأدلة والبراهين، فمن جاءته ثم لم يؤمن بها عامدا فهو كافر من أهل النار، لأنه أصر على الكفر، وعاند وكابر الحق، واستحب العمى على الهدى، والله يقول نوله ما تتولى، يقول د جمعة الخولي: (والكافر هو الذي عرضت عليه هذه الحقيقة عرضا لا يشوبه لبس، ولا يخالطه تحريف ولا تشويه، فعقلها كما جاءت من عند الله، ومع ذلك أثر جحدها، واختار إنكارها، ورفض الإذعان لها، مع استطاعته أن يهدي قلبه، ويرضي ربه، فذلك نجزم بأنه هالك بائر، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٢٨﴾ (٢).

ومما يؤكد ما سبق، أن الأمم التي عاقبها الله من قبل بالهلاك والتدمير، كان ذلك بعد الإنذار الواضح المبين، والآيات والمعجزات، على أيدي الرسل، فكذبوا الرسل، وتمردوا على الآيات المنزلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا ۖ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ۝١٠١﴾ (٣).



(١) سورة النساء الآية (١١٥).

(٢) كيف نبلغ الدعوة الإسلامية إلى الامم الأجنبية د جمعة الخولي ص ٤٢-٤٣ والآية من سوره محمد (٣٨).

(٣) سورة الأعراف الآية (١٠١).



سادسا: فضل الدعوة إلى الله ﷻ.

١- الدعوة إلى الله ﷻ هم أحسن الناس قولا وعملا ونسبا وشرفا، وذلك بشهادة القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) (١).

ولما قرأ الحسن البصرى هذه الآية علق عليها قائلا: (هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاز الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاز الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال إنني من المسلمين، هذا خليفة الله) (٢).

فحديثهم الدعوة إلى الله ﷻ التي هي أسمى المقاصد وأعلاها، فلا أحد أحسن منهم قولا ومنطقا، وحسن الوسيلة من حسن القصد والهدف، وهم أحسن الناس عملا؛ لأنهم يمثلون القدوة الصالحة فيما يدعون الناس إليه، وهم أشرف الناس نسبا، لأنهم يتسبون إلى جماعة المسلمين العامة لا تعصبا لعائلة، أو حزب، أو جماعة خاصة، فابتعدوا عن العصبية البغيضة.

٢- الدعوة إلى الله عملهم خير عمل في الدنيا كلها، بما فيها ومن فيها، وفي الحديث: " فو الله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم " (٣).

ومن ثم فعمل الداعية أتمن الأعمال وأعلاها، لأن ثوابه من الله وحده، وكل ما في الدنيا من زخارف ومتاع وزينة، لا يساوي هداية رجل واحد إلى الإسلام، يكون الداعية سببا في

(١) سورة فصلت الآية (٣٣).

(٢) تفسير القرآن العظيم/ للإمام ابن كثير ١٠١/٤.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٧٠١) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

هدايته وعودته إلى الله ﷻ. يقول ابن القيم: (أنفع الناس لك رجل مكنك من نفسه حتى تزرع فيه خيراً أو تصنع إليه معروفاً فإنه نعم العون لك على منفعتك وكمالك، فانتفاعك به في الحقيقة مثل انتفاعه بك أو أكثر، وأضر الناس عليك من مكن نفسه منك حتى تعصي الله فيه، فإنه عون لك على مضرتك ونقصك) (١).

٣- الدعاء إلى الله ﷻ هم خيرة الناس، وهم من خير أمة جاءت إلى هذا الوجود، قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢). فهم طليعة الأمة وقادتها إلى الهدى والرشاد، وهم يعملون على صيانة الأمة من الشر والفساد، والخيرية تعنى العلو والشرف والمكانة الرفيعة، وليس بعد تلك المنزلة مكانة، فجمعوا بين خيرية العمل وخيرية الأمة.

٤- الدعاء إلى الله ﷻ هم أهل البصيرة والبرهان، لأنهم يستضيئون بأنوار التنزيل وضيائه، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦٠).

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ (٣).

(١) الفوائد لابن القيم ص ١٩٢.

(٢) سورة آل عمران من الآية (١١٠).

(٣) سورة إبراهيم الآية (٥).



٥- الدعوة إلى الله ﷻ هم ورثة الأنبياء والمرسلين قال ﷺ: "العلماء ورثة الأنبياء" (٦١). فقد ورثوا العلم من الأنبياء والمرسلين، وما أعظمه من ميراث، ليحيي الأمة من موات، ويوقظها من غفلة، وينبهاها من رقدة، ويفيقها من سكرة.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (١).

وما أعظمها من حياة في ظل تعاليم القرآن، وميراث الأنبياء، من الإيمان والعلم والحمة.

٦- الدعوة إلى الله ﷻ هم أنضر الناس وجوهاً، وأعظمهم فهماً، وأحسنهم أداءً، فجمعوا بين جمال الخلقة والخلق، وفي الحديث: "نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها، فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع" (٢).

٧- الدعوة إلى الله ﷻ هم المفلحون في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (١٠٤) (٣).

ففلاحهم مستمد من جهادهم في مجال الدعوة، فكتب الله لهم العزة والتمكين في الدنيا، والفوز بالجنة في الآخرة، وهل بعد ذلك من نجاح أو فلاح، أو بعد شهادة الله شهادة.

٨- الدعوة إلى الله ﷻ هم أهل النصر والمحبة والجهاد والفضل والنفع، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ رَّبِّدِّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (٤).

(١) سورة الأنفال من الآية (٢٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٣٦٦٠). إسناده صحيح، عن زيد بن حارثة ؓ.

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

(٤) سورة المائدة من الآية (٥٤).

فهم الفئة البديلة التي يأتي الله بها لنصرة الحق، ويتسمون بمحبة الله وحبهم له، ويحيون في لين وتواضع مع إخوانهم، وفي شدة وعزة على غيرهم، لذلك فهم أشجع الناس قلباً، وهم أهل لفضل الله ونصرته، وتوفيقه وسداده.

وهم أكثر الناس في تقديم الخير للناس، بل إن حياتهم كلها مبنية على العطاء والبذل، دون انتظار مقابل من أحد من البشر. وفي الحديث: "أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إلى الله فقال أَحَبُّ النَّاسِ إلى الله أَنْفَعُهُم للنَّاسِ وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إلى الله ﷻ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ على مسلمٍ تَكْشِفُ عنه كُرْبَةً أو تَقْضِي عنه دَيْنًا أو تَطْرُدُ عنه جوعًا ولأن أمشي مع أخٍ في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكفَ في هذا المسجدِ يعني مسجدَ المدينةِ شهراً، ومن كظم غيظَه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ اللهُ قلبه يومَ القيامةِ رضىً ومن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتَّى يقضيها له ثبَّت اللهُ قدميه يومَ تزولُ الأقدامُ" (١).

٩ - الدعاة إلى الله ﷻ ثوابهم مستمر لا ينتهي، وأجورهم دائمة لا تنقطع، قال ﷺ: "من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل ثواب من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً" (٢).

فجميع أعمال الخير التي يدعوا لها الداعية، له مثل ثوابها إلى يوم القيامة، لأنه هو الداعي إليها، والبدال عليها. وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: "من سنَّ في الإسلامِ سنَّةً حسنةً، فعُملَ بها بعده، كُتِبَ له مثلُ أجرِ مَنْ عملَ بها. ولا ينقصُ من أجورهم شيءٌ. ومن سنَّ في الإسلامِ سنَّةً سيئةً، فعُملَ بها بعده، كُتِبَ عليه مثلُ وِزْرِ مَنْ عملَ بها، ولا ينقصُ من أوزارهم شيءٌ" (٣).

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٣٤٧ إسناد ضعيف جدا، لكن قد جاء بإسناد حسن من طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو ؓ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٧٤). عن أبي هريرة ؓ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠١٧). عن جرير بن عبد الله ؓ.



١٠- الدعوة إلى الله ﷻ يستغفر لهم أهل السماء والأرض، وفي الحديث قال ﷺ: "وإن العالم ليستغفر له من في السماوات والأرض، حتى الحيتان في البحار، يقولون اللهم صل على معلم الناس الخير" (١).

١١- الدعوة هم أهل النجاة من عذاب الله إذا نزل البلاء، فإذا شاع الفساد بين الناس، وقام الدعوة بواجبهم، وبذلوا وسعهم، واستفرغوا جهدهم، ولم يستجب الناس لنصحهم، وأنزل الله عليهم البلاء، وصب عليهم العذاب صبا، كان الدعوة هم الفئة الناجية، قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (١١٧) ﴿٢﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمُ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٦٤) ﴿٣﴾ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (١٦٥) ﴿٣﴾.

١٢- الداعي إلى الله يدعو الناس إلى طريق الرشاد والنجاة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُ يَنْقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ (٣٨) ﴿٤﴾ ﴿ إِنَّمَا هٰذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ (٣٩) ﴿٤﴾ ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٤٠) ﴿٤﴾ ﴿ وَيَقَوْمٍ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٤١) ﴿٤﴾.

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في العلم (٢٦٨٢). له طريق سالمة من الضعف والاضطراب، وطريق آخر بإسناد جيد، عن أبي الدرداء ؓ.

(٢) سورة هود الآية (١١٧).

(٣) سورة الأعراف الآيتان (١٦٤-١٦٥).

(٤) سورة غافر الآيات (٣٨-٤١).

- فالدعاة سبب لإنقاذ الناس من النار، أو الوقوع فيها، وفي الحديث قال ﷺ: "مثلي كمثلي رجل استوقد نارًا. فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها. وجعل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها. قال فذليكم مثلي ومثلكم. أنا أخذ بحجزكم عن النار. هلم عن النار. فتغلبوني تقحمون فيها" (١). فالدعاة يقومون بدور الأنبياء بعد رحيلهم، في دلالة الناس على الله وإنقاذهم من الهلاك والعذاب، وهم مكلفون بذلك إلى قيام الساعة.

١٤- الدعاة هم شهداء على الناس يوم القيامة، بأن الناس بلغتهم الدعوة، عن طريق رسلهم، فهم شهداء على الأمم السابقة، بأن الأنبياء بلغوهم الدعوة، وقد قرأ ذلك في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ (١٤٣).

يقول الشيخ السعودي-رحمه الله-: (بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان، ولا يحكم عليهم غيرهم، فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول، وما شهدت له بالرد، فهو مردود. فإن قيل: كيف يقبل حكمهم على غيرهم، والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟ قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين، لوجود التهمة فأما إذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة، كما في هذه الأمة، فإنما المقصود، الحكم بالعدل والحق، وشرط ذلك، العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة، فقبل قولها.

فإن شك شاك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبههم ﷺ فلماذا قال تعالى: (وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٢٤٨) عن أبي هريرة.

(٢) سورة البقرة الآية (١٤٣).



القيامة، وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك، وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيا(١).

ومما سبق يتبين أن الدعوة إلى الله ﷻ هم أحسن الناس قولاً وعملاً ونسباً، وهم خير الناس، ومن خير أمة أخرجت للناس، وهم أهل البصيرة والبرهان، وهم ورثة الأنبياء والمرسلين، وهم أنضر الناس وجوهاً، وأحسنهم فهماً وأداءً، وهم أهل الفلاح في الدنيا والآخرة، وهم أهل النصر والمحبة. كما أن ثوابهم مستمر بعد موتهم، بالإضافة إلى أنهم ناجون من عذاب الله في الدنيا والآخرة، وهم سبب لإنقاذ الناس من النار، كما أن هم شهداء على الناس يوم القيامة، إن شاء الله ﷻ.



(١) انظر تفسير السعدي في تفسير آية البقرة (١٤٣).

سابعاً: خصائص الدعوة الإسلامية.

التعريف بكلمة خصائص: كلمة خصائص: جمع لكلمة خَصِيصَةٌ، والخَصِيصَةُ: هي الصفة التي تميز الشيء وتحدده. جاء في لسان العرب (خَصَّهُ بالشيء يَخْصُهُ خَصًّا وَخُصُوصًا وَخُصُوصِيَّةً، وَاخْتَصَّهُ: أَفْرَدَهُ بِهِ دُونَ غَيْرِهِ، وَيُقَالُ: اخْتَصَّ فَلَانًا بِالْأَمْرِ وَتَخَصَّصَ لَهُ إِذَا انْفَرَدَ) (١).

وفي القاموس المحيط: (خَصَّهُ بالشيء خَصًّا وَخُصُوصًا وَخُصُوصِيَّةً أَي: فَضَّلَهُ وَخَصَّهُ بِالْوَدِّ) (٢).

وفي المصباح المنير: (خصصته بكذا أخصه خصوصاً: من باب قعد إذا جعلته له دون غيره) (٣) فاشتقاق هذه الكلمة تدل على: تفرد الشيء وتفضيله بما لا يشاركه فيه غيره. ومن هنا يتبين أن كلمة خصائص تعنى: ما تفرد به الشيء من مزايا تحدد معالمه، وتميزه عن كل ما سواه، وتفضله على غيره، بما لا يشاركه فيه.

ولا شك أن لكل دين أو رسالة خصائص تعرف بها، تميزها عن غيرها، وتحدد معالمها، وتظهر مزاياها، وتبعدها عن غيرها من الأشباه والنظائر، ورسالة الإسلام لها خصائصها الجامعة

(١) لسان العرب/ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ٨٤١/١ ط/ بيروت لبنان، بدون تاريخ.

(٢) القاموس المحيط/ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ٣١٢/٢ ط/ مصطفى البابي الحلبي ط/ الثانية سنة ١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

(٣) المصباح المنير/ أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ص ١٧١ ط/ المكتبة العلمية بيروت لبنان، وانظر مختار الصحاح محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ص ١٧٧ عنى بترتيبه محمود خاطر ط/ دار الحديث بدون تاريخ، والمعجم الوسيط ٢٤٧/١ مجمع اللغة العربية ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.



المانعة، التي لا تجدها في غير هذه الرسالة الخاتمة، ومن أبرز خصائص الدعوة الإسلامية ما يأتي^(١):-

- | | | | |
|-------------|-------------|--------------|--------------|
| ١- الربانية | ٢- التوحيد | ٣- العالمية | ٤- الشمولية. |
| ٥- الوسطية | ٦- الواقعية | ٧- الإنسانية | ٨- الخاتمة |
| ٩- التجدد | ١٠- التيسير | ١١- الخلود | ١٢- المثالية |
| ١٣- الوضوح | ١٤- الكمال. | | |



١- الربانية:

أول خصيصة من خصائص الدعوة الإسلامية: الربانية، وهي تعنى أن مصدر هذه الدعوة وحى الله ﷺ الذي أنزل على خاتم رسله محمد ﷺ.

والإسلام بهذه الخصيصة يختلف اختلافا جوهريا عن جميع الدعوات السابقة والمعاصرة، لأنه في مصدره ومنهجه رباني مائة في المائة، ولأنه سلم من تدخل يد البشر- فيه بالتحريف والتغيير والتبديل، فلقد تولى الله ﷻ حفظ كتابه بنفسه، وشتان بين حفظ الله ﷻ وحفظ البشر، وقد أعلن الله ذلك لنبيه ﷺ ولأمته فقال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(١).

فالقرآن الكريم منذ أول آية نزلت منه حفوظ عليه أشد المحافظة، بحفظه واستيعابه في الصدور، ونقشه في السطور عقب الوحي به مباشرة، ولم تغفل عنه عين المسلمين لحظة واحدة.

يقول الشيخ محمد الغزالي: (ليس في العالم الآن كتاب تصح نسبته إلى الله وتتقدم الدعوى به محفوفة بالآلاف الأدلة، وتسطع حقيقته في الأذهان سطوع الضحوة الكبرى في الأبصار إلا هذا

(١) هذه نبذة مختصرة عن كل خصيصة، ومن أراد التوسع فليرجع إلى خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ط/ دار الشروق القاهرة. والخصائص العامة للإسلام، ط مكتبة وهبة القاهرة.

(٢) سورة الحجر الآية (٩).

القرآن الكريم، إنه وحده صوت السماء، ووديعه الملاء الأعلى، وكلام الله الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٤٤) (١).

ثم يقول: (الحق أن الوجود الإنساني منذ الأزل لم يعرف كتابا توفرت له ضمانات الحفظ، وتظاهرت حوله أسباب العصمة، مثل ما عرف لهذا القرآن الكريم، إن التواتر القوي يشد أسانيده من كل ناحية، جماهير كثيفة تروى عن جماهير كثيفة، وتبلغ في الاستقصاء أن تحصى- كلمات السور بل تعد حروف الهجاء الموجودة بها حرفا حرفا) (٢).

ولكي أبرهن على صحة الربانية في القرآن الكريم من حيث مصدره ومنهجه أرى أنه لا بد من دراسة سند القرآن الكريم من وقت نزوله وحتى يومنا هذا، ودراسة تناسقه الذاتي وعدم اختلافه وتناقضه، وبيان إعجازه على مر العصور والأزمان، بالإضافة إلى إثبات ربانيته من خلال نصوص الآيات الموثقة في داخله، وكذا بعض الأدلة العقلية والتاريخية.

وللقرآن الكريم طريقتة في إثبات ربانية مصدره، وقد قام بدراستها د/ محمد عبد الله دراز وتوصل إلى عشرة أدلة أجملها فيما يلي:-

(١- طابع الوحي المفاجئ، وغير المنتظر فمحمد ﷺ لم يدر بخلده أنه سيبعث رسولا وبعد أن تلقى الوحي لم يكن يضمن استمراره.

٢- عدم المعرفة الذي كان فيه محمد ﷺ قبل الوحي وكذلك قومه، ليس فقط فيما يتعلق بالقصص الديني وإنما في كل ما يتعلق بالإيمان والتشريع والكتب المنزلة والسلوك الأمثل عند الله.

(١) نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي، ص ٤٩ دار الكتب الإسلامية ط/ السادسة سنة ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م. والآية من سورة فصلت (٤٤).

(٢) المصدر السابق ص ٣٤.



- ٣- حال الأمية، إذ أن محمدا ﷺ لم يكن يقرأ أو يكتب.
- ٤- وكانت اللغة الأجنبية للأديان السابقة أمام النبي ﷺ حائلا طبيعيا يمنعه من الوصول إلى هذه المصادر أن يفهمها من نصوصها الشفهية.
- ٥- ومع ذلك فقد شهد العلماء المتخصصون في الكتب المنزلة السابقة بصدق ما جاء به محمد عن كتبهم.
- ٦- أما بالنسبة لقومه الذين عاش بينهم عددا من السنين يعادل عمرا، فقد أدركوا أنه لم يكن ليأتي بهذا الكتاب من عنده.
- ٧- قوة أخلاقه، وصدق إيمانه، وشعوره المرهف بمسؤوليته يوم القيامة، كلها حقائق لا تتفق مع إمكان أن يخترع شيئا وينسبه إلى الله.
- ٨- وإذا نظرنا للقرآن في حد ذاته، وافترضنا أنه كان من نتاج بشرى وأخذنا في اعتبارنا ضخامة محتواه وطول مدة نزوله، فقد كان من المحتم أن يتضمن بعض التصريحات المتناقضة، أو المتعارضة مع بعض الوقائع السابقة أو اللاحقة له.
- ٩- ولكن الحقائق التي يقدمها القرآن -حسب تفسيره- لا يمكن الطعن فيها من بين يديها ولا من خلفها، أي لا في الماضي ولا في المستقبل.
- ١٠- وأخيرا فليس من المستحيل فحسب أن يصدر القرآن عن قلب رجل، أو عن قلب رجال، وإنما إذا اجتمع عالم المنظور وعالم غير المنظور، وتضافرت جهودهم لإثبات شيء مثله، فلن يتمكنوا من ذلك أبدا وهذا التحدي الإلهي لم يهدمه أحد في الماضي ولن يهدمه أحد في المستقبل^(١).

(١) يراجع كتاب المدخل إلى القرآن الكريم د/ محمد عبد الله دراز، ط/ دار القلم الكويت سنة ١٤١٤هـ-

أخلص مما سبق إلى أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي بقي على ربانيته يشهد بذلك التاريخ، بل إن القرآن الكريم بآياته وسوره خير شاهد على ربانيته، وأن البشر ليس لهم أثارة من دخل فيه، والقول بغير ذلك بعيد عن الصواب، وموغل في الخطأ، وبذلك تكون الأدلة مستوفاة وسافرة على ربانية القرآن الكريم، وأنه من عند الله ﷻ لا يتطرق إلى ذلك شك، بل يقوم على ذلك كل دليل وبرهان.



٢- التوحيد:

التوحيد هو الحقيقة الأساسية الأولى في الدعوة الإسلامية، بل إن الإسلام جعله شعارا له، فالإسلام يتفرد بالتوحيد الخالص من بين سائر المعتقدات السائدة في الأرض جميعا. والتوحيد هو قاعدة كل رسالة جاءت من عند الله ﷻ والقرآن الكريم يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها ويكررها في قصة كل رسول أرسله الله إلى قومه، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٥).

(فالتوحيد هو قاعدة العقيدة منذ أن بعث الله الرسل للناس، لا تبديل فيها ولا تحويل، توحيد الإله وتوحيد المعبود، فلا انفصال بين الألوهية والربوبية، ولا مجال للشرك في الألوهية ولا في العبادة، قاعدة ثابتة ثبوت النواميس الكونية، متصلة بهذه النواميس وهي واحدة منه^(١)).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾ (٣٦).

(١) سورة الأنبياء الآية (٢٥).

(٢) في ظلال القرآن الكريم، ٤/٢٣٧٤، دار الشروق ط/ الثالثة عشر سنة ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

(٣) سورة النحل الآية (٣٦).



وعقيدة التوحيد التي جاء بها محمد ﷺ فهي نقية من كل شائبة، بريئة من كل زيف، منزهة عن جميع النقائص، ونصت على استحالة الولد، وعن كل ما يشعر بمشابهة الخالق بالمخلوق، ونصت على وحدانية الله في ربوبيته وألوهيته، كما عاجلها القرآن الكريم من كل جوانبها، وأخرجها للناس وضيئة، خالصة من كل دخن ودخيل.

يقول الأستاذ/ أبو الحسن الندوي: (الإسلام دين توحيد خالص، دين لا يؤمن بالوساطة بين العبد وربّه، ولا بمشهود محسوس يركز عليه الإنسان تفكيره، ويصرف إليه همته، ليتخيل به الإله الذي لا تدركه الأبصار، ويرتبط به في خياله ويتمسك بأذياله، فلا وسائط ولا مظاهر، ولا صور ولا أصنام ولا هياكل، ولا طبقة كهان ولا سدنة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَ جَبُوبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (١٨٦) ... إذا فالإسلام دين يطلب تجردا في الخيال، وسموا في الفكر، ونقاء في الإرادة والنية، وإخلاصا في العمل والتطبيق، وانقطاعا عن الغير، لا يتصور فوقه أو أكثر منه، ومستوى الفكر والعقيدة، لم تبلغ الإنسانية ولا الأديان والفلسفات، والنظم الدينية أو العقلية إلى مثله، أو قريب منه، وقد وصف الله نفسه بها لا مزيد عليه في الدقة والسمو، فقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١١).



(١) سورة البقرة الآية (١٨٦). وانظر سورة الزمر الآية (٢).

(٢) الأركان الأربعة للعلامة أبي الحسن الندوي، ص٢٣٧-٢٣٨، ط/ دار القلم الكويت سنة ١٤١٥هـ-

سنة ١٩٨٤م سورة الشورى الآية (١١)

٣-العالمية:

الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، تخاطب كل الأمم والأجناس والشعوب والطبقات، فهي رسالة عامة لكل البشر، من لهم كتاب سابق منزل كاليهود والنصارى، ومن ليس لهم كتاب منزل كمشركي العرب، ووثنى الفرس، ومن على شاكلتهم، فهي رسالة غير محدودة بعصر، ولا بجيل، ولا بمكان.

والقرآن الكريم كلام الله ﷻ لم ينزل لطائفة معينة من البشر، وإنما جعله الله للناس أجمعين، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَعْدُ الْحَقُّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَكُمْ مِنْ قَبْلِهِ نَبَأٌ كَذِبٌ﴾ (٨٧).

وكلمة العالمين تتناول الناس أجمعين في مختلف الأقطار والبقاع، ومن ثم فالبشرية كلها في أمس الحاجة إلى هذا الدين؛ لينقذها مما هي فيه من انحلال وتخبط، وبعد عن الغاية الصحيحة. وإذا كان القرآن الكريم كتابا عالميا، فأتمته أيضا ذات رسالة عالمية، ليست إقليمية ولا قومية، بل إن الله ﷻ جعلها في مقام الأستاذية للبشرية كلها، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١١٠).

وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣).

وقد أعلن القرآن الكريم أن دعوته عالمية منذ فجر الدعوة في مكة، وأكدت ذلك السنة النبوية المطهرة في أول لحظة عند الجهر بالدعوة على جبل الصفا، وظهر تطبيق الرسول ﷺ للعالمية

(١) سورة ص الآية (٨٧).

(٢) سورة آل عمران الآية (١١٠).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤).



في رسائله إلى الملوك والأمراء، وفي إيمان بلال الحبشي، وصهيب الرومي، وسلمان الفارسي، وعداس النصراني - رضي الله عنهم أجمعين -.

مدى تطبيق المسلمين لعالمية الدعوة الإسلامية:

إن المتأمل للواقع المعاصر الذي تعيشه الأمة الإسلامية الآن، يرى تقاعسا وتحاذلا عن نشر الدعوة الإسلامية، رغم إيمان المسلمين بعالميتها، وقناعتهم بحاجة الناس إليها، لتماماً الخواء الروحي الذي تعيشه الحضارة المادية المعاصرة، ولتصلح للناس عقائدهم، وتوجه مشاعرهم بالتي هي أحسن، في الوقت الذي يحاول فيه أتباع الديانات الأخرى مع إقليميتها وما انتهت إليه من تحريف وتزييف، يحاولون نشر كتابهم وتبليغ دينهم، ويتحركون في كل الأجواء، ويرصدون لذلك الأموال الباهظة والوسائل المختلفة.

يقول د/ محمد محمد حسين:

- (١) - إن الإسلام رسالة موجهة إلى جميع الخلق، وهم جميعا مطالبون باعتناقه.
 - ٢- أنه يشتمل على أصول جميع الديانات السابقة، فهو اللبنة الأخيرة في صرحها الشامخ.
 - ٣- أن مبادئ الإسلام صالحة للتطبيق في كل زمان ومكان^(١).
- فالرسالات السابقة راعت مصالح الناس واحتياجاتهم وظروفهم في العصر الذي يعيشون فيه فقط، فجاءت ملائمة لفترة معينة من الزمن.
- أما الرسالة الخاتمة فقد زادت عليها ما يتناسب مع عالميتها وشمولها، فهي تصدق الكتب السابقة في أصولها، وتختلف عنها في فروعها، تدرجا مع الحاجات والمصالح؛ بسبب تغير الزمان والمكان.



(١) الإسلام والحضارة الغربية، د/ محمد محمد حسين ص ١٨٥، ط/ مؤسسة الرسالة بيروت.

٤- الشمولية:

رسالة الإسلام من خصائصها البارزة في مصادرها (الشمول) بكل ما لهذه الكلمة من معان ودلالات، سواء كان الشمول في الزمان أو المكان أو المناهج.

ولقد عبر عن ذلك أحد الدعاة قائلًا: (إنها الرسالة التي امتدت طولًا حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضًا حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقًا حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة)^(١).

كما أن هذا الشمول ينسحب على الجسد والروح، والعقل والوجدان، والظاهر والباطن، والفرد والمجتمع، والدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

وتتمثل الشمولية في القرآن الكريم في كونه لا يقتصر على ناحية دون أخرى، فلا يقتصر على العقيدة فقط، أو العبادة فقط، أو التشريع فقط، أو الأخلاق فقط، بل يشمل ذلك كله.



٥- الوسطية:

المتأمل في آيات القرآن الكريم يرى أن الوسطية إحدى الخصائص الواضحة للدعوة الإسلامية، سواء في العقيدة أو في العبادة والشعائر، أو في الأخلاق، بل في كل شيء من تعاليم الإسلام وأدابه، ولذلك وصف الله ﷻ هذه الأمة الخاتمة بأنها أمة وسطا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾^(٣).

(١) انظر الخصائص العامة للإسلام د/ يوسف القرضاوي، ص ٩٥، مكتبة وهبة ط/ الرابعة سنة ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٢) سورة النحل الآية (٨٩).

(٣) سورة البقرة الآية (١٤٣).



يقول الشيخ رشيد رضا: (قالوا إن الوسط هو العدل والخيار، وذلك أن الزيادة عن المطلوب في الأمر إفراط، والنقص عنه تفريط وتقصير، وكل من الإفراط والتقصير ميل عن الجادة القويمة، فهو شر ومذموم، فالخيار هو الوسط بين طرفي الأمر أي المتوسط بينهما)^(١).
ووسطية الأمة إنما هي مستمدة من وسطية المنهج، والرسالة، فهو منهج وسط، معتدل متوازن، سلم من الإفراط والتفريط.

يقول الدكتور / محمد عمارة: (فالواسطية الإسلامية تتمثل السمة والقسمة التي تعد بحق أخص ما يختص به المنهج الإسلامي عن مناهج أخرى لمذاهب وشرائع وفلسفات، بها-أي الوسطية- انطبعت الحضارة الإسلامية في كل القيم والمثل والمعايير والأصول والمعالم والجزئيات، حتى تستطيع أن تقول: إن هذه الوسطية بالنسبة للمنهج الإسلامي-وحضارته- هي عدسته اللامة لأشعة ضوئه وزاوية رؤيته كمنهج)^(٢).

فالرسالة وسط لأنها حق بين باطلين، ولأنها عدل بين ظلمين، ولأنها اعتدال وقصد بين تطرفين، وهذا ما سيوضح من خلال هذا المبحث الذي يتناول (الوسطية في القرآن الكريم).



٦- الواقعية:

من أبرز الخصائص الهامة للدعوة الإسلامية، أنها واقعية في عقيدتها وشريعتها وأخلاقها، فليس فيها مسألة أصلية أو فرعية إلا وتتجاوب مع الفطرة الإنسانية، وتوافق الإنسان فردا كان أو جماعة، وتحقق جميع المصالح، وتتنأى عن جميع المفسدات، يلحظ ذلك كل من يتمعن في جزئياتها وكلياتها.

(١) تفسير المنار، للشيخ/ رشيد رضا ٥/٢.

(٢) معالم المنهج الإسلامي، د/ محمد عمارة، ص٧٧، سلسلة المنهجية الإسلامية، رقم (٣)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، دار الأمان الرباط المغرب، ط/ الثالثة، سنة ١٤١٤ هـ-١٩٩٣ م.

فليس عجباً أن يحتفي القرآن الكريم بالواقعية في جميع مجالاته، لأنه يربط بين الإنسان وبين الوجود كله، مادياً ومعنوياً، فتأتى جميع الأحكام، والتشريعات، والأخلاق، التي يعرضها القرآن الكريم متسمة بالبساطة، والوضوح، والتيسير، والواقعية، فيصنع الحياة كلها بصبغته، قال تعالى:

﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ (١٣٨).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

ذَٰلِكُمْ وَصَّانُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣).



٧- الانسانية:

لا ريب أن من أول أهداف الدين إسعاد الإنسان والسمو به، وحمايته وتحريره وتكريمه، وتحديد علاقته بغيره سواء كان متفقاً معه في الدين، أو مختلفاً عنه، وعلى قدر وفاء الدين في عقيدته وتشريعاته وتوجيهاته بذلك يكون جديراً بالقبول والإذعان.

و سوف أقدم عدة نماذج إجمالية تبين مدى تحقق خصيصة الإنسانية في القرآن الكريم.

المتأمل في آيات القرآن الكريم يمكنه أن يستخرج بالنسبة للإنسان الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: أن الإنسان أفضل المخلوقات وأشرفها.

الحقيقة الثانية: أن الإنسان مخلوق من حيث الأصل من تراب، ومتكاثر من حيث الجنس من آدم

عليه السلام.

الحقيقة الثالثة: أن الإنسان مخلوق منذ البداية في أحسن تقويم، ولم يتدرج من فصيلة أخرى.

الحقيقة الرابعة: أن الإنسان ليس نداً لله.

الحقيقة الخامسة: أن الله منح الإنسان حولاً وقوة.

(١) سورة البقرة الآية (١٣٨).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٣).



الحقيقة السادسة: أن للإنسان دوراً في فهم الوحي الإلهي المنزل من عند الله.



٨- الخاتمة:

إذا كان صاحب الدعوة ورسولها هو خاتم النبيين والمرسلين، فلا شك أن دعوته سوف تكون خاتمة الرسالات، وذلك بنص القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد وردت نصوص كثيرة تدل على أن رسالة الإسلام هي الرسالة الخاتمة للرسالات السابقة كلها، ومن ثم فليس بعد رسالة الإسلام رسالة، ولا بعد نبيها نبي، ولا بعد كتابها كتاب، وكل من ادعى شيئاً عكس ما سبق فهو كاذب لا محالة، ومن الأدلة على خاتمة رسالة سيدنا محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠ ﴾ (١).

فالأنبيا ختموا بمحمد، فهو آخرهم وخاتمهم، فلا نبي بعده، لأن شريعته استوعبت الشرائع السابقة كلها، ونظمت مصالح الناس في كل زمان ومكان فتمت الرسالات برسالته، وفي الحديث قال ﷺ: "مثلي ومثل الأنبياء، كمثلي رجل بنى داراً فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة. فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها، ويقولون: لولا موضع اللبنة! قال رسول الله ﷺ: فأنا موضع اللبنة. جئت فختمت الأنبياء" (٢).

فالحديث يدل على أن المثل الذي ضربه النبي ﷺ للتمثيل، وتقريب الصورة المعنوية إلى صورة حسية، حتى تفهمه العقول وتعي مراده القلوب بأنه خاتم النبيين، فإله ختم به المرسلين السابقين وأكمل به شرائع الدين، وفضله على جميع الأنبياء والمرسلين، وفي الحديث "لي خمسة أسماء: أنا

(١) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٢٨٧). عن أبي هريرة ﷺ.

مُحَمَّدٌ، وَأَحْمَدُ وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِى الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشِرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ" (١) ومعنى العاقب الذي ليس بعده نبي ولا رسول.

فرسالته ناسخة لما قبلها، وحاكمة على ما سبقها، ومهيمنة على ما تبقى منها من أحكام، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَكُوشَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ (٢).

والسبب في ذلك أن رسالة الإسلام تضمنت جميع ما سبقها من رسالات سابقة، وزادت عليها ما يتناسب مع شموليتها وواقعيتها، حتى قيام الساعة، وقد شهد الله لها بالكمال والتمام والرضى فليست في حاجة إلى إضافة أو تفصيل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴿٣﴾ (٣).

كما أن الله ﷻ وعد أنه سوف يظهر هذا الدين على جميع الأديان التي على البسيطة كلها، وجعل نفسه من الشاهدين على ذلك، فقال: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ (٤).



(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٥٣٢) عن جبير بن مطعم ﷺ.

(٢) سورة المائدة الآية (٤٨).

(٣) سورة المائدة الآية (٣).

(٤) سورة الفتح الآية (٢٨).



٩- التجدد:

من خصائص رسالة الإسلام التجدد، فهي تسد حاجات الناس مع تطورات حياتهم، وتواكب متطلبات العصور، فالقواعد الأساسية في الإسلام ثابتة لا تتغير ولا تبدل، والوسائل والأساليب فيها من السعة والمرونة ما يجعلها تقبل تطورات الحياة المتجددة.

فالإسلام يهدف إلى إقامة العدل والمساواة بين الناس في جميع العصور والأزمان والأماكن، وأما الكيفية فهذه متروكة لحسب أفضل الطرق، وأحسن الوسائل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ (١).

فهذه قاعدة كلية ثابتة لا تتحرك، ولا تتغير، وأما كيفية التطبيق فحسبما يراه أولو الحل والعقد بين الأمراء والعلماء والقضاة والمصلحين، فالشرع يحدد القاعدة ويشبثها، ويضع لها الطرق العامة التي تحميها، ويترك وسائل التطبيق لأهل الخبرة والاختصاص.

وفي الإسلام المسائل الاجتهادية التي لم يوجد فيها نهي قاطع، لا من القرآن والسنة ولا من الإجماع والقياس، وهذه المسائل خاضعة لاجتهادات العلماء والمتخصصين، وهذا يدل على أن من خصائص رسالة الإسلام التجدد والتطور، حسب متطلبات العصور والأزمان.

وفي علم أصول الفقه قواعد أصولية ضابطة وحاكمة يعمل في ظلها، وتستنبط الأحكام في ضوئها، مما يدل على عظمة هذه الرسالة وتطورها وتجديدها.



١٠- اليسر:

تميزت رسالة الإسلام مما سبقها من رسالات بالتيسير واليسر، ونصوص القرآن والسنة تؤكد ذلك في وضوح وجلاء، قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴿٣٨١﴾ ﴾.

فالرسالة لا تحمل الإنسان فوق طاقته، ولا تشغله بما فوق استعداده، وإنما تطالبه بما هو قادر عليه، وفي وسعه، فالصلوات الخمس، خمس مرات في اليوم والليلة، لا تستغرق أكثر من ساعة، يؤديها الإنسان على حسب ظروفه واستطاعته، والصوم شهر واحد في العام وأباح للمريض والمسافر الفطر ثم القضاء أو الكفارة، والزكاة تحسب على من ملك النصاب، وحال عليه الحول، وتكون اثنين ونصف في المئة، والحج على المستطيع ويكون مرة واحدة في العمر كله.

فهذه الأركان الأربعة فيها من التيسير واليسر، وما هو في استطاعة الإنسان، وما يتلاءم مع ظروف حياته من التغيرات، ما يجعل الإنسان يؤديها بلا عنت أو مشقة أو صعوبة، ومثل ذلك نجده في باقي أحكام الإسلام، من المعاملات، والأحوال الشخصية، التي تمتلئ بها كتب الفقه والشريعة.



(١) سورة البقرة الآية (١٨٥)

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٣)



١١- الخلود:

من خصائص رسالة الإسلام الخلود والبقاء، سواء كان في مصادرها، أو ما تشتمل عليه من أصول وأركان، أما المصادر فهي باقية حتى قيام الساعة، لأن الله هو الذي تكفل بحفظها وبقائها،

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾. وقال تعالى: ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (١).

فالقرآن منذ أن نزل غضا طريا على قلب النبي ﷺ وأملاه على كتبه الوحي، وجمعه سيدنا أبو بكر في مصحف واحد، ونسخه سيدنا عثمان في عدة مصاحف، هو كما هو لم يدخل فيه حرف زائد، ولم ينقص منه حرف ناقص، لأنه توفرت له وسيلتان في الحفظ، في الصدور والسطور، بحيث لا يتطرق إليه شبهة تحريف، أن تضل إحداها فتذكر إحدهما الأخرى.

وتوفر له علم التجويد الذي يقوم على الأداء الصحيح في القراءة، فلا يختلف فيه اثنان في كيفية النطق والقراءة. وتوفرت له العلوم التي تقوم على خدمته، مثل علم علوم القرآن الكريم، الذي يشتمل على مواد كثيرة، هدفها جميعا المحافظة على القرآن الكريم، كما أنزله الله حتى قيام الساعة.

وكما توفر للقرآن الكريم الوسائل السابقة، توفرت للسنة النبوية الوسائل التي تقوم على حفظها وبقائها وخلودها حتى قيام الساعة، من العلماء والأقسام العلمية، والمؤلفات،

(١) سورة الحجر الآية (٩).

(٢) سورة فصلت الآية (٤٢).

والدراسات والبحوث المتخصصة، التي تقطع بالمحافظة على الصحيح والحسن منها، وتنفي عنها الموضوع والمكذوب.



١٢- المثالية:

المثالية في الإسلام تعني: أن الإسلام يصل بأتباعه إلى الكمال الإنساني الممكن والمتاح، على قدر الوسع والجهد البشري. كما أن أحكامه فيها من التعاليم ما تصنع أمثلة ونماذج يقتدي بها الآخرون، كما صنع النبي نماذج فريدة في الأدب والعلم والأخلاق والقيادة والسياسة والإنسانية.

ويضم الإسلام من خلال أحكامه وتعاليمه مثال عليا وقيما عامة تظهر مثالية الإسلام مقارنة بما عند غيره من تعاليم وأحكام ومما يؤكد ذلك أن الإسلام يوجب العدل ويحرم الظلم، ويلزم بأداء الأمانة ويحرم الخيانة، ويوجب الصدق ويحرم الكذب إلى غير ذلك من الأخلاق الحميدة التي يدعو إليها ويرغب فيها، وينفر ويرهب من أضرارها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١).

ولقد طبق المسلمون المنهج الإسلامي عبر فترة طويلة من الزمن عبر مراحل التاريخ الإسلامي، ووصلت بهم إلى مرحلة الكمال الإنساني والسمو الأخلاقي، والعمل على إقامة

(١) سورة النحل الآية (٩٠).



العدل بين الناس، ونشر الخير والفضيلة بين الأمم، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا
وَأَسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٧٧) (١).

ومن أبرز صور المثالية في الإسلام هو جمعه بين الواقعية والمثالية، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ
اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (٩٠) (٢).

فالإسلام أمر بإقامة العدل بين الناس، واعتبره أمراً واجباً، وهو أعلى مستوى من
العدل، وهذا من واقعية الإسلام، ثم رغب في الإحسان وهو فضيلة وليس واجباً، وبالتالي فهو
ينطلق ويخلق باتباعه نحو الأمثل والأكمل، فالعدل مراعاة واقع الإنسان، وحقوقه وواجباته بين
الناس بعضهم مع بعض، وأما ترغيبه ومناشدته للإحسان، فهو يرقى به في سلم الفضائل
والكفايات البشرية المنشودة.



١٣- الوضوح:

فالإسلام رسالة واضحة في كل شيء من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات،
فليس فيه غموض ولا تعقيد ولا صعوبة في الفهم أو العقل أو التطبيق.

ومما يدل ويبرهن على ذلك أن من مسلمات الإسلام أن الإله واحد لا شريك له، ليس له
زوجة ولا ولد، ولا شبيه ولا مثيل، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ

(١) سورة الحج الآية (٧٧).

(٢) سورة النحل الآية (٩٠).

يَكِيدُ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ (٢).

وكذلك رسول الإسلام فهو خاتم النبيين والمرسلين، فليس بعده نبي ولا رسالة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ (٣).

فهو بشر من البشر، يجرى عليه ما يجرى على البشر، لكنه تميز عليهم باصطفاء الله له بالوحي والرسالة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١﴾﴾ (٤).

كما أن كتاب الإسلام هو القرآن الكريم المعجزة الخالدة على مر العصور والأزمان، لم يدخل فيه حرف زائد، ولم ينقص منه حرف واحد تكفل الله بحفظه وبقائه إلى قيام الساعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِن خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ (٥). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ (٦).

(١) سورة الإخلاص الآية (١-٤).

(٢) سورة الشورى الآية (١١).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٤) سورة الكهف الآية (١١٠).

(٥) سورة فصلت الآية (٤٢).

(٦) سورة الحجر الآية (٩).



والكتاب واضح في كيفية نزوله وكتابته وجمعه ونسخه وتوزيعه وتعليمه ووفر الله وسائل بشرية لحفظه من التغيير والتبديل والتحريف والتزييف. والعبادات أيضا كلها واضحة في أوقاتها وشروطها وعلى من تجب ومن أصحاب الأعذار وكيفية ادائها في الحضر والسفر، وشروط الاستطاعة وغير ذلك مما هو مفصل في كتب الفقه، مما يؤكد وضوحها وضوحا تاما لجميع المكلفين طوال حياتهم.

ورسالة الإسلام في جوهرها من العقائد والشرائع مبينة على الاتباع والوقوف على النهي والدليل، ولا مجال في ذلك للاجتهاد أو للابتداع في الدين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَعْبُوهَا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنَ رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُونَ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مِمَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١).

ومن الأحاديث التي جاءت في هذا الباب وتعد أصلا من أصول الإسلام، وقال بعضهم عنها أنها ثلث العلم، لأنها ميزان لظاهر العمل، فهي تبين إذا كان العمل موافقا للشرع فيقبل، أم مخالفا له فيرد ويرفض، وفي البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)^(٢). وفي رواية: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)^(٣). فأصول الإسلام وثوابته أوضح من الشمس في ضحاها، وأبين من القمر إذا تلاها، وأضوأ من النهار إذا جلاها.



(١) سورة الأعراف الآية (٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧١٨) عن عائشة رضي الله عنها.

١٤- الكمال:

الإسلام دين رسالته كاملة من بدايته إلى نهايته، حيث جمع أصول الرسالات السابقة كلها، في مبادئها وأهدافها وغاياتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٣) (١).

فالذي أكمله هو الله الذي أرسل الرسل، وأنزل الكتب، واختاره للبشرية كلها، ورضيه إلى الناس أجمعين، إلى قيام الساعة.

فالإسلام يشكل منظومة متكاملة من أوله إلى آخره، وفي أركانه وفرائضه، وسننه وآدابه، فليس فيه نقص ليحتاج إلى إكمال، وليس فيه زيادة يحتاج إلى حذف، والنبي ﷺ قام بتبليغه كله كما أمره ربه على أحسن وجه، وأتم صورة، والصحابة نقلوه إلى من بعدهم، وأصبح واضحاً في العقول، مكتوباً في السطور، محفوظاً في الصدور، معروفاً ببدايته ونهايته.

ففيه نصوص واضحة تغلق الباب أمام كل مبتدع فيه، حتى لا ينحرف عن مساره الرباني الذي وضعه الله لعباده، فهو مبني على الاتباع لا الابتداع، ومبني على النقل قبل العقل، قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (٣) (١).

وفي الحديث "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد" (٣).

وبذلك وضع الله فيه صفة المحافظة على تمامه وكماله، من الزيادة أو النقصان، أو الحذف أو التحريف.

(١) سورة المائدة الآية (٣).

(٢) سورة الأعراف الآية (٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٧) عن عائشة ؓ.



إن خصائص الدعوة الإسلامية، شملت كل المميزات التي يحتاج إليها العالم، في كل شؤون حياته، ولن تجد هذه الخصائص في دين آخر على الإطلاق، سواء كان إلهيا محرفا، أم أرضيا يقوم على العقل والفلسفة، والواقع المعاصر خير دليل وشاهد على ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ تُرَى إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ (٣٨). (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ (٨٩). (٢).



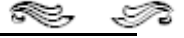
(١) سورة الأنعام الآية (٣٨).

(٢) سورة النحل الآية (٨٩).

أسئلة على ما سبق.

- ١- عرف الدعوة لغة واصطلاحاً، وكلمة الإسلام، والقواعد، والأصول، شارحاً التعريف، مع بيان أركان الدعوة؟.
- ٢- تحدث عن أهداف الدعوة بين المسلمين وغيرهم؟(١-٧).
- ٣- بين أهمية الدعوة إلى الإسلام في ضوء النصوص الشرعية؟ (١-٧).
- ٤- بين حاجة الناس إلى الدعوة الإسلامية في الشرق والغرب؟(١-٥).
- ٥- ما حكم تبليغ الدعوة الإسلامية؟(١/٢). مع الدليل لما تذكر؟(١-٧).
- ٦- ما حكم من لم تبلغه الدعوة الإسلامية؟(١-٣).
- ٧- هل الدعوة إلى الإسلام واجب عيني أم واجب كفائي، وضح ذلك؟(١-٢).
- ٨- ما عقوبة ترك الدعوة إلى الله ﷻ على المسلمين وغيرهم؟(١-٥).
- ٩- اذكر فضل الدعاة إلى الله في ضوء القرآن والسنة؟(١-١٤).
- ١٠- ما خصائص الدعوة الإسلامية، وماذا تعني كل خصيصة منها، مع الدليل لما تذكر؟(١-١٤).





(٢) المبحث الثاني

إعداد الداعية وأثره في المدعوين.

الغرض من الدراسة:

أولاً: معرفة كيفية إعداد الداعية إيمانياً:

ثانياً: معرفة كيفية إعداد الداعية أخلاقياً:

ثالثاً: معرفة كيفية إعداد الداعية علمياً:

رابعاً: معرفة كيفية إعداد الداعية مهارياً:

خامساً: محاذير للداعية في طريق الدعوة.



مقدمة

إذا كان المعلم في ميدان العملية التعليمية هو المحور الرئيس الذي يتوقف عليه نجاحها من عدمه، بالرغم من الوسائل الأخرى التي تساعده في أداء مهمته، فكذلك الداعية هو العمود الفقري، وهو قطب الرحى الذي يدور عليه نجاح الدعوة، إذا فهم دوره جيداً، وحرص على أدائه بدقة وإصرار، وإيمان وتضحية.

فالداعية هو الركيزة الأولى في ميدان الدعوة، لأنه هو حلقة الوصل بين الدعوة وبين المدعويين، فهو يكمل دور الرسل في توصيل رسالة الله إلى الناس، وكما أن الله اصطفى الأنبياء لأداء رسالته، فكذلك الداعي يقوم على الاصطفاء والانتقاء، وكما أن الله يصنع الأنبياء على عينه ويكلِّوهم برعايته، ويحفظهم بعنايته، فكذلك الدعاة لهم حظ ونصيب من العناية الإلهية، والصبغة الربانية.

والداعية هو العنصر الفعال في مجال الدعوة، فالمدعون إذا لم يقدمهم داعية رائد ناصح أمين لا يتقدمون قيد شبر، ولا يتحركون قيد أنملة، فبدون الداعية الناصح تبقى الدعوة صامتة لا تنطق، واقفة لا تتحرك، ويبقى المدعون يتخبطون في الظلام على غير هدى وبصيرة؛ لأنهم يسرون في طريق دون قائد أو دليل.

والدعاة شريحة من المجتمع، يؤثرون ويتأثرون، وإذا كان الناس في المجتمع يتفاوتون في قدراتهم وعقولهم وطبائعهم فكذلك الدعاة، فهم ليسوا على درجة واحدة، فيهم القوى والضعيف، وفيهم النشيط والخامل، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۗ



فَمَنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ. وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ (١).

لكن بلا شك هناك حد أدنى للداعية لا ينخفض مستواه عنه، وإلا فأولى له أن ينسحب من هذا الميدان حتى لا يفضح نفسه بتكلف ما لا يحسن، فهو يضر أكثر مما ينفع، ويهدم أكثر مما يبني.

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئاً فَدَعُهُ .: وَجَاوِزُهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ.

وفي الحديث قال ﷺ: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنها هي قيعان، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" (٢).

١_ فهناك أرض تستوعب من الماء ما لا يستوعبه غيرها، وتخرج زرعاً يفيد الناس ويسر الناظرين.

٢_ وهناك أرض تمسك الماء فقط، فينتفع الغير ولا تنتفع هي.

٣_ وهناك أرض لا تحبس الماء، ولا تنبت الزرع.

(١) سورة فاطر الآية (٣٢).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٩) عن أبي موسى الأشعري ؓ.

والدعاة الذين يحملون الهدى مثل هذه الأرض التي استقبلت الغيث، فهناك من يرتقون بأنفسهم إلى الصنف الأول. وهناك من يهبطون إلى الصنف الثاني.

وأما الصنف الثالث فذلك هو الموات بعينه، فالداعية يوقظ الناس من غفلة، وينبههم من رقدة، ويفيقهم من سكرة، فكيف يوقظهم وهو على هذه الحالة السيئة من الموات؟.



أصناف الدعاة ومستوياتهم:

١- هناك دعاة فقط وهم كل مسلم يستطيع عرض الإسلام وتعريف الناس بالحلل والحرام وتذكيرهم بحسن الأخلاق ووعظهم وتذكيرهم بالله، وهؤلاء دعاة غير متخصصين في العلوم الشرعية، لكن عندهم شيء من العلم، والبيان والقبول ويمكن تسميتهم المعروفون بالإسلام.

٢- العلماء: وهم المتخصصون في العلوم الشرعية الذين يقومون بالرد على الشبهات، ومواجهة الغزو الفكري بالحجج والبراهين، والكتابة والتأليف في العلوم الشرعية بفروعها.

٣- العلماء الدعاة: وهم الذين درسوا العلوم الشرعية وتخصصوا في علم الدعوة وفروعها ويقومون بممارسة الدعوة قولاً وعملاً، نظرية وتطبيقاً ويتمتعون بمهارات عالية في فهم الدعوة وممارستها بجميع فروعها المختلفة.





تعريف الداعية:

تعريف الداعي في اللغة (الدعاة قوم يدعون الناس إلى بيعة هدى أو ضلالة، وواحدهم داع) (١). وكلمة الداعية إذا أطلقت يقصد بها جانب الخير والهدى، والإضافة تحدد المعنى المراد أيضا، إن كان في الخير أو الشر، ولذلك أضافها النبي ﷺ فقال: "مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا" (٢).

فالحديث يقول: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى...) (وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ...). فالأول له أجره، وأجر من تبعه إلى يوم القيامة، والثاني عليه وزره، ووزر من تبعه إلى يوم القيامة.

والآية القرآنية جاءت فيها كلمة الدعوة مقيدة بالدعوة إلى الله تعالى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ

أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ (٣).

فمن أعمال الداعية دلالة الناس على الله ﷻ وقيادتهم إلى الخير، وردهم إلى طريقه، كلما بعدوا أو انحرفوا، واستخدام جميع وسائل الدعوة المشروعة والمتاحة والميسرة، حسب الزمان والمكان والأحوال. فالداعي هو المسلم المكلف بدعوة الناس، والانشغال بهدايتهم، وداللتهم على الله ﷻ على قدر وسعه واستطاعته.

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٥٩/٤.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٧٤) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) سورة فصلت الآية (٣٣).

والدعاة هم سفراء من قبل الله ﷻ إلى خلقه، وامتداد لمهمة الأنبياء والمرسلين في تبليغ الدعوة ونشرها، وهم أيضا ورثة الأنبياء في علمهم ورسالتهم قال ﷺ: "إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَ بِهِ فَقَدْ أُخِذَ بِحِطِّهِ وَافِرٍ" (١).

والإسلام في حاجة إلى دعاة أذكىاء، يفهمون رسالة الإسلام فهما صحيحا، ويجسنون عرضه على الناس، يستمدون قوتهم من قوة الدين ذاته، وثباتهم من عظمة الدين، الذين يبلغونه للناس، وصبرهم على طول الطريق الذي يسرون فيه، من تاريخ الأمة الإسلامية وخصائصها. قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩). (٢).

والداعية المؤثر المربي هو الذي يحدث تغييرا في النفوس، والمفاهيم، والعادات والتقاليد، والتصورات والاهتمامات، فينقل المدعويين من محيط الغفلة إلى اليقظة، ومن النوم إلى الاستيقاظ، ومن الركود والكسل والفتور والضعف، إلى العمل والنشاط، والقوة والانطلاق. يقول الأستاذ عبد البديع صقر: (والداعية الناجح هو الذي يقوم بالدور الممكن في نشر الوعي السليم، والفقهاء بين الناس، أو الدور الممكن في تربيتهم على السلوك الحسن) (٣).

فهو الذي يجمع بين فن التعليم والتربية، فالتعليم معرفة، والتربية تدريب، والداعية المربي هو الذي يتحدث بقلبه قبل لسانه، وأن يكون مؤمنا بما يقوله للناس، فيتحدث بما يعتقد ويؤمن به لا بما يعلم.

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٦٨٢) وليس عنده بمتصل، وانظر صحيح ابن حبان (٨٨) عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٩).

(٣) كيف ندعو الناس، عبد البديع صقر ص ٦١ طبعه مكتبه وهبة ط/ العاشرة ١٩٩٠م.



إن الداعية الذي لا يترك أثرا في المدعويين، يكون كعابر الطريق، الذي يمر عليه ولم يشعر به أحد من الناس، إنما الداعية الصادق صاحب هممة وعزيمة، وصاحب إرادة وطموح، وصاحب رسالة، وهدف وغاية، لا ينفك حتى يحقق ما يريد.

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ .: فَلَا تَقْنَعْ بِهَا دُونَ النُّجُومِ

فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ صَغِيرٍ .: كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمٍ.

والداعية مطالب بحسن الفهم للدعوة، وحسن التبليغ لها، فإذا أساء في العمل بأحدهما فهو على خطر عظيم، فإذا أساء الفهم فهو يعرض على الناس شيئا غير تعاليم الإسلام، وإذا أساء التبليغ والتقديم والعرض، فهذا ينفر المجتمع من الفكرة، لأنها عرضت بصورة غير جيدة أو مشوهة، ومن هنا كان المطلوب من الداعية حسن الفهم والتبليغ معا فهما كوجهين لعملة واحدة، لا يغني أحدهما عن الآخر.

يقول د/ مصطفى السباعي: (مصيبة هذا الدين في جميع عصوره بفتنتين، فئة أساءت فهمه، وفئة أتقنت استغلاله، تلك ضللت المؤمنين به، وهذه أعطت الجاحدين حجة عليه)^(١).

فالدعوة أمانة في عنق الدعاة، فهي تحتاج إلى دعاة عاملين للدعوة، لا لأنفسهم وذواتهم، فهم يحققون الشخصية السوية في أنفسهم، ثم يدعون الناس إلى تحقيقها في ذواتهم وأهلبيهم.

(١) هكذا علمتني الحياة د/ مصطفى السباعي ص ١٨٢ فقرة رقم (٦٩٣).

يقول ابن القيم - رحمه الله -: (أين أنت والطريق؟ يا ضعيف العزم! ويا دنيء الهمة! أين أنت؟ لا تستطل الطريق، الطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، وأفجع للذبح إسماعيل، ويبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر- بالنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد بكاء داود، وعالج الأذى محمد ﷺ ولكنكم تستعجلون. إنما يقطع الطريق ويصل المسافر بلزوم الجادة وسير الليل، فإذا حاد السائر عن الطريق أو استطاله ونام الليل فمتى يصل إلى المقصود؟ متى؟ أفيقوا استيقظوا. وخذوا من الأسلاف ممن قبلكم عظةً تُنير قلوبكم وتبصروا، رومان في جبروتها وغرورها رضخت لمن حملوا الضياء وحرروا، دحر البغاة بظلمهم وشُرورهم فخذوا دروساً منهم واستعبروا(١).

ومن أهم صفات الداعية أن يشعر المدعو بحرص الداعية، عليه والشفقة به، وإذا ما يتعلمه الداعية من الرسول ﷺ حيث وصفه الله ﷻ بالحرص على الأمة ودالاتها على الخير، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) (٢).

وفي الحديث قال ﷺ: "مِثْلِي وَمِثْلُكُمْ كَمِثْلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَ الْجَنَادِبُ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا، وَهُوَ يَذُفُّهُنَّ عَنْهَا، وَأَنَا آخِذٌ بِحُجْرِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَقْلُتُونَ مِنْ يَدِي" (٣).

(١) الفوائد لابن القيم ص ٤٢. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣م.

(٢) سورة التوبة الآية (١٢٨).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٢٨٥) عن جابر بن عبد الله ﷺ.



فالداعية يشعر بالألم والحزن، حينما يجد إعراض الناس عن الدعوة؛ لأنه مشفق عليهم شفقة الوالد على ولده، ولذا كانت الجملة الشهيرة المشتركة في دعوة الأنبياء جميعاً، قَالَ تَعَالَى:

﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩).

وحتى يخفف الداعية عن نفسه هذا الألم والحزن، أنه مطالب بالبلاغ الواضح المبين فقط، وأما النتيجة فمن عند الله، وقد قال الله لنبيه ﷺ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ^٢ وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾ (٢٧٢).

فلابد للداعي أن تتوفر فيه مؤهلات الدعوة، وهي أن يكون مؤهلاً تأهيلاً إيمانياً، وعلمياً، وخلقياً، وفنياً، حتى يقوم بالدعوة على أحسن حال، سواء كان مكلفاً بذلك من قبل الدولة، أو كان متطوعاً للقيام بهذا العمل النبيل من قبل نفسه، وفي كليهما هو مكلف من الله ﷻ أولاً وأخيراً.

فالداعية هو أحد قادة الرأي، فهو يقوم على تشكيل الوعي، وإنتاج الحلول، وتنمية القدرات، ودعم المجتمع بوسائل الإصلاح والتغيير نحو الأفضل والأمثل. والاسلام يريد الداعية القوي، الذي أعد إعداداً جيداً، صاحب هذه الصفات الإيمانية، والأخلاقية والثقافية والمهارية، التي تجعله داعية وإماماً وقائداً للمجتمع الذي يعيش فيه.



(١) سورة الأعراف الآية (٥٩).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٧٢).

أولاً: إعداد الداعية إيمانياً:

الداعية الذي يريده الإسلام هو رجل من طراز فريد، فأسوته رسول الله ﷺ وأصحابه الذين نصر الله بهم الإسلام، وأعز بهم الدين، وسعوا للتمكين له في الأرض، بكل الوسائل المتاحة، فأسهموا في إحياء أمة، وبناء مجتمع، وتشديد دولة.

ولا بد للداعية أن يكون متيقناً بأن رسالته هي الحق الواضح المبين، وما سواها من دعوات أخرى هي الباطل، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعِجُونَ بِهِ ۚ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَصِّلِينَ ﴿٥٧﴾ ١.

ولقد ظهر ذلك جيداً في قصص الأنبياء، مثل قصة إبراهيم مع النمرود، الذي واجهه في قوة وصلابة، وحجة دامغة.

وظهر أيضاً في قصة موسى في مواجهته لفرعون في قوته وجبروته وباطله المزيف، فكسب منه الجولة أمام الجميع بالحجة والبرهان. وظهر ذلك أيضاً في قصة أصحاب الأخدود، الذين فضلوا الموت والقتل على الكفر والعبودية للبشر.

فالداعية لا بد أن يكون عميق الإيمان بالرسالة التي يحملها، والدين الذي يدافع عنه، والدعوة التي ينشرها، فيعتقد أنه على الحق المبين، وأن ما سواه هو الباطل الذي لا شك فيه، قال تعالى: ﴿ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَزَاكُمُ الْحَقَّ ۖ فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ ٢.

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٧).

(٢) سورة يونس الآية (٣٢).

إن أقوى ما في الوجود هو إيمان المسلم واعتقاده بالله وتوحيده، فحينما يتغلغل هذا الإيمان إلى سويداء القلب، ويخالط بشاشته القلوب النقية فهذا أقوى وأمضى سلاح في الوجود، يستطيع من خلاله أن يواجه مغريات الحياة، وصراع الباطل، ويتحمل الصبر الجميل على طول الطريق، وبعد المسافة، ومواجهة الصعوبات والتحديات التي تواجهه.

١ - ينبغي على الداعية للإسلام أن يكون صاحب إيمان قوي راسخ، لا يعتريه شك، ولا يصبه وهن، وإيمانه بالله هو العاصم له من الضعف والوهن في مواطن الشدة والابتلاء، وهو يستمد إيمانه من الله ﷻ الذى يدعو إليه، ويقرب الناس له، ويرشدهم إلى طريقه، ويدلهم على الطريق الصحيح للحياة الطيبة في الدنيا، والسعيدة في الآخرة.

إنه يتمتع بالإيمان العميق الذى تتزعزع الجبال الرواسي ولا يضعف إيمانه بدعوته، فقد استولى حبها على قلبه، فليس فيه مجال لسواها، فهو لا يعيش بغيرها، لكنها تبقى بدونه.

يقول الشيخ البهي الخولي واصفا انشغال الداعية بحب دعوته، واستيلائها على كيانه كله: (الداعية صاحب الإيمان القوي الذى يشغل ذهنك بدعوتك في كل لحظة، فتذكرها في نومك ويقظتك، وعلى طعامك وبين أهلك، وفي حلك وسفرك، وفي كل مجالسك إذا قصدت إنسانا فللدعوة، وإذا سلمته أو عاديته فلها، وإذا فرحت أو حزنت فمن أجلها، وبالجملة تكون هي المسألة الأولى الحاضرة لديك في كل وقت من أوقات حياتك، في صلب الحياة ولبها، وأمور عيشك على هامشها وأطرافها، ولا تظن هذا كثيرا عليك، فأنت داعية ولست مدعوا وشتان بين حال هذا وذاك)(١).

٢ - الداعية الذى يؤمن بأن أجله ورزقه بيد الله، فلا يتقلب مع كل تيار، من أجل لقمة العيش، ولا يأكل على كل مائدة من أجل أن يعيش، بل إن الموتة الشريفة أحب إليه من الحياة الذليلة. إن شعاره ما قاله الشاعر: فإما حياة تسر الصديق .: وإما ممات يغيظ العدا.

فهو يؤمن بقوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (٣٤) وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٦) (١).

٣ - الداعية الذى يثبت على مبدئه ودعوته حتى آخر نفس في حياته، فلا يتلون كالحرباء، ويتواضع للمدعويين فلا يختال كالطاووس، ويتواضع مع الناس ولا يتعاضم كالممثل، وفيه بعهوده مع الناس، ولا يمكر كالثعلب، إنه يبحث عن مرضاة ربه، فلا يطلب الدنيا بعمل الآخرة، إنه يعيش لدعوته، ويجاهد من أجلها، ويموت في سبيلها، دون تغيير أو تبديل، أو قعود عن مواصلة الطريق: قال تعالى: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظَرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٢٣) (٣).

٤ - الداعية الذى يحمل هم دعوته بالليل والنهار، ويحس كل أوقاته عليها، ويسخر كل طاقاته من أجلها، يختلط بالمجتمع ويؤثر فيه ويتعب نفسه من أجل راحة الآخرين. (إن دعوته حية في أعصابه، متوهجة في ضميره، تصيح في دمائه، فتعجله عن الراحة والدعة، إلى الحركة والعمل، وتشغله بها عن نفسه وولده وماله، وهذا هو الداعية الصادق الذى تحس إيمانه بدعوته في النظرة،

(١) سورة الأعراف الآية (٣٤).

(٢) سورة هود الآية (٦).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٢٣).



والحركة، والإشارة، وفي السمة التي تختلط بهاء وجهه، وهو الداعية الذي ينفذ كلامه إلى قلوب الجماهير فيحرك عواطفهم إلى ما يريد من أمر دعوته(١).

٥- نريد الداعية الذي تتحقق فيه كل مواصفات الداعية الشامل، وقد جمع الشيخ البهي الخولي أوصاف الداعية المنشود في قوله: (الداعية مؤمن بفكرة يدعو إليها بالكتابة والخطابة والحديث العادي، والعمل الجدى في سيرته الخاصة والعامة، وبكل ما يستطيع من وسائل الداعية. فهو كاتب وخطيب ومحدث قوي، يؤثر في الناس بعمله وشخصه، والداعية أيضا طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس، ويصلح أوضاع المجتمع الفاسدة، فهو ناقد بصير، يقف حياته على الإصلاح إلى ما شاء الله.. وهو رفيق وصديق وأخ للغنى والفقير، والكبير والصغير.

ومن هذه الصفات تشيع المحبة في قلبه، وتتدفق الرحمة في عينيه، وتجري المواساة على لسانه ويديه، وهذا ضروري جدا للداعية، وهو من مواهب الروح والجنان، لا من صفات البلاغة وملكات اللسان. والداعية لا بد له من التأثير النفساني، والهيمنة الروحية، والاتصال بالله، واستعانة العقل بما حصل من تجارب التاريخ وأحوال الناس(٢).

والدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر إذا توفر لها دعاة صادقون، يأخذون بأسباب التبليغ والهداية في دعوة الناس، يكتب لها النجاح، وتكون قوية بدعاتها، ثرية في عطائها، غنية في آثارها، فمهمة الدعوة هداية الناس إلى طريق الله ﷻ وتقرئهم إليه، وترغيبهم فيما عنده، قال تعالى:

﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (٣)

(١) تذكرة الدعاة، للشيخ البهي الخولي، ص ٢٩.

(٢) تذكرة الدعاة باختصار ص ٥.

(٣) سورة الأعراف الآية (١٨١).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ (١٥٩) ﴿١﴾.

إن هذه الصفات السابقة إنما هي صفات الدعاة الصادقين، الذين اصطفاهم الله لحمل دعوته، وتبليغ رسالته، ودلالة الناس على الله، يعيش أحدهم في سبيل فكرته فينشرها، ويستعذب الآلام في سبيل التمكين لها، يتعب نفسه ليريح الآخرين، ويفدى دعوته وأتباعه بنفسه، إنه من ذلك الصنف الرباني الذين عناهم القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَحْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣٩) ﴿٢﴾.

فما أحوج أمتنا إلى هذا الصنف من الدعاة، لينشروا الدعوة في الداخل والخارج، وليقودوا الأمة إلى العزة والسيادة، والنصر والتمكين، ويكونوا طلائع التغيير والإصلاح ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى



اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ (٢٠) ﴿٣﴾.

وإذا أردنا للداعية أن يقوى إيمانها بربها، فلا بد له أن يكون موصولاً بزاد مستمر لا ينقطع، من الله ﷻ فهو داع وليس مدعوا، ومن ثم ينبغي له أن يلتزم بالعبادات الآتية:

١- المواظبة على أداء الصلوات الخمس في جماعة:

ما لم يكن له عذر شرعي من مرض، أو مطر، أو سفر، فعن أبي هريرة: "أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بِيَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا" (٤).

(١) سورة الأعراف الآية (١٥٩).

(٢) سورة الأحزاب الآية (٣٩).

(٣) سورة إبراهيم الآية (٢٠).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٢٨) عن أبي هريرة ﷺ.



٢- الاجتهاد في الحرص على النوافل بعد الفرائض:

فكل فريضة من العبادات لها نافلة من جنسها، فنوافل الصلوات الخمس في السنن المسنونة، وقيام الليل، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً ۝٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ (١).

ونوافل الصيام في الأيام المعروفة صيامها تطوعاً، ونوافل الزكاة في الصدقة، ويداوم على العمرة بعد أداء الفريضة، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. وفي الحديث القدسي: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ" (٢).

٣- الحرص على الورد القرآني:

فهو المعين الذي لا ينضب، والنهر الذي يرتوي منه، والسنة أن لا يختم القرآن في أقل من ثلاث، ولا يزيد على شهر. قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ۝٢٩﴾ (٣).

(١) سورة المزمّل الآيات (٤ - ٨).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) سورة فاطر الآية (٢٩).

٤- المواظبة على أذكار الصباح والمساء:

فهي مدد قوي لحسن الصلة بالله، واستجلاب الهداية والتوفيق منه ﷻ. قَالَ تَعَالَى:
﴿ فَسُبِّحْنَ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا
اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ (٢).

٥- أن يكثر من الدعاء، وأن يلح على الله في طلب مسألته:

ويتخير الأوقات والأماكن الفاضلة التي لها خصوصية في قبول الدعاء واستجابته. قَالَ
تَعَالَى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ
رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٤).

٦- تحري الحلال في المطعم والمشرب والملبس:

وكذا اتباع السنة النبوية في كل عمل يعمله من العبادات والمعاملات والأخلاق وفي
الحديث قال ﷺ: " مَنْ أَكَلَ طَيِّبًا، وَعَمِلَ فِي سُنَّةٍ، وَأَمِنَ النَّاسُ بِوَأَثِقَهُ، دَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا
رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْيَوْمَ فِي النَّاسِ لَكَثِيرٌ، قَالَ فَسَيَكُونُ فِي قُرُونٍ بَعْدِي " (٥).

(١) سورة الروم الآية (١٧).

(٢) سورة الأحزاب الآيتان (٤١ - ٤٢).

(٣) سورة الأعراف الآية (٥٥).

(٤) سورة غافر الآية (٦٠).

(٥) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٥٢٠) وقال: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وانظر الترغيب والترهيب ١٦/٣ إسناداه صحيح أو حسن أو ما قاربهما، عن أبي سعيد الخدري ﷺ.



٧- الشعور الدائم بالافتقار إلى الله:

والانكسار بين يديه ليلا ونهارا، والتفكير المستمر في نعمه وآلائه ومخلوقاته، وأسائه الحسنى والعمل بمقتضاها، ومصاحبة الأخيار والصالحين، وحضور مجالس العلم والوعظ والرفائق، التي تذكر بالله والدار الآخرة، فشعور الداعية بالافتقار والحاجة إلى عونه ومساعدته وتوفيجه، منهج قرآني سار عليه الأنبياء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۝٢٤﴾ (١).



ثانياً: إعداد الداعية أخلاقياً.

مقدمة

إن الأخلاق العالية تفتح القلوب المغلقة، وتهدي النفوس الشاردة، والأرواح الحائرة، وتحدث ثورة في حياة الناس بعضهم مع بعض، لأنها تحول العدو إلى صديق حميم، قال تعالى:

﴿ادْفَع بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤).^(١)

والمسلمون أولى الناس بالتحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، لتكون أخلاقهم وفق ما ورد في القرآن الكريم، وسلوكهم حسب ما جاءت به الشريعة الإسلامية الغراء، وسمتهم حسبما جاء في هدى النبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤).^(٢) وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (٣١).^(٣)

لقد انتشر الإسلام في كثير من بلاد العالم عن طريق أخلاق المسلمين التجار، الذين ذهبوا للتجارة، وتمتعوا بحسن الخلق، والسيرة الحسنة، مثل الصدق في القول، والأمانة في البيع والشراء، فجذبت أنظار الآخرين إليهم، فكانت أخلاقهم سبباً في هداية الناس، وإقبالهم على الدخول في الإسلام، فكانوا دعاة بأخلاقهم ومعاملاتهم، قبل ألسنتهم ومواعظهم.

والإنسان الذي لا يتمتع بالأخلاق الفاضلة، والخصال الحميدة، والشيم النبيلة، لا يصلح لدعوة الناس ومخالطتهم، والصبر على أذاهم، لأنه لا يملك أدوات التنفيذ والتأثير، والتأليف، والإصلاح، بل إنه قد يأتي بأثار مضادة، ونتائج عكسية، على خلاف المراد.

(١) سورة فصلت الآية (٣٤).

(٢) سورة القلم الآية (٤).

(٣) سورة الأحزاب الآية (٢١).



فسوء الخلق يجعل الإنسان مبعوضاً ومكروها عند الله، وعند الناس، بل إنه يعزل نفسه عن الناس فلا يألفهم ولا يألفونه، وفي الحديث قال ﷺ: "المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس" (١).

والعلم الغزير وحده لا يكفي في التوجيه والإرشاد، ما لم يكن مع ذلك أخلاق عالية، تحمي صاحبها من التناقض بين ما يقول وبين ما يصدر عنه، إذ كيف يتعلم الناس الصبر وتحمل المكاره، من شخص ضيق الصدر، كثير الغضب، سريع الانفعال.

ومن مشكلات المسلمين في عصرنا الحاضر أن هناك فجوة كبيرة، وهوة عظيمة، ومساحة شاسعة، بين أخلاق الإسلام النظرية التي جاء بها، ودعا إليها، وبين واقع المسلمين الآن في التعامل، في البيع والشراء، والتقاضي، وقضاء المصالح، والمعاملات، فنجد أن هناك بونا شاسعا يجعل المسلمين يعيشون في تناقض، فالمشكلة هي أزمة أخلاق، فبعضاً منهم سليم العقيدة، صحيح العبادة، لكنه ضعيف الأخلاق، ولا يسعى لتحسينها.

وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: "ليس الصَّيَّامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، إِنَّمَا الصَّيَّامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ" (٢).
والإنسان بدون أخلاق حسنة، يشبه الشجرة التي لا ظل لها ولا ثمر، فهي عديمة الفائدة، قليلة النفع، قطعها أفضل من تركها، فكذلك الإنسان إذا تجرد من الفضائل كان عدمه أفضل من وجوده، وموته أفضل من حياته، حتى يرتاح الناس من شره وضرره.

(١) الحديث ذكره السخاوي في المقاصد الحسنة (٥١٥) والحديث له شواهد أخرى، عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(٢) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٤/١٥٤، إسناده صحيح، عن عبد الله بن عمر ﷺ.

إن حاجة الناس إلى الأخلاق أكثر من حاجاتهم إلى الطعام والشراب، لأن الأخلاق الحسنة تسعد الإنسان في الدنيا والآخرة، وبدون الأخلاق الحسنة، يخسر الإنسان الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَيْرِينَ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝١٥﴾ (١).

ومن الجدير بالذكر أن الإسلام لم يمدح خلقا إيجابيا، ويحرض المسلمين عليه، إلا وذم ضده، ونفر أتباعه منه، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ۝١١﴾ (٢).

فرغب في الصدق وحرَم الكذب، ورغب في الوفاء وذم الغدر، ونقض العهود، ورغب في الأمانة وحرَم الخيانة، وفي الحديث قال ﷺ: "أَدْ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مِنْ خَانَكَ" (٣). وفي الحديث قال ﷺ: "دَعْ مَا يَرِيْبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيْبُكَ، فَإِنَّ الصَّدَقَ طَمَآنِينَةٌ، وَإِنَّ الْكُذْبَ رِيْبَةٌ" (٤).

كما رغب في حفظ الجوارح، وحرَم إشباعها في الحرام بطرق ملتوية، أو غير مشروعة، وفي الحديث قال ﷺ: "اضْمُنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمْ الْجَنَّةَ، اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا اتُّمِنْتُمْ، واحفظوا فُرُوجَكُمْ، وَعُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ" (٥).

والأخلاق في الإسلام لا تتجزأ، ولا تنفصل عن العقيدة والعبادة، فلا يصح أن يكون المسلم صاحب خلق نبيل وشريف داخل المسجد، ويفجر خارجه، أو أن يكون عالما ويفقد

(١) سورة الزمر الآية (١٥).

(٢) سورة النحل الآية (٩١).

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٢٦٤) حسن غريب، عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٥١٨) حديث حسن صحيح، عن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٥) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٤٨/٤ رجاله ثقات إلا أن المطلب لم يسمع من عبادة، والحديث عن عبادة بن الصامت ﷺ.



أخلاق العلماء، أو أن يكون سلوكه مع المسلم، يختلف عن سلوكه وأخلاقه مع غير المسلم، أو أخلاقه في الحضر، غير أخلاقه في السفر، أو أخلاقه بالنهار، غير أخلاقه بالليل، فهو مطالب بالالتزام بالإخلاق في كل شئونه، وفي كل أوقات حياته، ومع كل الناس أجمعين، علي اختلاف معتقداتهم وأجناسهم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٠٨) (١).

ومما تجدر الإشارة إليه، أن هناك أخلاقا فردية عامة لكل المسلمين، يجب أن يتخلقوا بها، وهناك أخلاقا خاصة تزيد علي ما سبق، لمن كان له دور أو مسئولية، مثل الحكام والعلماء، والدعاة، والمعلمين، والمرين، فلهم مزيد من العناية والاهتمام، بحكم ما هم فيه من مسئولية نحو غيرهم.

وفي الحديث قال ﷺ: "كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْءُ رَاعِيٌّ فِي بَيْتِ زَوْجِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: وَحَسِبْتُ أَنْ قَدْ قَالَ: وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ" (٢).

فالعدل من الفرد المسلم واجب، وفي حق الحاكم أوجب، والشورى من الزوج مع زوجته أمر مرغوب فيه، وفي حق السلطان أشد، ونصيحة المسلمين فيما بينهم أمر واجب، لكن المناصحة مع الحاكم والأمراء لله ولرسوله أمر أشد وجوبا، وهكذا مع باقي الأخلاق.

وتربية الفرد والمجتمع والحاكم والمحكوم على حسن الخلق، أمر ليس بالسهل ولا اليسير عمليا؛ لأن التربية تحتاج إلى تعهد واستمرار، ووضوح الأهداف والوسائل واستمرارها فترة طويلة، حتى تكون راسخة في نفس الفرد، فلا تنفك عنه أو ينفك عنها، فمن ربي على أخلاق

(١) سورة البقرة الآية (٢٠٨).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٨٩٣) عن عبد الله بن عمر ؓ.

الإسلام وتأصلت فيه، ثم عاش خارج أرضه أو بلده أو في وسط المجتمعات الغربية، كان من الصعب عليه أن يتخلى عن أخلاقه، لأنها تأصلت وترسخت في أعماقه، فلا يمكن انتزاعها بسهولة ويسر، إلا إذا أراد الشخص نفسه أن يتخلى عنها. ومن كانت أخلاقه ضعيفة وسطحية وعارضة، فما أسرع أن يتركها عند أول صدمة وشدة يقابلها، فالشدائد والمحن تكشف معادن الناس وأخلاقهم في سهولة ويسر، وتجارب التاريخ تؤكد ذلك.



الدعاة والأخلاق:

إن هذه الأخلاق السابقة، مطالب بها جميع المسلمين على وجه العموم؛ لأنها أخلاق الإسلام والقرآن، كما أن الدعاة مطالبون بها أيضا على وجه الخصوص، فإذا كانت واجبة في حق المسلم فهي في حق الدعاة أوجب، لأنهم يقفون موقف النبي ﷺ في الدعوة والوعظ والتذكير والتعليم، فهم أولى بها من غيرهم، وهم أحق بها وأهلها. والدعاة أشد الناس حاجة إلى الخلق الحسن، وتحصيله وتطبيقه في جميع مجالات الحياة، لأنهم في موطن القدوة، كما أنهم أكثر تأثيرا في المدعوين، فهم دعوة صامتة بامثالهم لتعاليم الإسلام في حياتهم، قبل أن يتكلموا مع الناس بالنصوص والآيات. إن الناس يضعونهم تحت المجهر، في كل قول أو عمل، وكل حركة أو سكون، ولا يقبلون حديثهم إلا إذا رأوا فيهم القدوة، والتطبيق العملي لما يدعون إليه، بل يرون فيهم المثالية والفضل، في كل خلق وسلوك. إن سلوك الداعية موضع قدوة في كل تصرف يصدر عنه، فينبغي أن يكون حسن السيرة، جيد الخلق، حميد السلوك، لا يتهم في ماله، أو سيرته، أو تاريخه، أو أخلاقه.



إن الخلق الحسن عند الداعية، يجعله منير القلب، سليم الفؤاد، يبحث عن مواطن الخير، ويهديه الله إليها، فيكسب التوفيق الإلهي بحسن خلقه، ونقاء سيرته، وطيب أخلاقه.

إن الداعية هو الرائد الذي لا يكذب أهله، وهو في مقدمة القافلة والركب، وأخلاق الإسلام في حقه أكد، لأنه قدوة لغيره، وهذا يعني الالتزام الشديد والحرص الدائم على التمسك بأخلاق الإسلام وآدابه، حتى لا يجد المدعوون فيه مطعنا ينفذون إليه.

فصاحب الدعوة ينبغي أن تتقدم الأخلاق الحميدة فيه، التي تؤثر في نفوس الناس وعقولهم، وتؤلف بين قلوبهم، بالإضافة إلى أهليته العلمية والفكرية والدعوية والثقافية، فالأدب قبل العلم، والتربية قبل التعليم، والأخلاق قبل الدعوة، والقدوة قبل الخطبة والدرس. قال شوقي:

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه .: فقوم النفس بالأخلاق تستقم.



فيجب على الداعية إلى الله ﷻ أن يتحلى بمحاسن الأخلاق ومكارمها، حتى يكون ناجحاً في أداء رسالته على أحسن وجه، فالدعوة تقوم على العمل والسلوك، أكثر مما تقوم على الخطب والدروس.

والدعاة هم أولى الناس بمعالي الأمور، ومكارم الأخلاق، لأنهم موضع قدوة، ومحل أنظار الناس، فلأخلاق والسلوك سمات وصفات أساسية يتميز بها الداعية عن غيره من المدعوين، والداعية مطالب بأن يتحلى بكل خلق حسن، ويتجنب كل خلق قبيح.

فريد الداعية القدوة الذي يتمثل دعوته في حركاته وسكناته، وسره وعلايته، في ليله ونهاره، في سفره وترحاله، في صمته وكلامه: (الذي يتكلم فتتكلم أسرار الدعوة في ألفاظه ونبراته، لا يثيرهم إلى باطل، بل يهيئهم لقبول الحق الذي يألفه العقل والفترة). (١).

يقول الشيخ محمد الغزالي: (فإن المرء يولد وفيه من الطباع ما يستدعي دوام اليقظة، وطول المعالجة، ثم تعرض له في حياته عادات شتى الرديء منها أكثر من الطيب، إن سهره على خاصة نفسه وأهله أمر لا محيص عنه، كي تثمر دعوته، وتحمّد طريقته)(١).

فأخلاق الداعية أكثر تأثيراً في المدعويين من كثرة علمه، وغزارة معلوماته، وسعة ثقافته، لأن الناس يرقبون الأخلاق والسلوك أكثر من المعلومات والثقافة.

والأخلاق باب واسع كبير، وعلم قائم بذاته، له أصوله وفروعه، فيه كتب ورسائل وموسوعات، وما يحتاجه الداعية من هذا العلم شيء كثير، فهناك أخلاق أساسية لا غنى لأي إنسان عنها، وهناك أخلاق إنسانية، وأخلاق إسلامية، وهذه كلها بتقسيماتها لا غنى للداعية عنها لأنها قوام الشخصية، وعامل قوي من عوامل نجاحها، ومفتاح التعامل مع الآخرين، من أجل الوصول إلى قلوبهم، وهناك تقسيم آخر للأخلاق مثل:

الأخلاق الإيمانية: الإخلاص، التقوى، التوكل...

والأخلاق السلوكية: الحلم، الرفق واللين، الرحمة والرفقة...

والأخلاق في تبليغ الدعوة: الاستقامة، الأناة، الصبر...

والأخلاق الفنية في الدعوة: البصيرة، والبعد عن الهوى، الثبات والاستمرار، ومرد ذلك وتفصيله يمكن الرجوع التي في كتب الأخلاق وعلم الأخلاق.





كيف يكسب الداعية حسن الخلق؟.

تقويم الأخلاق يحتاج إلى تدرج في التغيير والإصلاح، فالتقويم لا يأتي دفعة واحدة، كما أن كل حالة من الحالات التي تحتاج إلى تغيير تقدر بقدرها، ويراعى خصوصيتها في التربية، فما يصلح لإنسان قد لا يصلح لآخر، وهكذا.

ويمكن الاستفادة من هذه الوسائل:

١ - تقوية الإيمان، فالإيمان القوي يولد الخلق القوي، فإذا أردنا مجتمعاً قوياً في أخلاقه، فلا بد أن نقوى إيمان أفرادنا، فالإيمان هو الدافع والمحرك الأساسي للتخلي بالفضائل، والبعد عن الرذائل، فالإيمان يفجر الطاقات، ويصنع البطولات، ويحقق المستحيلات، فضعف الأخلاق إنما سببه الرئيس ضعف الإيمان.

فهناك ارتباط قوي بين الإيمان والأخلاق، حيث إن الأول مقدمة، والآخر نتيجة، فإذا قوى الإيمان صلحت الأخلاق، والعكس، وفي الحديث قال ﷺ: "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم" (١).

وفي الحديث أيضاً قال ﷺ: "الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رفع أحدهما رفع الآخر" (٢). وفي الحديث قال ﷺ: "لا إيمان لمن لا أمانة له" (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١١٦٢). وقال حسن صحيح، عن أبي هريرة ؓ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٣٥٠. إسناده صحيح، عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/١٢٥. عن أنس بن مالك ؓ.

وفي الحديث قال ﷺ: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله: قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه" (١).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت" (٢).

٢- عن طريق التدريب والمران والممارسة، ومجاهدة النفس بالتحكم فيها، خاصة في مواطن الغضب والضيق، وفي الحديث قال ﷺ: "ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب" (٣).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: "العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، ومن يتحر الخير يعطه، ومن يتوق الشر يوقه" (٤).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: "وإنه من يستعفَّ يُعَفِّه اللهُ، ومن يتصَبَّرَ يُصَبِّرْهُ اللهُ، ومن يستغنٍ يُغْنِه اللهُ، ولن تُعْطُوا عَطَاءَ خَيْرٍ وَأَوْسَعَ من الصبر" (٥).

ويمكن إصلاح الأخلاق من خلال التربية المتواصلة المستمرة، فبمرور الوقت تتأصل الأخلاق في شخصية الفرد، وتصبح عادة عنده، ومن شب على شيء شاب عليه، ولكل امرئ من دهره ما تعودا، والجهد في التربية مع النشء الصغار، أيسر- من ذلك الجهد الذي يبذل مع البالغين والكبار.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري ٨/١٠ عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٠١٨). عن أبي هريرة ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦١١٤). عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) الحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٢). إسناده حسن، عن أبي هريرة ﷺ.

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٦٧٠). أبو سعيد الخدري ﷺ.



ومجاهدة المسلم لنفسه، في تهذيبها بالأخلاق الحسنة، والفضائل الكريمة، والارتقاء بها، من عوامل الإصلاح والسعادة، حيث إن صلاح الأخلاق سبب لسعادة الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم - رحمه الله -: (الدين كله خلق، فما زاد عليك في الخلق، زاد عليك في الدين).

٣- قراءة النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تحث المسلم على حسن الخلق، والتحلي بمكارم الأخلاق، والثواب المترتب على ذلك في الدنيا والآخرة، حتى تكون حافزا ودافعا له في التخلق بها، ومعرفة ثواب الصبر على جهالات الآخرين، ومقابلتها بالعفو والصفح الجميل. وكذلك معرفة ما أعدده الله لأصحاب الأخلاق الحسنة من الثواب العظيم، والأجر الجزيل، في الدنيا والآخرة، كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّعْنَا لَهُمُ الْعَذَابَ الْجَحِيمَ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾^(١).

قال الشافعي - رحمه الله -:

أحب مكارم الأخلاق جهدي	::	وأكره أن أعيب أو أعابا
وأصفح عن سباب الناس حلما	::	وشر الناس من يهوي السبابا
ومن هاب الرجال تهيويه	::	ومن حقر الرجال فلن يهابا.

٤- الحياة في وسط الصالحين، لأن الإنسان يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، والبقاع تؤثر في الطباع، والأخلاق تعدى عن طريق التقليد والمحاكاة، وفي الحديث قال ﷺ:

(١) سورة الدخان الآيات (٥١-٥٧).

"مثلُ الجليسِ الصَّالحِ كمثلِ صاحبِ المسكِ، إن لم يُصَبِّك منه شيءٌ، أصابك منه ريحُه، ومثلُ الجليسِ السُّوءِ كمثلِ صاحبِ الكيرِ، إن لم يُصَبِّك من سواده، أصابك من دُخانِه" (١).

وفي الحديث أيضا قال ﷺ: "لا تصاحبُ إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقيٌّ" (٢).

البس جديدا إني لابس خلقي .: ولا جديد لمن لا يلبس الخلقا.

يقول ابن القيم فيما يتعلق بالوسائل التي تؤدي إلى تغيير الأخلاق المقارنة والمعاصرة: (فالإنسان يكتسب بالمقارنة والمعاصرة، أخلاق من يقارنه ويعاشره) (٣).

كما أن اتخاذ صديق تقي بصير صالح، يقدم النصيحة بين الحين والحين، وتقبل النصيحة منه على أي وجه من أفضل الوسائل المفيدة في ذلك. ولا خير في الدنيا إذا لم يكن بها .: صديق صدوق صادق الوعد منصفاً.

٥- الاستفادة من نصائح المرين وخبراتهم، وقبول ما عندهم من خير وبر، فالخبرات المتراكمة عند المرين لها أثرها الكبير في التغيير والإصلاح، وأكبر دليل على ذلك وصايا لقمان عليه السلام لابنه، وهو يربيته على العقيدة السليمة، والعبادة الصحيحة، والخلق الفاضل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَنُ لِبَنِيهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۚ يَبْنِي لَأُشْرِكَ بِاللَّهِ إِبْرَاهِيمَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۝١٤ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا

(١) الحديث ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٩٦/٤ إسناداه صحيح، عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٣٩٥). حديث حسن، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم ٤٨٨/٢.



مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْقَىٰ إِنَّمَا إِنْ
تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ
خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْقَىٰ أَقْبَرُ الصَّلَاةِ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبَرَ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ
الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تَصْعَرَ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي
مَسِيكِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ (١).

كما أنه يراعى التنوع في استخدام الأساليب التي تساعد في تربية الأخلاق، مثل أسلوب الحوار بين المربي والمربي، أو الأب والابن، وأسلوب التربية بالقدوة الحسنة، وأسلوب التربية بالممارسة، وأسلوب التربية بالترغيب والترهيب، وأسلوب النصيحة والوعظ. يقول الإمام برهان الدين النسفي: (أما رياضة الصبي، فالصبي أمانة من الله ﷻ عند والديه ونفسه نفيسة قابلة لكل نقش، فلو أهمل لبطل، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ ﴿٦﴾) (٢).

فليعلمه أولاً محاسن الأخلاق، وليجنبه قرناء السوء ولا يعود التمتع، لأنه سبب التندم، وليؤدب بالأداب الظاهرة، ويجب إليه الإيثار والحياء تنفيراً لطبعه عن الأضداد، ولا يرغبه بالأشعار إلا وهي في السخاوة والشجاعة، ويعوده الحشونة في الملبس والمطعم، وغيرها من الرياضات الجسمانية نحو المشي وغيره تقوية لمواده، وبالجملة، يرغبه في كل خير، ويجنبه من كل شر، فقبوله أيسر، لأنه لا يحتاج إلى ترك المعتاد. قال الشاعر:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت .: ولا تلين إذا قومتها الخشب (٣).

(١) سورة لقمان الآيات (١٣-١٩).

(٢) سورة التحريم الآية (٦).

(٣) مكارم الأخلاق الإمام برهان الدين النسفي صد ٢٥ تحقيق محمد بن عبد الله أحمد أبو الفضل العدوي ط/ الأولى المكتبة العلمية بيروت لبنان سنة ٢٠١١م.

٦- تعهد الرعاية المستمرة للحالات التي تحتاج إلى إصلاح، مثل الذي يزرع شجرة، إذا لم يتعهدها بالرعاية والعناية والسقاية والتهديب المستمر، فلا تحقق الثمرة المرجوة، فالأخلاق تتكون بالاعتیاد والممارسة، وتكرار الفعل والمواظبة عليه، إلى أن يصير طبعاً وسجية، يقول ابن خلدون: (إن أهل البدو أقرب إلى الشجاعة من الحضرة، وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفه، لا ابن طبيعة مزاجه، فالذي ألفه في الأحوال حتى صار خلقاً ومملكة وعادة، تنزل منزلة الطبيعة والجبلة) (١).

٧- استحضار خلق رسول الله ﷺ وأن يتخيل المسلم لو أن الرسول ﷺ كان في موقفه، ماذا سيكون تصرفه؟ فيقتدي به، حينئذ تهون على المرء نفسه، وتنكسر حدة الكبر فيه. (لقد مثلت حياة النبي ﷺ أعمالاً كثيرة متنوعة، بحيث تكون فيها الأسوة الصالحة، والمنهج الأعلى للحياة الإنسانية، في جميع أطوارها، لأنها جمعت بين الأخلاق العالية، والعادات الحسنة، والعواطف النبيلة المعتدلة، والنوازع العظيمة القويمة) (٢).

٨- أن ينشغل الإنسان بالنظر في عيوبه وإصلاحها، قبل النظر في سلبات الآخرين ونقدها. عليك نفسك فتش عن معايها .: واخل من عثرات الناس للناس.

يقول الإمام برهان الدين السبكي: (إذا أراد الله بعبد خيراً بصره بعيوب نفسه، فيستعد لإزالتها والوقوف عليها بطرق ثلاثة: الأول: الاستعانة من ناصح، قال عمر ﷺ: (رحم الله امرأً أهدى إلى عيوبي). وعلى الحقيقة العيوب حياة وعقارب على الأرواح، تتألم بها في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ (١٢٧) (٣). والثاني: أن يخالط الناس فيترك ما يشينهم) (٤).

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٢١. دار القلم بيروت ط/ الخامسة ١٩٨٤م.

(٢) انظر الرسالة المحمدية للشيخ السيد سليمان الندوي ص ١١٧ ط/ دار بن كثير دمشق.

(٣) سورة طه الآية (١٢٧).

(٤) مكارم الأخلاق للإمام برهان الدين النسفي ص ٢٢-٢٣. تحقيق/ محمد بن عبد الله أحمد أبو الفضل العدوي/ الكتب العلمية بيروت لبنان ط/ الأولى سنة ٢٠١١م.



وأن ينظر الإنسان في عواقب الأمور ومآلاتها، وما يترتب على سوء الخلق من مضار وقبائح لا تنس عند الناس.

٩- التعامل مع البشر على أنهم بشر، خلقوا من ماء وطين، فيهم كدر الطين، وسواد الطين، وعكارة الطين، ليسوا ملائكة ولا معصومين من الخطأ، فكلنا أصحاب خطايا وذنوب، فلا يتطلب الملائكية أو المثالية من الآخرين في المعاملة حتى يصحبهم، وإنما لا بد من الواقعية والبشرية في التعامل معهم، واتباع التغافل في معاملاتهم.

ليس الغبي بسيد في قومه .: لكن سيد قومه المتغابي.

وأن يلتمس الأعداء والمررات للآخرين في بعض المواقف منهم، فلا يقابل السيئة بالسيئة، ويقول هو المبتدئ، وأنا أرد عليه، وإنما يتحكم في سلوكه، ويكظم غيظه، ويجاهد نفسه، ويمثل حديث النبي ﷺ: "لا تكونوا إمعة، تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم، إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا" (١).

١٠- الاستماع إلى رأى الخصوم والغرماء، فهم دائما يركزون على السلبيات والعيوب والنقائص، فيتجنبها الإنسان.

ورحم الله الشافعي إذ يقول:

عِدَايَ لَهُمْ فَضْلٌ عَلَيَّ وَمِنَّةٌ .: فلا أذهبَ الرحمنُ عَنِّي الأعدايا
هُم يَحْتَوْنَ عَن رَأْيِي فَاجْتَنِبْتُهَا .: وَهُم نَافِسُونِي فَكَتَسَبْتُ المَعَالِيَا.



وسأتناول هنا أشهر الأخلاق السابقة التي يحتاج إليها الداعية، وبيان أثرها على الداعي والمدعويين.

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٧٧٠) وقال حسن غريب عن حذيفة بن اليمان ؓ.

وهذا نموذج لخلق من أخلاق الداعية التي يجب أن يتخلق به، وهو خلق الاخلاص (١).

١- معنى الإخلاص:

تصفية الأقوال والأعمال مما يشوبها من الشرك والرياء، والمباهاة، والسمعة.

وقيل: أن لا تطلب لعملك شاهدا غير الله ﷻ. وقال الفضيل بن عياض: ترك العمل

لأجل الناس رياء، والعمل لأجلهم شرك والإخلاص: الخلاص من هذين، أو يعافيك الله منهما.

وفي الحديث قال ﷺ: "من تعلم علما مما يتغى به وجه الله ﷻ لا يتعلمه إلا ليصيب به

عرضا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة (أي رائحتها) يوم القيامة" (٢).

فالخلاصة: الإخلاص أن تبغى بعملك وجه الله ﷻ سواء كنت رئيسا أو مرؤوسا، في

المقدمة أو المؤخرة، في السر أو العلانية. وفي الحديث القدسي: "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من

عمل عملا أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه" (٣).



٢- أهمية الإخلاص:

١- هو من أهم أعمال القلوب: وأعظمها قدرا عند الله ﷻ وهو موضع نظر الله من العبد. وفي

الحديث قال ﷺ: "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم

وأعمالكم" (٤).

(١) هذا أنموذج لخلق واحد من أخلاق الداعية، وبإقي الأخلاق يمكن الرجوع إليها في كتب الأخلاق، ومنها كتاب في ظلال خلق المسلم الجزء الأول والثاني للمؤلف.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٣٦٦٤) وابن حبان في صحيحه (٧٨) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة ؓ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٤٦٥١) عن أبي هريرة ؓ.



والإخلاص: هو حقيقة الدين الإسلامي، وجوهر رسالة الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَا

أُمْرًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (١)

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ (٣) ﴾ (٢).

وفي الحديث قال ﷺ: "من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة" (٣).

٢- هو أحد شرطي قبول العمل من الله ﷻ: والشرطان هما:

١- أن يكون العمل خالصا يتغى به وجه الله وحده. ٢- وأن يكون العمل صوابا على سنة

النبي ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ (٤)

وكان سلفنا الصالح يبدؤون مصنفاتهم بحديث: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى" (٥). وهذا إشارة إلى أهمية الإخلاص في طلب العلم وتعليمه، وأنه يجب أن يتغى به وجه الله ﷻ حتى يكون مقبولا عنده.

٣- الإخلاص يعظم العمل الصغير عند الله في الأجر والثواب: قال عبد الله ابن المبارك ﷻ:

(رب عمل صغير تعظمه النية، ورب عمل كبير تصغره النية). فالإخلاص في العمل هو الذي يضاعف الأجر والثواب عند الله ﷻ على القليل.

(١) سورة البينة الآية (٥).

(٢) سورة الزمر الآيتان (٢-٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٥٧٠) عن أبي هريرة ﷺ.

(٤) سورة الكهف الآية (١١٠).

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

٤- الإخلاص يحمى العبد من نزغات الشيطان: فلقد أقسم الشيطان على غواية أبناء آدم كلهم حتى يوم القيامة، ماعدا المخلصين منهم، كما حكى القرآن الكريم: قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ فِعْرَانُكَ لَأُعْوِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾^(١).



٣- من مظاهر الإخلاص:

١- ابتغاء الأجر من الله ﷻ وحده: فلا يبحث عن شهرة، ولا مكانة اجتماعية، ولا زعامة، ولا ثناء الناس عليه، قال تعالى على لسان بعض الأنبياء في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾^(٢).

وقال الإمام الشافعي -رحمه الله-: (وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم، وما نسب إلى شيء منه).

٢- عمل السر عنده أفضل من العلانية: وفي الحديث عن أحد السبعة الذين يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال ﷺ: "ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، فلا تعلم شماله ما أنفقت يمينه"^(٣).

ولقد رأى سيدنا عمر رجلا يطأطئ رقبتة وهو يصلي فقال: (ارفع رقبتك فإن الإخلاص في القلوب، وليس في الرقاب).

قال تميم الداري: (والله لركعة أصليها في جوف الليل في سر أحب إلى من أن أصلي الليل كله، ثم أقصه على الناس).

(١) سورة ص الآيتان (٨٢-٨٣).

(٢) سورة الشعراء الآية (١٢٧).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٤٢٣). عن أبي هريرة ﷺ.



٣- إساءة الظن بالنفس، واتهامها بالتقصير: فالمخلص من العباد من يأتي بجميع العبادات على أحسن وجه، ومع ذلك هو خائف أن لا يتقبل الله منه عمله يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(١).

٤- استواء المدح والذم: فالمخلص يقوم بجميع أعماله على ما يرضي الله ﷻ ثم بعد ذلك لا يبالي أرضي الناس أم سخطوا، مدحوا أم ذموا.
وكان الإمام على إذا مدحه الناس قال: (اللهم اغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرا مما يظنون).

قال الحافظ ابن رجب- رحمه الله-: (إن الإنسان قد يذم نفسه بين الناس، يريد بذلك أن يرى الناس أنه متواضع عند نفسه، فيرتفع بذلك عندهم ويمدحونه به، وهذا من دقائق أبواب الرياء).

وأحيانا يعمل أحدنا العمل يبتغى به وجه الله لكن الناس يمدونه عليه، سئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: "تلك عاجل بشرى المؤمن"^(٢).



٤- وسائل تحقيق الإخلاص:

١- معرفة عظمة الله ﷻ: إذا تيقن العبد بأن كل شيء في الكون يقع بتدبير الله ﷻ فأرزاق العباد بيده، وآجال العباد بيده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾^(٣).
تعين على العبد أن يخلص عبادته لله ﷻ وحده.

(١) سورة المؤمنون الآية (٦٠).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٤٢) عن أبي ذر الغفاري ؓ.

(٣) سورة الأنعام الآية (١٨).

٢- الإلحاح على الله ﷻ بالدعاء: إن المسلم في كل أمره يطلب العون من الله وحده، فهو

يقرأ كل يوم قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَعْبُدُكَ وَإِنَّا نَسْتَعِينُكَ﴾ (١).

فيسأله أن يمنحه الإخلاص في القول والعمل، وأن يبعده عن الرياء والشرك، في الظاهر والباطن، وكان ﷺ يقول في دعائه: "كُلَّ يَوْمٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَمُهُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ" (٢).

وكان من دعاء مطرف بن عبد الله: (اللهم إني أستغفرك مما زعمت أني أردت به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت).

٣- مصاحبة أهل الإخلاص: صحبة الصالحين والمخلصين تعين على الصلاح والإخلاص، وقد خاطب الله نبيه في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٣).

وفي الحديث قال ﷺ: "هم القوم لا يشقى بهم جليسهم" (٤).

وهذه قصة رجل من الصحابة في إحدى الفتوحات الإسلامية، استعصى على المسلمين فتح مدينة، فصنع نقبا في السور، ودخل منه، فقاتل المشركين قتالا شديدا، وفتح للمسلمين الباب، فدخلوا منه، فكان سببا للنصر والفتح، وكان هذا الصحابي ملثما، ورفض أن يكشف عن وجهه،

(١) سورة الفاتحة الآية (٥).

(٢) الحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٧/١٠ ورجاله رجال الصحيح، عن أبي بكر ﷺ.

(٣) سورة الكهف الآية (٢٨).

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٨٩). عن أبي هريرة ﷺ.



أو أن يعطيهم اسمه، أو يعطوه مكافأة، وغادر المكان ولم يعرفه أحد من الناس على الإطلاق، فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: اللهم احشرنى مع صاحب النقب.

٤- تدريب النفس على عمل السر في العبادات: فعمل السر فيه صعوبة على النفس، لكن ثوابه أعظم عند الله عز وجل مثل صلاة الليل، صيام التطوع، الصدقة الخفية، وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب العبد التقي الخفي" (١). قال سهل بن عبد الله التستري: (ليس على النفس شيء أشق من الإخلاص، لأنه ليس لها فيه نصيب).



٥- ثمرات الإخلاص:

١- استمرار العمل: فالذي يعمل للناس يراقبهم، ويتوقف إذا غاب عن أعينهم، أما من يعمل لله فهو مستمر في عمله. والصالحون يقولون: (ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل).

٢- تأييد الله وعونه في الشدائد: فالله يمد المخلصين بعونه ورعايته وتأييده، فينقذهم من المهالك، ويساعدهم في الشدائد، كما فعل مع يوسف عليه السلام حينما أنقذه من تخطيط امرأة العزيز، حتى لا يقع في الحرام قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصِّرَفَ عَنْهُ الشُّرُوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ﴾ (٢٤) سورة يوسف (٢).

وفي قصة الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى غار عظة وعبرة. (القصة المشهورة) كان دعاء كل واحد منهم: "اللهم إنك تعلم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء مرضاتك، ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة على مراحل إلى أن خرجوا جميعاً" (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٩٦٥). عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) سورة يوسف الآية (٢٤).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٢٧٢). عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وذلك لأن من ترك المعصية ابتغاء مرضاة الله ﷻ أنقذه الله من الشدائد، ومن عمل عملاً صالحاً أيضاً كان يتغني به مرضاة الله ﷻ أيده الله بعونه وتوفيقه في الشدة. قال عمر بن الخطاب: (من خلصت نيته كفاه الله ما بينه وبين الناس).

وقال أبو حازم: (لا يحسن عبد فيما بينه وبين ربه إلا أحسن الله ما بينه وبين العباد).

٣- سكينه النفس: فالإخلاص يكسب صاحبه الأمن والسكينة، فيشعر بانسراح الصدر، وهدوء النفس. وفي الحديث قال ﷺ: "من كانت الآخرة همه، جعل الله غناه في قلبه، وجمع الله عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة" (١).

٤- قبول الأعمال من الله ﷻ ودخول الجنة: وذلك لأن الإخلاص أحد شرطي قبول العمل، وفي الحديث قال ﷺ: "إن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان صالحاً، وابتغى به وجهه ﷻ" (٢). وقالوا: (إخلاص ساعة نجات الأبد، ولكن الإخلاص عزيز).

إن غاية المسلم تكمن في مرضاة الله ﷻ ودخول جنته، والبعد عن سخطه وناره، ولا يصل المسلم إلى ذلك إلا بأن يجعل حياته ومماته وعبادته كلها لله ﷻ كما أمر الله نبيه بذلك في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (٣).

وكل عمل يعملها الإنسان صغيراً أو كبيراً يؤجر عليه، ولا يضيع عند الله، ما دامت النية خالصة لوجه الله ﷻ: قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مَنَّ حَوْكُمُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن

(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ٤/١٣١ فيه يزيد الرقاشي، قد وثق، ولا بأس به في المتابعات، وذكره الألباني في صحيح الترمذي (٢٤٦٥). عن أنس بن مالك ﷺ.

(٢) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١/٤٠ إسناده حسن أو جيد، عن أبي أمامة ﷺ.

(٣) سورة الأنعام الآيتان (١٦٢-١٦٣).



رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَقْطَعُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ ﴿١﴾

وأن يخلص العبد لله ﷻ في أعماله كلها، يتبغى مرضاته، ولا ينتظر ثناء الناس، على ما قدم لهم من صنيع أو جميل، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ ﴿٢﴾.

اللهم ارزقنا الإخلاص في القول والعمل، والسر والعلانية،

والعسر واليسر، والسراء والضراء، والمنشط والمكره.



(١) سورة التوبة الآيتان (١٢٠-١٢١).

(٢) سورة الإنسان الآيتان (٨-٩).

ثالثاً: إعداد الداعية علمياً.

الداعية واسع الثقافة، ذو أفق كبير، ومدارك شاسعة، مطلع على كثير من العلوم، له عدة فكرية وثقافية، لأنها هي الزاد الذي ينقله إلى الآخرين، وقراءته المستمرة في العلوم التي يحتاج إليها، تجعله كالبحر الذي يتجدد ماؤه بجريانه، أما الماء الراكد فإنه يأسن ويتغير، ولا يفيد أحداً من الناس.

وثقافة الداعية مثل مال الزكاة، كلما كثر المال زاد في إخراج الزكاة التي يثاب ويؤجر عليها، وإذا قل النصاب فلا زكاة ولا ثواب ولا أجر، وفاقد الشيء لا يعطيه، والكوب إذا امتلأ بالماء فاض على جوانبه، وكذلك الداعية كلما كثر زاده العلمي أفاض على من حوله من الناس بالفائدة والنفعة.

يقول الشيخ محمد الغزالي: (الداعية مدمن قراءة، وصديق للكتاب، يأنس إليه، ويرقب كل جديد فيه. على أن القراءة المهوشة عبء على الذهن، وكثرتها تصبح عديمة الفائدة، ما لم تدر القراءة حول محور معين يرتب معارفها، وينسق أفكارها. ويدع في المستودع ما يحتاج إليه في الغد، ويقدم للاستهلاك ما يتطلبه اليوم

. وصاحب الرسالة له حاسة خاصة تلتقط - على عجل - ما يعنيه. وسرعان ما يديره في رأسه ويربطه بفكرته، ويقرن به من المعاني ما يناسبه. وصاحب الرسالة - مهما سمت درجته - تلميذ



يطلب العلم من المهد إلى اللحد. ويستفيد ممن دونه كما يستفيد ممن فوقه. ولن يصل أحد في الدنيا إلى درجة التشبع التام من المعرفة. (وفوق كل ذي علم عليم) (١).



وإذا كانت ثقافة الداعية بهذه الأهمية السابقة فإنه يحتاج إلى دراسة هذه العلوم حتى يكون له زاده العلمي والثقافي.

١- الثقافة الشرعية أو الإسلامية.

٢- الثقافة التاريخية.

٣- الثقافة الأدبية واللغوية.

٤- الثقافة الإنسانية.

٥- الثقافة العلمية.

٦- الثقافة الواقعية. (٢).

فالهدف هو إعداد الداعية المثقف، القوي الذي يمد أشعة الإسلام إلى قلوب الناس وعقولهم، وأنفسهم وضمايرهم، فالداعية هو القوى المحركة لحركة الدعوة في كل مكان من الحياة.

(١) مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ/ محمد الغزالي صد ٢١٩-٢٢٠. د ار الكتب الحديثة القاهرة ط/ الرابعة ١٣٩٦-١٩٧٦.

(٢) انظر كتاب ثقافة الداعية باختصار وتصرف، للدكتور/ يوسف القرضاوي ط/ مكتبة وهبة التاسعة ١٩٩١م.

والداعية هو العمود الفقري في الدعوة، فلا بد له من أن يتزود بأسلحة شتى في القيام بدوره، فبعد سلاح الإيمان والأخلاق، يأتي سلاح العلم والثقافة، أو العدة الفكرية للداعية، أو إعداد الداعية علمياً وثقافياً، حتى يستطيع أن يقوم بنشر الدعوة، أو الدفاع عنها.



١- الثقافة الشرعية:

ففي مجال القرآن الكريم يجب على الداعية: أن يحفظ القرآن الكريم كله إن استطاع، أو بعضه على الأقل، وأن يداوم التلاوة بخشوع وتأمل وتدبر؛ لتنتفع معه أفعال القلوب، ويستحضر الشواهد، وأن يحسن التلاوة بإتقان وترتيل وذلك بدراسته لأحكام التجويد نظرية وتطبيقاً.

تنبيهات ومحاذير للداعية في مجال القرآن:

١- جمع الآيات ذات الموضوع الواحد وتصنيفها، سواء كانت الآيات لها صلة مباشرة باللفظ أو متعلقة بالموضوع، مثل موضوع العلم.

٢- العناية بقصص القرآن، لما يشتمل على ذلك من العظات والعبر والأسرار. مثل قصة آدم مع الملائكة، ويوسف في التخطيط، وسليمان مع بلقيس، وذو القرنين ونبأ السد، والشباب المؤمن في أصحاب الكهف، والمرأة المؤمنة وهي زوجة لكافر، زوجة فرعون، وقصة عوام الناس حين يؤمنون، مثل سحرة فرعون، وقصة أصحاب الأخدود.

٣- العناية بالنماذج القرآنية التي تصور الشخصية الإنسانية في مختلف مجالات الحياة...

٤- الحذر والتحذير من سوء التأويل، وتحريف الكلم عن مواضعه.



٥- الحذر من إخضاع النص لواقع الزمن، أو تبني مذهب أو فكرة يبحث لها عن الدليل، أو تجزئة النصوص وتفكيكها، أو اتباع المتشابهات وترك المحكمات.



نماذج من أنواع التفسير:

١- تفسير القرآن بالقرآن: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾

﴿١﴾. فالآيات التي تليها تفسرها.

٢- تفسير القرآن بالحديث: ففي الحديث: "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوْشِكُ رَجُلٌ يَنْشِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحْلُوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ! أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السَّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقْطَةٌ مِنْ مَالٍ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلِيهِمْ أَنْ يَقْرَؤَهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَقْرَؤَهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعَقِّبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهِمُ" (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَعَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (٢). وفي الحديث "أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِي" (٣).

والرمي أساس الآلات الحربية الحديثة، فعليه يتوقف مفعولها.

(١) سورة الطارق الآية (١-٣).

(٢) الحديث ذكره الإمام أبو داود (٤٦٠٤). وإسناده صحيح، عن المقدم بن معدي كرب الكندي ؓ.

(٣) سورة الأنفال الآية (٦٠).

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٩١٧) عن عقبة بن عامر ؓ.

٣- تفسير القرآن بأقوال الصحابة قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ (٥) ﴿١﴾. ففي فتح الباري عن ابن عباس وعليه أكثر المفسرين: (ارتفع) ونقل قول أم سلمة وربيعة ومالك وغيرهم: (الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإقرار به إيمان).

٤- تفسير القرآن بأقوال التابعين: قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (١١) ﴿٢﴾. ابو العالية (ارتفع) وقال مجاهد استوى علا العرش، الربيع بن أنس (ارتفع الى السماء).

٥- تفسير القرآن باللغة العربية: قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾ (٥٤) ﴿٣﴾. قال أهل اللغة هي الأصنام، وأصل التماثيل الشيء المصنوع مشابها من مخلوقات الله. فالأصنام كانت تمثل عندهم الأولياء.

٦- معرفة الاستنباط: وهو الفهم الدقيق المستنبط من الآية مثل قول عمر لابن عباس في قوله ﷻ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ (١) ﴿٤﴾.

أو استنباط الحكم من مستتبعات التراكيب، مثل قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَفِزُّ مَنِ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجَلْبُ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (٦٤) ﴿٥﴾.

(١) سورة طه الآية (٥).

(٢) سورة فصلت الآية (١١).

(٣) سورة الأنبياء الآية (٥٢).

(٤) سورة النصر الآية (١).

(٥) سورة الإسراء الآية (٦٤).



فالشيطان يستخدم الصوت الحسن في الغناء، لصرف الناس عن الدعوة، فعلى الداعية أن يحسن صوته؛ حتى يجذب الناس إلى الدعوة مرة أخرى.

٧- معرفة أسباب النزول. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ

عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ (١). قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كان نفر من الأنس يعبدون نفرا من الجن، فأسلم الجن واستمسك الآخرون بعبادتهم).

٨- معرفة الناسخ والمنسوخ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي

أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَخَافُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُ عَنْكُمْ وَيَعِزُّكُمْ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٨٤﴾ (٢). نسختها الآية التالية لها: قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لِطَاقَةِ لَنَا بِهِ^٤ وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٣٨٦﴾ (٣).

٩- معرفة المكي والمدني: فالمكي ما نزل قبل الهجرة ولو بغير مكة ، والمدني ما نزل بعد

الهجرة ولو بمكة.

كيف يتعامل الداعية مع علوم القرآن؟.

علوم القرآن مدخل لدراسة القرآن وتفسيره: وهو علم يعين على فهم المراد من كلام الله عز وجل

بقدر الطاقة البشرية.

(١) سورة الإسراء الآية (٥٦).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٤).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

وهناك تفسير بالمأثور أو الرواية وله خصائص ومميزاته وعيوبه، ويؤخذ عليه وجود الإسرائيليات والموضوع والضعيف. وهناك التفسير بالرأي ويغلب عليه الطابع الشخصي أو المذاهب أو الزمن.

وكل تفسير له ميزة لا توجد في غيره، فيستحب التنوع، ويأخذ من كل تفسير أفضل ما فيه، فالكشاف فيه نزعة اعتزالية، لكن فيه أسرار قرآنية، ومباحث بلاغية، ويرشح للداعية تفسير ابن كثير؛ لأنه جمع خلاصة الطبري، مع تهذيب وتنقيح وتعقيب، وقال عنه السيوطي: لم يؤلف على نمطه مثله، وهو يجمع بين الرواية والدراية معاً، وهناك تفاسير كثيرة ظهرت في العصر الحديث كل له مزية، وجهد مشكور.



وصايا لمن يتعامل مع كتب التفسير:

١- الاهتمام بلباب التفسير، بعيداً عن الحشو والاستطراد، الذي يجنب القارئ عن أدراك أسرار كلام الله، أبو حيان يقول عن مفاتيح الغيب فيه كل شيء إلا التفسير، والمطلوب تجلية أسرار الحق وأنوار الهداية، وبيان المراد من كلام الله، والبحث عن روح التفسير، مثل قول الحسن في قوله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتُلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بَبَيْعِكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ (١).



قال الحسن: بايعهم والله فأغلى ثمنهم، وقول شمر بن عطية: ما من مسلم إلا والله في عنقه بيعة، وفيها أو مات عليها. أنفسا هو الذي خلقها، وأموالا هو الذي رزقها، فيشتري منا ما خلق وما رزق، ويعطينا مقابل ذلك جنة هو مالكها.

٢-الإعراض عن الإسرائيليات التي تسربت إلى التفسير فعكرت صفوه، وهذا مستهدف من أهل الكتاب بعد هزيمتهم أمام الإسلام، ووصفهم الإسلام بالتحريف، لكن من المهم بيان موقف الرسول ﷺ مع عمر بن الخطاب في قرأته للصحيفة، والسبب في تساهل الناس في الإسرائيليات، حديث: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) (١). وأنها تتعلق بأمور مسكوت عنها.

٣-الحذر من الروايات الموضوعية والضعيفة: سواء كانت مرفوعة إلى النبي ﷺ أو موقوفة على الصحابة، أو منسوبة إلى التابعين، ومن جاء بعدهم، مثل روايات ابن جريح عن ابن عباس، وطريق الضحاك عن ابن عباس، وروايات عطية العوفي عن ابن عباس، وهناك روايات الكلبي والسدي الصغير من ابن عباس، وهي سلسلة الكذب، كما قال ابن حجر والسيوطي.

وعذر السابقين في الروايات أنهم كانوا يذكرونها بسندها، وقالوا: (من أسند لك فقد حملك) ومن الأمثلة التي ذكرها بعض المفسرين وهي موضوعه، (قصة زينب بنت جحش مع زيد بن حارثة) في آيات الأحزاب، وتعلق المستشرقون بهذه الروايات، بحجة أنها في كتب التفسير، وكذا بعض المعاصرين المستغربين من المسلمين، وكذا قصة الغرائق، يذكرها بعض المفسرين، عند

(١) تخريج مشكل الآثار شعيب الأرنؤوط (١٣٥). إسناده حسن، عن أبي هريرة ؓ.

قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَعَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥٢).

٤- الحذر من الأقوال الضعيفة والآراء الفاسدة: هي صحيحة بالنسبة إلى قائلها من جهة الرواية، لكنها مردودة من جهة الدراية (فكل بشر يصيب ويخطئ) مثل أقوال ابن عباس التي خالف فيها الصحابة في المواريث.

ومثل الطبري في قوله تعالى: (واهجروهن في المضاجع). ففسر الهجران بالقيد، وليس الاعراض عن هن في وقت النوم والفراش كما عليه جمهور المفسرين.

وكذلك اختياره لآيات المائدة في بنى إسرائيل فقط. قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ وَلَا تَتَّخِروا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۗ ﴾ (٤٤) وَكُنِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۖ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ ۖ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۗ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۗ ﴾ (٤٥) وَقَفِينَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۗ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۗ ﴾ (٤٦) وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ۗ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۗ ﴾ (٤٧).

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو عليه جمهور العلماء والمفسرين.

(١) سورة الحج الآية (٥٢).

(٢) سورة المائدة الآية (٤٤-٤٧).



كيف يتعامل الداعية مع الحديث وعلومه؟.

السنة تشمل أقوال النبي ﷺ وأفعاله، وتقريراته، وأوصافه، وسيرته، وهي سجل حافل للإسلام كله، وفي الحديث قال ﷺ: "مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء، فأنبتت الكلاً والعشب الكثير، وكان منها أجاذب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى، إنها هي قيعان، لا تمسك ماءً ولا تنبت كلاً، فذلك مثل من فقه في دين الله، ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به" (١).

وكتب السنة كثيرة، منها الكتب الستة، مسند الدارمي وأحمد وموطأ مالك، ومنها ما له مختصر، ومنها ما له شرح، مثل التجريد الصرع للزيدي، مختصر البخاري، مختصر صحيح مسلم للمنذري، وهناك كتب علمية قامت بجمع هذه الكتب أو بعضها، مثل جامع الأصول لابن الأثير، جمع فيه الكتب الخمس، موطأ مالك بدلاً من ابن ماجه وهناك مجمع الزوائد جمع فيه مسانيد أحمد والبخاري وأبي يعلى، ومعجم الطبراني الثلاثة، وهناك الجمع حسب أوائل الحروف، مثل الجامع الصغير للسيوطي، وأما الجامع الكبير فقد رتبته المتقي الهندي حسب الموضوعات، وسماه كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال.

تنبيهات للداعية في مجال الحديث:

١- جمع الأحاديث في الموضوع الواحد وتصنيفها، خاصة من كتب السنة المرتبة حسب الأبواب، وبعد الجمع التصنيف والترتيب، وتوضع عناصر حتى يستشهد بها في موضوعها.

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٩). عن أبي موسى الأشعري ؓ.

٢- الحذر من وضع الأحاديث في غير موضوعها: مثل استشهاد بعضهم بحديث أنتم أعلم بشئون دنياكم في المجالات الاقتصادية، والسياسية، وأحاديث الفتن التي وردت في آخر الزمان، عند عموم الشر، فهي توحى باليأس من أي عمل أو إصلاح مثل حديث: (بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ.)^(١). فبعض الناس يحتج به في القعود عن واجب الدعوة، على غير مقصود الحديث.

وحديث ثوبان: (يوشك الأمم أن تتداعى عليكم، كما تتداعى الآكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة بنا نحن يومئذ؟! قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قال قائل: يا رسول الله! وما الوهن؟! قال: حب الدنيا، وكرهية الموت)^(٢). والأولى أن يتناول الأحاديث المبشرات بعودة الإسلام.

٣- مقاومة حملة التشكيل في الأحاديث الصحاح: خاصة التي جاءت من المستشرقين وأتباعهم، زعم بعضهم حديث: (إِنَّ الْإِسْلَامَ بَنِي عَلَى خَمْسٍ، إِيْمَانٍ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالصَّلَاةِ الْخَمْسِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ)^(٣).

من وضع المستشرقين، لأنه لم يذكر الجهاد، ورد بعضهم حديث (لا تقوم الساعة) بحجة أنه فهم إلى الانتظار حتى يتكلم الحجر ليدل على اليهود، ورد بعضهم حديث: (إِنَّا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْقَوْلُ، وَإِظْهَارِ الْبَشَاشَةِ لِبَعْضِ الْجَفَاةِ السَّفَهَاءِ، فِي قَوْلِهِ ﷺ: (بَسْ أَخُو الْعَشْرَةِ)^(٤)).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٤٥) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) تخريج مشكاة المصابيح (٢٥٩٨) صحيح عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٥١٤) عن نافع مولى ابن عمر ؓ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٤٧٩٢) وقال الألباني حسن صحيح، عن عائشة ؓ.



بحجة أن ذلك من النفاق ﷺ والحقيقة إن هذا من المداراة التي لا يستغنى عنها حكيم، فهناك فرق بين المداينة التي يلجأ إليها المنافق والضعيف ولمصلحة الدنيا، والمداراة تبذل لمصلحة الدين.

٤- تجنب الأحاديث المشككة على جمهور الناس لغير ضرورة، مثل حديث الذباب "إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي شَرَابٍ أَحَدِكُمْ فَلْيُعْمِسْهُ ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي إِحْدَى جَنَاحَيْهِ دَاءٌ وَالْأُخْرَى شِفَاءٌ". (١).

أو سجود الشمس تحت العرش ففي الحديث قال ﷺ: " (أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذَهَبُ الشَّمْسُ؟) قالوا: الله ورسوله أعلم قال: (فَإِنَّهَا تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتَطْلُعُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ثُمَّ تَجِيءُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتَطْلُعُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلَعِهَا ثُمَّ تَجِيءُ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَخِرُّ سَاجِدَةً فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَرْجِعُ فَتَطْلُعُ مِنْ مَطْلَعِهَا ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسُ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ فَيُقَالَ لَهَا: ارْتَفِعِي فَاطْلِعِي مِنْ مَغْرِبِكَ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا) فقال رسول الله ﷺ: (أَتَدْرُونَ مَتَى ذَلِكَ؟ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا) " (٢).

فيبعد نفسه عن المتشابهات، ومالا تبلغة عقول الناس، وَقَدْ تَرَجَّمَ عَلَى ذَلِكَ الْبُخَارِيُّ (في كتاب العلم من صحيحه) فقال: « بَابُ مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهِيَةً أَنْ لَا يَفْهَمُوا » ثُمَّ

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٣٢٠) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان في صحيحه (٦١٥٣) عن أبي ذر الغفاري ؓ.

أَسَدٌ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: (حَدِّثُوا النَّاسَ، بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ، اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟!)(١).

قال الحافظ ابن حجر: " والمراد بقوله: " بما يعرفون " أي يفهمون. وفي رواية " ودعوا ما ينكرون " أي يشتمه عليهم فهمه. وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة. ومن كره التحديث ببعض دون بعض: أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان، ومالك في أحاديث الصفات، وأبو يوسف في الغرائب، ومن قبلهم أبو هريرة... (٢). وقال بن مسعود رضي الله عنه: (ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة)(٣).

فليس كل ما يعرف يقال، وليس كل ما يقال لشخص يقال لغيره، وما يقال في بيئة لا يصلح أن يقال في غيرها، وما يصلح في زمن لا يصلح في زمن آخر، فيراعى الداعية الزمان والمكان والحال، وفي الصحيح قال صلى الله عليه وسلم: (كفي بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)(٤).

وأبو هريرة رضي الله عنه يقول: (حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَعَائِنَ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَشَّتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرَ فَلَوْ بَشَّتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ)(٥).

وحديث معاذ رضي الله عنه كنت ردفت النبي صلى الله عليه وسلم "كُنْتُ رَدَفْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَلَى حِمَارٍ، يُقَالُ لَهُ: حُمَيْرٌ، قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٢٧) عن عامر بن واثلة أبو الطفيل رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/٢٢٥.

(٣) الحديث أورده الإمام مسلم في مقدمة الصحيح (٥) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) الحديث أورده الإمام مسلم في مقدمة الصحيح (٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه.



ﷺ أَنْ لَا يُعَذَّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ، قَالَ: لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا" (١).

ولم يحدث به معاذ إلا في آخر حياته، تخرجا من كتمان هذا الحديث عن كل الناس فيموت بموته.

٥- الحذر من الأحاديث الموضوعية والواهية: حذر علماء السنة رواية الحديث الموضوع إلا مع التنبيه عليه، وقد أوجد الله من علماء السلف من يذب ويدافع عن السنة، مثل ابن المبارك وابن حنبل وغيرهم من العلماء المحدثين.

فالأحاديث الضعيفة والموضوعية تسربت إلى كل شيء، من الفقه، والتفسير، والدعوة، والخطب، والدروس، والمحاضرات، والعلماء اختلفوا في الحديث الضعيف، فمنهم من رفضه مطلقا، سواء في فضائل الأعمال أو غيرها، ومنهم من قال الصحيح والحسن يغني عن الضعيف، وعليه فلا حاجة إلى الضعيف، إن الضعيف عند روايته لا ينسب إلى النبي ﷺ ويكون بصيغة التمريض. وهناك من أجازته في الترغيب والترهيب بشروط منها:

أن لا يكون شديد الضعف، ويندرج تحت أصل شرعي، وعند العمل به لا يعتقد نسبه إلى النبي ﷺ وأن لا يشتمل على مبالغات أو تهويل يرفضه العقل والشرع، وأن لا يعارض دليلا شرعيا أقوى منه.

وقد ذكر العلماء أوصافا عامة يعرف منها الحديث الموضوع، مثل الثواب الجزيل على العمل القليل، تفسير الغي والويل والآثام ترفضه اللغة، دخول ابن عوف الجنة حبا لكثرة ماله يرفضه الشرع وهكذا....

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٠) معاذ بن جبل ﷺ.

كيف يتعامل الداعية مع العقيدة؟.

يجب مراعاة هذه النقاط عند دراسة العقيدة:

- ١- أن يكون مصدرها كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ الصحيحة، وأن يكون بعيدا عن الشوائب والزوائد والفضول التي لحقت بالعقيدة على مر العصور، بحيث تبقى العقيدة على صفائها ووضوحها وبساطتها.
- ٢- أن نتبع منهج القرآن في مخاطبة العقل والقلب معًا من أجل تكوين الإيمان الصحيح، فلا نفعل مثل الفلاسفة أو الصوفية، وإنما نريد الإيمان الذي يقوم على إقناع العقل وانفعال القلب، وصدق الإرادة.
- ٣- الاهتمام بأدلة القرآن الكريم في إثبات المتعقدات، وإقناع المدعوين، والرد على الخصوم، وتفنيد الشبه والمفتريات، مثل أدلة العقاد في كتابه الله، ونديم الجسر في كتابه قصة الإيمان.
- ٤- التركيز على القضايا العقدية الكبرى مثل وجود الله، توحيده، النبوة، اليوم الآخر، القدر أما المشكلات التاريخية مثل خلق القرآن، أو الصفات وعلاقتها بالذات فتدرس كتاريخ فقط.
- ٥- الاستفادة من ثقافة العصر خاصة في ميادين العلوم البحتة كالفلك والطب والفيزياء وذلك لتأييد قضايا العقيدة وتثبيتها مثل كتاب العلم يدعو إلى الإيمان، الله يتجلى في عصر العلم، الله والعلم الحديث.
- ٦- أن نتبنى قضية السلف فيما وصف الله ﷻ به نفسه من غير تشبيه، ولا تمثيل، ولا تحريف ولا تعطيل مثل أبي الحسن الأشعري في الإيمان، والغزالي في إجماع العوام عن علم الكلام.



٧- تتبع شبهات المبشرين والمستشرقين والشيوعيين وغيرهم من خصوم الإسلام والرد عليها ردا علميا فكريا بلسان العصر.

كيف يتعامل الداعية مع التصوف أو السلوك؟.

التصوف: هو العلم الذى يبحث في الجانب الأخلاقي والعاطفي من الثقافة الإسلامية.

نريد التأكيد على ما يلي:

١- التصوف الفلسفي كله مرفوض من أساسه، وإذا قمنا بدراسته فليمان فساده والمقصود به ما يقوم على الحلول والاتحاد، ووحدة الوجود.

٢- الذى يعيننا من التصوف إلى الجانب الأخلاقي التربوي الذى قال عنه ابن القيم في المدارج أنه الخلق.

٣- أن نتقي من التصوف ما يخدم العقيدة الإسلامية والأخلاق، وندع ما فيه شائبة أو ريبة ونتفع بجهود ابن القيم في نقده من خلال تلبس إبليس. وفي تراث التصوف فوائد كثيرة يجب الاستفادة منها:

١- يجمع كثيرا من أقوال الصالحين، وحكم الزهاد والعباد وأهل التقوى والبصيرة.

٢- فيه لفتات روحية مشرقة في فهم الآيات والأحاديث والتعليق عليها.

٣- أنهم اعتنوا بأحكام الباطن، ودراسة آفات النفوس، ومداخل الشيطان وكيفين وقايتها وعلاجها، ولهم في ذلك تجارب ومعارف ليست لغيرهم.

٤- في أقوالهم حرارة إيمانية وحيوية نتيجة المجاهدة النفسية والرياضة الروحية.

٥- الصوفية الأوائل رفضوا كل محاولة للخروج عن الشرع، وقيدوا علمهم بالكتاب والسنة يقول الجنيد: (من لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا مقيد بالقرآن والسنة).

٦- أئمة الدعوة السلفية ردوا ما في التصوف من باطل وأشادوا بما فيه من حق مثل رسالة العبودية لابن تيمية، والتحفة العراقية في الأعمال القلبية وفتاوى ابن تيمية وظهرت في كتب تلميذه ابن القيم طريق لهجرتين وعدة الصابرين، الداء والدواء، مدارج السالكين.

٧- كل ما دخل في التصوف من عوامل أجنبية على مر الزمان من أفكار غريبة من شتى المصادر مرفوض والإنصاف يقتضي رفض التصوف الفلسفي أو البدعي وقبول السني المأثور عن علماء المسلمين.



٢- الثقافة التاريخية:

التاريخ ذاكرة البشر، وسجل الأحداث، وديوان العبر، والشاهد العدل على كل ما سبق والمطلوب من الداعية أن يتعرف على تاريخ الأمة المسلمة خاصته، وتاريخ الإنسانية بصفه عامة أي المواقف الحاسمة فيه، وفائدة دراسة التاريخ فيما يأتي:

١- أنه يوسع الأفق، ويبين أحوال الأمم، وتاريخ الرجال، وتقلبات الأيام، فيرى سنن الله في الكون في المجتمعات، وبرى قيام الأمم وهبوطها، وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم؟ وكيف تحيا الحضارات وتموت؟ وكيف ينجح القادة ويفشلون؟ وكيف تنام الشعوب وتصحوا؟ قَالَ تَعَالَى:



﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً
وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا آغَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١).

٢- أن التاريخ هذا أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم، فهو يبين عاقبة
الإيمان والتقوى، ونهاية الكفر والفجور قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ
بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۚ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٣١﴾ ﴾ (٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾
(٤). قَالَ تَعَالَى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا ۗ وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٥).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمغربَهَا أَلَيْسَ
بَرْكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ
وَقَوْمُهُ ۖ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (٦).

(١) سورة غافر الآية (٨٢).

(٢) سورة ق الآية (٣٦).

(٣) سورة يوسف الآية (١١١).

(٤) سورة النمل الآية (٥٢).

(٥) سورة سبأ الآية (١٧).

(٦) سورة الأعراف الآية (١٣٧).

٣- أن التاريخ كثيرا ما يعين على فهم الواقع المعاصر خاصة إذا تماثلت الظروف وتشابهت الدوافع (ما أشبه الليلة بالبارحة). أو (التاريخ يعيد نفسه).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ (١). قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ (٢).

وكثير من القضايا لها جذور تاريخية قديم فمن لم يوفها لم يدرك أسرار حاضرها مثل الصراع بين الإسلام والمسيحية لأبد من دراسة الحروب الصليبية واليرموك وفتوح الشام ومصر وأفريقيا ومؤته.

٤- بعض الجوانب التاريخية القديمة لها صلة بالجانب العقلي والفكري عند الداعية مثل تاريخ الأديان نشأتها تطورها، أهم الشخصيات والأحداث التي مرت على هذا الدين، تاريخ النحل والفرق والفلسفات.

تنبيهات الداعية في مجال التاريخ:

- ١- أن لا يجعل همه جزئيات التاريخ وتفصيلاته وإنما الدروس والعبر، والمغزى الأخلاقي.
- ٢- أن يعتنى بأحداث التاريخ التي تخدم موضوعه وتعمق فكرته وتقدم لها الشواهد الحية، ويلتقط ذلك من كل ما يقرؤه لا سيما القرآن والسنة والآثار، قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ

(١) سورة البقرة الآية (١١٨).

(٢) سورة الذاريات الآية (٥٢).



عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۖ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصَدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ (١).

٣- أن يعنى بسير الرجال ومواقف الأبطال خاصة العلماء والدعاة، وهذا في كتب الطبقات والتراجم.

٤- أن يهتم بربط الحوادث بأسبابها المعنوية والأخلاقية فالنظر يأتي مع التمسك بالدين.

٥- أن يكون محور التاريخ الإسلامي هو الإسلام نفسه دعوة ورسالة وأثره في شريعة الأجيال وتكوين الأمة المسلمة وإقامة الدولة المسلمة وبناء الحضارة.



٣- الثقافة الأدبية واللغوية:

الثقافة الدينية تلزم لزوم المقاصد والغايات، والثقافة الأدبية واللغوية لزوم الوسائل والأدوات.

١- اللغة بمفرداتها لازمة لسلامة اللسان، وصحة الأداء، بالإضافة لحسن أثرها في السامع، وصحة الفهم، فالأخطاء اللغوية تحرف المعنى وتشوّهه ويمجها الطبع، وينفر منها السمع.

٢- كثيرا ما يؤدي اللحن إلى فساد المعنى، وإخراجه إلى ما يناقض الشرع والعقل، خاصته إذا كان اللحن في القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ

وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبَدٌ مُّؤْمِنٌ حَرِيمٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ
إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٠٣﴾ (١).

لا يفهم الإنسان القرآن بغير اللغة العربية.

٣- هناك من يقول بأن حواء خلقت أولاً وهى أصل البشرية قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا
رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (١).

الكلمة تفسر وفق مدلولها اللغوي لا العرفي واللغة تسمى الرجل والمرأة زوجا، قَالَ تَعَالَى:
﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا
يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا
إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ
بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلَّمُوا لِمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي
الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَكَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ (٢).

٤- مهم للداعية الأدب، شعره، ونثره، وأمثاله، وحكمه، ووصايا وخطبه، يثقف في لسانه
ويجود به أسلوبه، ويرهف به حسه، ويحفظ منه عبارات راقية، وأساليب فائقة وصور معبرة،
وأمثال سائرة، وحكم بالغة (إن من البيان لسحرا، وإن من الشعر لحكمة) وكان للنبي أكثر من

(١) سورة البقرة الآية (٢٢١).

(٢) سورة النساء الآية (١).

(٣) سورة البقرة الآية (١٠٢).



شاعر، واستجادهم، واستزادهم، منهم، حسان، عبد الله بن رواحه، كعب، والخلفاء الأربعة لهم شعر جيد خاصة الإمام علي بن أبي طالب.

ذكر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: (علموا أبناءكم السباحة والرماية وركوب الخيل، وروؤوهم ما جمل من الشعر)(١).

وورد عن عروة بن الزبير رضي الله عنه قوله: "ما رأيت أحدا أعلم بفقته، ولا بطب، ولا بشعر من عائشة"(٢). وروي أنها كانت تحث على تعلم الشعر وروايته، بقولها: (رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم). وابن عباس رضي الله عنه كان يروي الشعر ويحفظه ويستخدمه في تفسير القرآن وكان يحفظ رائية عمر بن أبي ربيعة، الشعبي يقول: ما أنا لشيء من العلم أقل من رواية من الشعر.

٥- مهم للداعية الحوارات والقصص والأخبار خاصة ما لها قيمة أخلاقية وتربوية، ينقلها الداعية من مجال المتعة إلى الدعوة والتوجيه مثل قصة الرجل الذي ظلمه عامل الحجاج...

٦- ويستحب له أن يستخدم الطرائف والملح الأدبية ليثبت بها معنى، أو يروح بها عن سماعه وقد يوظف الداعية أبياتا قيلت في حب البشر فيستخدمها في حب الله تعالى. مثل قول أبي فراس في سيف الدولة الحمداني: فليتك تحلو والحياة مريرة .: وليتك ترضى والأنام غضاب.

وليت الذي بينك وبينك عامر .: وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين .: وكل الذي فوق التراب تراب(٣).



(١) أيام العرب في الإسلام" (٣/١٣٨٨)

(٢) مجمع الزوائد للهيثمي ٢٤٥/٩ إسناد حسن، عن عروة بن الزبير رضي الله عنه.

(٣) انظر ديوان أبو فراس الحمداني.

٤- الثقافة الإنسانية:

المقصود بالثقافة الإنسانية: العلوم التي لها صلة بالإنسان أي كانت عقيدته أو موطنه مثل علم النفس، الاجتماع، الاقتصاد، الفلسفة، الأخلاق.

أهمية هذه العلوم فيما يأتي:

١- موضوعها له صلة بالدعوة، فموضوعها واحد وهو الإنسان سواء كان في الماضي أو الحاضر، فرداً أو في جماعة، مفكراً أو مقلداً، منتجاً أو مستهلكاً، أمياً أو متعلماً.

٢- الإمام بهذه العلوم يعين على فهم الناس، خاصة الذين تثقفوا بها وأصبحت جزءاً من تكوينهم.

٣- أن لهذه العلوم رشحات ضارة على الثقافة المعاصرة فلا يسلم منها كتاب أو مجلة أو صحيفة أو إذاعة، ومن لم يعرف مصدر هذه السموم لم يستطع يقاومها بأسلوب علمي رصين.

تنبيهات الدراس العلوم الإنسانية:

١- أن هذه العلوم تخضع لكثير من التفسيرات المختلفة حسب اتجاه المدرسة وثقافة الدارس.

٢- أن هذه العلوم تسربت إليها كثير من الإسرائيليات الحديثة مثل فرويد، دوركايم، ماركس.

٣- أن للذاتية فيها مجالاً للاستنتاج الظن لذا فهي متقلبة بين الهدم والبناء في اليوم والليلة.

٤- أن المادة العلمية فيها تتأثر بعقيدة صاحبها وفكرة وثقافته ومن ثم تؤثر في القارئ فالماضي يقول خلقت الطبيعة والمسلم يقول خلق الله.



٥- ضرورة تقديم هذه العلوم بأقلام إسلامية مأمونه لا يخش فيها من الغزو الفكري ولإسرائيليات فالكتاب يكون متخصصا فيما يكتب، ومسلحا بالثقافة الإسلامية الراسخة بالإضافة للروح الإسلامية الحية.

علم النفس: المقصود به علم النفس التجريبي الذي يقوم على دراسة الظواهر النفسية على أساس الملاحظة والتجربة والقياس والاختبار، والذي يطبق على البشر لا على الورق، وعلى الرياضيات والأرقام لا على الافتراض.

وهو يفيد الداعية فيما يأتي:

١- بيان الآثار الطيبة والثمار النافعة للإيمان والتدين في نفسية صاحبه، وسلوكه في الحياة.

٢- أنه يفيد في فهم كثير من النصوص الدينية، فبدلنا على أن التفكير النافع يوصل صاحبه إلى الحق قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى وَفَرْدَى ثُمَّ نُنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ (١).

٣- أنه يزيد الداعية فهما لكثير من أحكام الشريعة، فيزداد إيمانا بكمال عدل الله وحكمته فيما شرع حينما جعل القوامه بيد الرجال (فهناك فروق في النواحي الانفعالية).

علم الاجتماع: وهو علم يعنى بحراسة المجتمع البشرى في مختلف جوانبه، وتحليل ظواهره، والكشف عن القوانين التي تحكمه وهو علم له مناهج كثيرة مثل التحليل، التاريخي، التطوري، المقارن، التطبيقي، النظري، فهو علم له أكبر عدد من المناهج وأقل عدد من النتائج.

١- يحسن بالداعية أن يطلع على نبذ من أصول هذا العلم، وأحدث ما انتهى إليه رجاله حيث يتخذ بعض محتوياته سلاحا لضرب الدين مثل ما سماه كونت قانون الدورة الثلاثية الذي يفيض بأن دور الدين قد انتهى، أو دور كايم القائل بتطور الأديان من الوثنية إلى التوحيد. ومن المهم جدا معرفة أسس هذا العلم من منظور إسلامي لفهم أوضاع المجتمع ودراسة مشكلاته.

الفلسفة: يحسن بالداعية أن يلم بها، واتجاهاتها المادية، والوضعية والمثالية وبتاريخ الفكر الإنساني الإسلامي وهذا يفيد فيه فيما يأتي:

١- فهم الأفكار والفلسفات التي نجزت كثيرا من عقول أبناء المسلمين، وأصبحوا يروجون لها في قلب العالم الإسلامي فمنهم التطوري، والوضعي، والماركسي، والوجودي (فالحكم على الشيء فرع من تصوره).

٢- الرد على الفكر المخالف للإسلام بسلاح الفكر نفسه، مثل ما فعله الغزالي في تهافت الفلاسفة، وابن تيمية في ودرء تعارض العقل والنقل.

٣- أن يعرف منابع التيارات الفلسفية والمذاهب الفكرية الحديثة مثل المادية والشيوعية والوجودية حتى يمكن نقدها نقدا علميا سليما، ويعرف الجذور التاريخية لكثير من التحريفات التي دخلت على الأديان الكتابية.

٤- أن يطلع على تحبظات الفكر الإنساني إذا بحث في الغيبات وقضايا الوجود الكبرى دون دليل.

٥- أن ينتفع بما يجده من نتاج العقل وثمار الحكمة مؤيدا لما معه من حق خالص جاءته الفرص.



علم الأخلاق: وهو جزء من الفلسفة وهو يبحث عما يجب أن يكون وموضوعاته الحق والخير والجمال.

علم التربية: وهو من العلوم الإنسانية المهمة، وله أثره في الحياة التعليمية بمختلف مراحلها وذلك لإصباغها بصبغة مختلفة حسب فلسفه التربية ومنطقها ووجهتها.

- والتربية لها صلة قوية بالدعوة فكلاهما يسعى إلى التأثير في فكر الإنسان وانفعاله بقية الارتقاء بمفاهيمه وأخلاقه وسلوكه، وكثيرا ما يكون الداعية مربيا فيستفيد الداعية من علوم التربية وخبرات المربين وتجاربهم المتنوعة في تعليم الصغار والكبار فيأخذ منها الجيد والأصيل لتوجيه المخاطبين، والتأثير في عقولهم وعواطفهم وإثار الخير في نفوسهم.



٥- الثقافة العلمية:

المقصود بها هنا ما قام على الملاحظة والتجريب وخضع للقياس والاختبار مثل علوم الفيزياء، والكيمياء، والأحياء، والنبات، والحيوان، والجيولوجيا، والفلك، والتشريح، والطب، وغيرها. والمطلوب المطالعة والقراءة، وليس التعمق فيها.

١- الثقافة العلمية مهمة للداعية لفهم الحياة المعاصرة وقد أصبح العلم شريان الحياة والمحرك لكثير من أمورنا حيث أنها شغلت العالم كله.

٢- بعض ما يعزى إلى العلم يتخذ الآن وسيلة للتشكيك، مثل نظرية النشوء والارتقاء أو التطور، فلا بد للداعية من معرفة هذه النظرية، حتى يستطيع الرد عليها.

٣- من الحقائق العلمية ما يمكن للداعية استخدامه لتأييد الدين وتوضيح مفاهيمه ونصرة قضاياه وذلك بدفع شبهات خصومه، ومفتريات أعدائه، تقريب بعد المعتقدات والحقائق الدينية من أفهام أهل العصر، وتأييدها بمنطق العلم التجريبي نفسه، مثل اثبات وجود الله، فيقيم عليها الأدلة المادية في مواجهة الملحدين.

٣- يستطيع العلم بمكتشفاته الحديثة أن يؤكد كثيرا من الأحكام الشرعية، ببيان ما اشتملت عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد.

٤- يستطيع الداعية بيان سبق القرآن لكثير من الحقائق التي كشف عنها العلم الحديث، وهو ما يسمى بالإعجاز العلمي في القرآن. ❀❀❀

٦- الثقافة الواقعية:

والمقصود بها: الثقافة المستمدة من واقع الحياة المعاصرة، وما يدور في العالم الخارجي والداخلي فيعرف العالم الذي يعيش فيه، والنظم والمذاهب السائدة، والتيارات والقوى المختلفة، ويعرف آمال الأمة وآلامها، ومصادر القوة وعوامل الضعف، ويعرف طبائع الناس ودياناتهم ومذاهبهم. فيدرس ما يأتي:

١- واقع العالم الإسلامي: يعرف خلاصة عن أوضاعه الجغرافية، والاقتصادية والسياسية وتوزيع السكان، وأسباب التخلف والتفرقة وعوامل التقدم والوحدة وإمكانية تضامنه اقتصاديا وعسكريا، يأخذ فكرة عن الجامعة الإسلامية والتضامن الإسلامي كخطوة نحو الخلافة، يعرف موقع ومشكلات الاقليات الإسلامية المظهرة في العالم.

٢- واقع القوى العالمية المعادية للإسلام: وتتمثل في المثلث الرهيب، اليهودية العالمية، والصليبية العالمية، والشيعوية الدولية، فهي تختلف ظاهريا لكن تتفق باطنيا، فيدرس أسباب



حقدتها على الإسلام، والغزو الفكري وخطورته، والتنصير ومؤسسات المشبوهة مثل الماسونية وما تفرع عنها من الروتاري والليونز، ويعرف الغزو الداخلي من الفرق المنشقة عن الإسلام نقل البهائية والقاديانية، والعلمانية، يدرس ذلك تهويل أو تهوين.

٣- واقع الأديان المعاصرة: مثل اليهودية بتوراتها وتلمودها، والحركة الصهيونية وقيام إسرائيل، والمسيحية وطوائفها وكنائسها وكذا أديان الشرق الأقصى الكبرى مثل الهندوسية، والبوذية، والزرادشتية، والكونفوشيوسية.

٤- واقع المذاهب السياسية المعاصرة: مثل الشيوعية، الرأسمالية، الاشتراكية، الديمقراطية، الماركسية، وموقف هذه المذاهب من الإسلام.

٥- واقع الحركات الإسلامية المعاصرة: سواء كانت عالمية أو إقليمية، مثل الجماعة الإسلامية في باكستان والهند، والحركة الإسلامية في تركيا وحزب التحرير في الأردن وفلسطين، وكبرى الحركات الإسلامية الحديثة. يتعرف على واقع الدعوة الإسلامية في العالم الإسلامي ومؤسساتها ووسائلها والجامعات والمعاهد والمراكز الإسلامية.

٦- واقع البيئة المحلية: فيدرس البيئة التي يعيش فيها، ويعرف أوضاعها وتقاليدها، ومشكلاتها، ونفسياتها، واللغة التي تتحدث بها، وهي لا تستمد من الكتب وحدها، وإنما يستفيد من الصحف والمجلات والدوريات والنشرات الرسمية وغير الرسمية وكذا من المذياع والتلفاز والنت كما يستفيد من مصادره الحية في مخالطته للناس ومشاهدة أحوالهم وأحاديثهم في الحضر والسفر.



رابعاً: إعداد الداعية مهارياً.

إن المطلوب ليس إعداد الداعية فقط، وإنما يريد الإسلام الداعية الفقيه الذى يفقه الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً وسلوكاً، الذى يعرف واقع الحياة المعاصرة بهمومها ومشاكلها، ويقدم لكل مشكلة ما يناسبها من الحلول الإسلامية في ضوء مصادر التشريع الإسلامى، الذى يعرف ما يموج به المجتمع من تيارات فكرية متباينة، وافدة من الغرب لإضعاف قوة الاسلام، والتأثير في عقول أبنائه، بتصدير الشبهات، وإثارة الخلافات فيسد هذه المنافذ، ويردها على أعقابها من حيث اتت.

إنه الداعية (القادر على الإيصال والتأثير بدعوته وفكرته في الناس كل الناس، على اختلاف مشاربهم وطبائعهم ومستوياتهم، وعلى اجتذاب مساحة كبرى من الجماهير واستيعابها فكرياً وحركياً)(١).

الداعية الذى يعرف كيف يدعو الناس، ويؤثر في نفوسهم، ويرقى بها إلى أعلى درجة من الإصلاح: (فالداعية يدخل على مشاعر الجمهور في حكمة، فيحرك وجدانهم، ويستثير عواطفهم إلى الله، فإذا تآتى له ذلك، ولانت نفوسهم لقوله، ليصنع منهم ما يشاء صنعه فيبين لهم عن غرضه، ويبعث بأمال قلوبهم إلى ما يجب أن يصلوا إليه)(٢).

(١) الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية أ/ فتحي يكن صد ٩ ط/ مؤسسة الرسالة الأولى سنة ١٤٠٣ سنة ١٩٨٣م.

(٢) تذكرة الدعاة صد ٣ بتصرف.



المقصود بالناحية المهارية في المهارات التي يحتاجها الداعية في عرض دعوته على الآخرين في أماكن تجمعاتهم مثل خطبة الجمعة - والدروس - والمحاضرة - والندوة - والمناظرة - والدعوة العامة وبين الأهل والأقارب.

وللوصول إلى هذه المهارات ينبغي للداعية أن يحرص على عدة مهارات، منها ما هو فطري، ويتفاوت الناس فيه من شخص إلى شخص، ومنها ما هو مكتسب، من خلال الدراسة والتدريب والمران والملاحظة.

ويمكن تقسيم هذه الصفات المهارية إلى عدة جوانب رئيسية:

١. صفات تتعلق بالإقناع والتأثير.
٢. صفات تتعلق بإعداد الموضوع.
٣. صفات تتعلق بالأداء والعرض.
٤. صفات تتعلق بمعرفة حال المدعوين.
٥. صفات تتعلق بفقهاء الدعوة.
٦. صفات عامة تتعلق بالمظهر وغيره.



١ - صفات تتعلق بالإقناع والتأثير:

ينبغي للداعية أن يقوم بدراسة علم الخطابة وفن التأثير في الآخرين، لأنه علم يقوم على فن الإقناع والاستمالة، ومخاطبة العقل والعاطفة، فهناك صفات فطرية يولد الإنسان مزود بها، وصفات مكتسبة تحتاج من الداعية أن يتمرسها، وأن يتدرب عليها إلى أن تصير ملكة عنده. ومن هذه الصفات التي يحتاجها الداعية ما يأتي:-



١. قوة الصوت ومهارته.
٢. طلاقة اللسان.
٣. التمهّل في الإلقاء.
٤. رباطة الجأش.
٥. قوة الملاحظة.
٦. حضور الذهن وسرعة البديهة.
٧. إثارة المشاعر والعواطف النفسية.

التفنن في استخدام طرق التشويق، مثل الأساليب الإنشائية، ومثل الاستفهام وعلامات التعجب مثل قول النبي ﷺ: " أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهْرًا بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ: ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا: لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا، قَالَ: فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا" (١)

ومثل قول النبي ﷺ: " إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجْرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَهِيَ مِثْلُ الْمُسْلِمِ، حَدَّثُونِي مَا هِيَ؟ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا بِهَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: هِيَ النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي، فَقَالَ: لِأَنَّ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا" (٢).

فالأساليب الإنشائية تشد الانتباه، وتعمل العقل والفكر، وتجعل الذاكرة حاضرة مع المتحدث، وتذهب الملل والسآمة، وتجعل المتلقي طرفا مباشرا مع المتحدث.



(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٥٢٨) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٣١) عن معاذ بن جبل ؓ.

٢- صفات تتعلق بالإعداد والموضوع.

فينبغي للداعية أن يختار موضوعات من وحي الواقع، مما يمس حاجات الناس اليومية، فيما يتعلق بأمور الدين والدنيا، وأن يأخذ من تعاليم الدين ما يصلح به أمور الناس الحياتية والمعاشية، مثل أثر الاستغفار والتوبة في سعة الرزق والبركة ورغد العيش، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِزِلْ عَلَيْكُمْ حَنَّتًا وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾ (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْنِعْكُمْ مِّنْعَا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۗ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾﴾ . وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ (١).

ينبغي له أن يقوم بإعداد الموضوع إعداد جيداً، فيعد له عناصره وشواهد، من القرآن والسنة والسيرة والواقع، فالإعداد الجيد يجعل الفكرة واضحة في ذهن الداعية، حتى يسهل عليه نقلها من عقله وقلبه إلى عقول الناس وقلوبهم في سهولة ويسر. أما مواجهة الناس دون إعداد فكرة أو موضوع مسبق، أو مراجعة أدلته وشواهد، فهذا فيه لون من المجازفة، لا ينجح فيها إلا أصحاب الخبرة والتمرس.

وينبغي له أن يقتصد في الموعظة حتى لا يملها الناس مهما كان كلامه جيداً ومؤثراً، وغالبية الناس لا يشكون من التقصير، وإنما يشكون من طول الموعظة، والاعتدال هو مراعاة حال

(١) سورة نوح الآيات (١٠-١٢).

(٢) سورة هود الآية (٩٠).

المستمعين من الإقبال والإدبار، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا)^(١).

ينبغي للداعية في إعدادها لموضوعه أن يتجنب الموضوعات التي يصحبها خلافات، ووجهات نظر مختلفة، وعند العرض يتعد عما يتفرع من المسائل في الخلافات الفقهية، وإذا تناو لها فيذكر الآراء الواردة فيها دون أي ترجيح، وإذا رجع رأياً معيناً فيقول -وأنا أميل إلى هذا الرأي- وهو غير ملزم للآخرين.



٣- صفات تتعلق بالأداء والعرض.

ينبغي للداعية أن يحسن عرض موضوعه الذي يتحدث فيه، فيستخدم لغة سهلة يفهمها الحاضرون، ويضع مقابلة بين الأضداد، لتتضح الصورة في ذهن المستمع، فيتحدث عن أخلاق أهل الإيمان، وما يقابلها من أخلاق أهل النفاق، حتى يدرك الناس بشاعة النفاق والمنافقين، ومثل الترغيب في الصدق وأهميته وفضله، والترهيب من الكذب وخطورته وأضراره.

وينبغي للداعية أن يتعد عن التكلف والتصنع في العرض والإلقاء، بحيث يكون على فطرته وسجيته دون تقليد لغيره أو تصنع في الأداء.

وينبغي على الداعية أن يُقبل على الناس أثناء الحديث، فينظر إليهم بوجهه، ويوجهه ذات اليمين وذات الشمال، وأن تكسوه ابتسامة خفيفة بعيداً عن التجهم، وأن يغلب الترغيب على الترهيب، وأن يفتح أمامهم باب الأمل والرجاء، ويبيدهم عن اليأس والقنوط.



(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان (٤٥٢٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٤ - صفات تتعلق بمعرفة المدعوين وأحوالهم.

ينبغي للداعية إذا ذهب إلى مكان جديد يدعو فيه الناس أن يدرس البيئة التي يعيش فيها الناس، ونوعية المستمعين، ومستوياتهم، ومشكلاتهم، ويخاطبهم على قدر عقولهم، وأن ينزل الناس منازلهم، خاصة أهل الفضل والأدب، ويتجنب المغالاة والمدح للأفراد، وأن يتغاضى عن هفوات البعض ممن له سابق معرفة بهم.

وهذا شعيب رضي الله عنه قال لقومه وهو يدعوهم قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ

اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ (٨٤)﴾ (١). رغم ما كان فيهم من عيوب ونقائص، فذكرهم بتركها، ولم يمنع ذلك من أن يذكر ما فيهم من بذور الخير الكامن في نفوسهم وقلوبهم.



٥ - من صفات الداعية المهارية:

١. البدء بالأهم فالمهم، فالأهل والأقارب والعشيرة قبل غيرهم.
٢. التدرج مع المدعوين من السهل إلى الصعب.
٣. التحدث باللغة التي يفهمها المدعو.
٤. التمهّل بالكلام أثناء الحديث.
٥. البعد عن التكلف والتعقير في الكلام.
٦. الاقتصاد في الحديث، بعيداً عن الملل أو الاختصار الشديد.
٧. المخاطبة على قدر العقول وأفهام الناس.

٨. إقبال المتحدث على المدعو اثناء حديثه معه.
٩. تجنب الخلافات الفقهية مع العوام، التي تؤدي إلى الخلاف والاختلاف.
١٠. الرفق واللين والتلطف في الخطاب، والتودد للمدعويين.



٦- صفات عامة للداعية.

هناك صفات عامة ينبغي للداعية أن يتحلى بها لما لها من أثر إيجابي في نفوس المدعويين منها:

١. حسن الخلق والمظهر فيجمع بين الجمال الداخلي والخارجي.
٢. أن يفتح الداعية قلبه للمدعويين، ويقوم على حل مشكلاتهم العامة والخاصة.
٣. مراعاة الستر مع المدعويين، وعدم فضح عيوبهم، أو نشر أخطائهم.
٤. مراعاة أدب النصيحة في الوقت والمكان والأسلوب.
٥. عدم إشعار المدعويين بأن الداعي وصي عليهم، أو الاستعلاء بالتميز عليهم، وعدم الإلحاح عليهم في الاستجابة.
٦. التذكير بنعم الله على المدعويين التي لا تعد ولا تحصى، وربط ذلك بتنمية الإيمان وزيادته، وشكر الله على نعمائه وعطاياه.



خامسا: محاذير للداعية في طريق الدعوة.

١- القول في دين الله بغير علم:

فالداعية موسوعة ثقافية متحركة، وخبرات دعوية مترجمة، وعنده دراسات في أغلب العلوم الشرعية، لكنه ليس مثل المتخصص في فرع منها، فعندما يأتيه سؤال كفتوى في أمور النوازل المستجدة، وليس لديه علم بها، ولا أدوات الاستنباط لتأسيس حكم شرعي فيها، فعليه أن لا يتعجل في إصدار الحكم الشرعي أو الفتوى، وإنما عليه أن يقول لا أدري إلى أن يبحث المسألة في مصادرها ومطابقتها، أو يسأل أهل التخصص الدقيق، ثم ينقل الحكم إلى المستفتي. أما الداعية الذي لا يعرف كلمة لا أدري، فهو على خطر عظيم، والقرآن حذر من تلك الحالة قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تُمَّ وَالْبَغْيَ بغيرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿٣٣﴾ (١).



٢- مخالفة فعله قوله:

فأقوى وسيلة تأثير في الآخرين هي القدوة من الداعية، بأن يكون صورة حية وعملية لما يدعو إليه، فإذا غابت هذه الصورة من الداعية فقد فقد تأثيره في المدعوين، لأن الناس يسمعون بعيونهم وليس بأذانهم، فهم يضعونه تحت المجهر، ويرقبون كل ما يصدر عنه من قول أو فعل، صغيرا أو كبيرا، فإذا ما وجدوا ثغرة في حياة الداعية كانت عائقا في استقبالهم عنه، واستجابتهم

(١) سورة الأعراف الآية (٣٣).

لما يقول والقران الكريم حذر المسلمين جميعا من ذلك فكيف بالدعاة الذين هم قادة العمل الشرعي وحداة القافلة، وطلّاع مسيره العمل الدعوي والخيري قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ (١).

وحذر الله بني إسرائيل من ذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (٢).

وشعيب الداعية قال لقومه ذلك في صراحة ووضوح، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَنْفَوِرُ أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَيْكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ (٣).

وعن عبدالرحمن بن مل النهدي أبو عثمان قال ﷺ: (سمعتُ عمرَ بنَ الخطَّابِ ﷺ يقولُ إنَّ أخوفَ ما أخافُ على هذه الأمةِ المناقِقُ العليمُ قال: وكيف يكونُ مناقِقُ عليمٍ يا أميرَ المؤمنين؟ قال: عالمُ اللسانِ، جاهلُ القلبِ والعملِ) (٤).

وابن القيم - رحمه الله - يسميهم قطاع طرق لأنهم يقطعون على الناس طريقهم إلى الله: (علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم،

(١) سورة الصف الآية (٢-٣).

(٢) سورة البقرة الآية (٤٤).

(٣) سورة هود الآية (٨٨).

(٤) الأثر أورده البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة ٣٦٦/٧. عن عبدالرحمن بن مل النهدي أبو عثمان ﷺ.



فكل ما قالت أقوالهم إلى الناس هلموا قالت أفعالهم لا تسمعوا منهم، فلو كان ما دعوا إليه حقا كانوا أول المستجيبين فهم في هذه الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق (١).

-وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إذا رأيتم العالم محباً للدينا فاتهموه على دينكم، فإن كل محب يخوض فيها أحب).

-وقال سعيد بن المسيب -رحمه الله- : (إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص).

-وقال الحسن -رحمه الله- : (عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة).

-وقال الغزالي -رحمه الله- : (إن علماء السوء شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين، إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج إلى انتزاع الدين من قلوب الخلق) (٢).

-وقال الفضيل ابن عياض -رحمه الله- : (إني لأرحم ثلاثة: عزيز قوم ذل، وغني قوم افتقر، وعالماً تلعب به الدنيا).

-وقال يحيى بن معاذ : (إنما يذهب بهاء العلم والحكمة إذا طلب بهما الدنيا).

وقال حاتم الأصم -رحمه الله- : (ليس في القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علماً فعملوا به، ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو).



(١) الفوائد لابن القيم ٦١/١.

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي ٣٨/١.

٣- ألا ينشغل الداعية بالمسائل الخلافية، أو يتوسع فيها:

فدور الداعية أن يجمع ولا يفرق، ويؤلف ولا ينفر، والداعية يجمع الناس على الأصول والأركان والعقيدة والعبادة الاخلاق والمعاملات، أما المسائل الفقهية التي هي محل خلاف بين الفقهاء فيقولون مذهب الناس هو مذهب المفتي، فلا يعرض على العوام تفاصيل المسائل الخلافية كاملة ويترك لهم الاختيار فهذا مما يحيرهم ويشتتهم.

لكن إذا نقل لهم الرأي الراجح حسب أدلته فلا بأس وأن يعلمهم أن المسألة مسألة خلافية وهذا الخلاف يمكن الخروج منه بالرأي الراجح، أو مذهب المفتي، أو مذهب البلد التي يعيشون فيها، لأن عقولهم لا تستوعب مناقشه الأدلة التفصيلية خاصة في مسائل علم الكلام وليس هذا هو موضعها ولا مكانها، وإنما قاعات العلم والدراسة ومجالس الفقهاء، وستبقى المسائل الخلافية خلافية إلى قيام الساعة، لأنها قائمة على الاجتهاد وفي فهم النص ودلالته.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُ النَّاسُ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾ (١). وفي الحقيقة إن الدعاة مثل الأطباء درجات، فيهم الاستشاري، والمتخصص، والممارس العام والممرض، وكذلك الدعاة مستويات، فيهم المتخصص الدقيق، مثل أغلب أساتذة الجامعات الشرعية، والممارس العام وهم أئمة المساجد، والممرضون مثل عوام الناس في الدعوة يستطيعون القيام بالإسعافات الأولية، فكل له قدراته ومستواه. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١١١) ﴿٢﴾.

(١) سورة هود الآيتان (١١٨-١١٩).

(٢) سورة المجادلة الآية (١١).



أسئلة على ما سبق .

اكتب بالتفصيل حول إعداد الداعية من خلال النقاط الآتية:

أولاً: كيفية إعداد الداعية إيمانياً؟.

ثانياً: كيفية إعداد الداعية أخلاقياً؟.

ثالثاً: كيفية إعداد الداعية علمياً؟.

رابعاً: كيفية إعداد الداعية مهارياً؟.

خامساً: محاذير للداعية في طريق الدعوة؟.



(٣) المبحث الثالث

أصناف المدعوين وكيفية التعامل معهم.

الغرض من الدراسة.

معرفة أصناف المدعوين، وكيفية التعامل مع كل صنف منهم وهم:

١. أهل الكتاب (اليهود والنصارى).
٢. المشركون والوثنيون.
٣. الجاحدون أو الملحدون (الشيوعيون).
٤. المنافقون.
٥. الملاً.
٦. جمهور الناس من العوام.
٧. المسلمون العصاة.
٨. المسلمون الطائعون.
٩. ملامح عامة حول منهج القرآن الكريم في الدعوة.





تعريف المدعو:

هو الشخص الذي توجه إليه الدعوة من البشر، والدعاة مكلفون بنقل الدعوة إلى كل الناس جميعاً، دون استثناء، كما جاء في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَتَمَنُّوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ آلَتِيَّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

(١). وقد قسم العلماء المدعوين إلى قسمين رئيسين وهما:

أمة الدعوة: وهم من توجه إليهم الدعوة، ولم يدخلوا في الإسلام بعد، فإن أسلموا تطلق عليهم أمة الإجابة. وأمة الإجابة: هم الذين استجابوا للدعوة من المسلمين عبر التاريخ.



وأما أقسام غير المسلمين بالنسبة لدار الإسلام:

أهل حرب: وهم من كانت بيننا وبينهم حرب قائمة ومستمرة.

وأهل عهد: وهم من أخذ عليهم العهد من الكفار.

أهل ذمة: وهم من استوطنوا دار الإسلام إقامة دائمة وقاموا بدفع الجزية.

أهل هدنة: وهم من كانت بيننا وبينهم هدنة، سواء كانت مؤقتة أو دائمة.

أهل أمان: وهم من دخلوا دار الإسلام بتأشيرة دخول مؤقتة، ويجب حمايتهم ما داموا في دار

الإسلام.



ومن الجدير بالذكر، أن بعضاً من غير المسلمين يعيشون في البلاد الإسلامية، إما من باب المواطنة، أو من باب العمل والتجارة، وهذه فرصة جيدة لعرض الإسلام عليهم بطريقة مباشرة في صورة دعوات ورسائل لحضور ندوات ومؤتمرات، أو غير مباشرة، مثل الاعتناء بهم ورعايتهم، وتقديم الخدمات الميسرة لهم، في قضاء مصالحهم وحوادثهم، حتى يأخذوا فكرة حسنة عن الإسلام.

ومن واجبات الداعية نحو المدعو أن يتحرك بالدعوة إليه ويطرق جميع الطرق التي توصل إليه حتى يبلغه الدعوة على أحسن وجه وأفضل حال، وهذا ما فعله النبي ﷺ في أول الإسلام حيث انتقل إلى المدعويين جميعاً فذهب إليهم عند جبل الصفا وفي أماكن تجمع عند الكعبة وعرض نفسه ودعوته على ما يزيد على عشرين قبيلة في موسم الحج، وانطلق إليهم عند العقبة، بل انطلق خارج مكة إلى الطائف، فما ترك مكاناً يستطيع الوصول إليه إلا ذهب إليهم فيه، لأنه يريد أن يقوم بالبلاغ المكلف به **قَالَ تَعَالَى: ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾ (٩٩)** (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ۗ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۗ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (١٧) (٢).

والهجرة النبوية كانت انتقالاً من مكان إلى مكان، من أجل تبليغ دعوته، ويجد من يحملها معه، ويقوم على نصرته، فإرسال النبي ﷺ الرسل، ومعهم الكتب إلى الملوك والأمراء هي صورة من صور التحرك بالدعوة مع المدعويين في كل مكان، سواء كان قريباً أم كان بعيداً، ولما ظهر

(١) سورة المائدة الآية (٩٩).

(٢) سورة المائدة الآية (٦٧).



الإسلام بعد فتح مكة، جاءت القبائل والوفود مبايعة ومسلمة، بعد ما وصلتها الرسالة في صورتها الصحيحة.

ولو ركز كل داعية في بلد أو قرية أو حي من الأحياء، يعلم الناس ويذكرهم ويعظهم، ويثبتهم على الإسلام، لكن خيراً للجميع، يقول الإمام أبو حامد الغزالي -رحمه الله-: (يتكفل كل عالم بإقليم، أو بلدة، أو محلة، أو مسجد، أو مشهد، فيعلم أهله دينهم، وتميز ما يضرهم عما ينفعهم، وما يشقيهم عما يسعدهم، ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يسأل عنه، بل ينبغي أن يتصدى إلى دعوة الناس إلى نفسه فإنهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحداً واحداً فيرشدونهم وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة فقيهاً متديناً يعلم الناس دينهم فإن الخلق لا يولدون إلا جهالاً فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأصل والفرع" (١).

المدعوون من غير المسلمين ليسوا على درجة واحدة، فمنهم من هو صاحب دين سابق، سواء كان إلهياً محرفاً، أو أرضياً، ومنهم غير المرتبط بدين على الإطلاق، ومنهم المتعصب الذي لا يقبل الحوار، أو النقاش، ومنهم من يقبل الحوار مع الآخر، ويبحث عن الفكرة الصحيحة.

المقصود بغير المسلمين: (كل من يدين بغير الإسلام) سواء كان يتبع ديناً آخر، مثل اليهود والنصارى، أو لا يتبع ديناً أصلاً مثل الشيوعيين. أو يتبع ديناً أرضياً مثل البوذية والكنفوشيوية، أو المجوسية أو الوثنية أو الصابئة، إلى غير ذلك.

ويمكن القول بأن الديانات المخالفة للإسلام أصناف عدة:

(١) إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي ٤٥/٢.

١- صنف أهل رسالة إلهية سابقة، وهم الذين ساهم القرآن الكريم أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى، وسموا بأهل الكتاب لأن لهم كتاب مقدس، أصوله منزلة من عند الله ﷻ قبل أن يكون في الحالة التي هو عليها الآن.

٢- وصنف أصحاب ديانات أرضية وضعية، أو وثنية، ويدخل فيهم المشركون، وعبدة الأوثان، والمجوس عبدة النار، والصابئة عبدة الكواكب والنجوم، والهندوس عبادة البقر، ويدخل في أصحاب الديانات الأرضية البوذية أتباع بوذا، والكنفشيوسية أتباع كنفشيوس. (١).

٣- وهناك صنف لا يتبع ديناً أصلاً، وهم الذين يسمون بالدهريين قديماً، وبالشيوعيين حديثاً، فكل هؤلاء جميعاً على اختلاف مللهم ودياناتهم وعقائدهم، رسالة الإسلام موجهة إليهم جميعاً، قال تعالى ﴿ قُلْ يَتَّيِّهُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢).

وأمام هذا التنوع والاختلاف في المدعوين، نجد القرآن الكريم قسم المدعوين إلى أصناف عدة، سواء كانوا غير مسلمين، أو من المسلمين أنفسهم، واستخدم مع كل صنف من هذه الأصناف أسلوباً خاصاً يتناسب مع معتقده، ومع موقفه منه، كما أنه أوجد تقسيمات داخل الصنف الواحد، حتى لا يظلم بعضهم، أو المعتدلين منهم.



(١) يراجع في التعريف بهذه الديانات، الموسوعة العلمية في الأديان والمذاهب والفلسفات صادرة عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

(٢) سورة الأعراف الآية (١٥٨).

١ - أهل الكتاب.

أهل الكتاب: هم الذين لهم كتاب سابق، من اليهود والنصارى، وهم ينسبون أنفسهم إلى نبي الله موسى وعيسى -عليهما السلام- ورغم أن القرآن الكريم أكد على أنهم حرفوا كتبهم، وغيروا كثيرا من التعاليم الإلهية، التي أنزلها الله ﷻ في التوراة والإنجيل، ورغم أنهم لم يؤمنوا برسالة محمد ﷺ إلا أن الإسلام عاملهم معاملة خاصة، ليؤلف قلوبهم نحو الإسلام ومن ذلك:

فالقرآن الكريم لم يعمم الحكم عليها جميعا، وإنما قال منهم ومنهم، لأنهم ليسوا على درجة واحدة، مثل قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنٌ إِنْ تَأْمَنُوا بَقِطَارٍ يُودِعُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنٌ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَا يُودِعُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّتِنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (٢).

ولقد وجه النبي ﷺ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى الدعوة بصورة مستمرة ومتكررة ومن ذلك ما يأتي:

(١) سورة آل عمران الآيات (١١٣-١١٥).

(٢) سورة آل عمران الآية (٧٥).

قصة إسلام عبد الله بن سلام:

ففي الحديث: "أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وعبد الله بن سلام في نخل له فأتى عبد الله بن سلام رسول الله ﷺ فقال: إني سأئلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي، فإن أنت أخبرتني بها آمنت بك، فسأله عن الشبه، وعن أول شيء يحشر الناس، وعن أول شيء يأكله أهل الجنة، فقال رسول الله ﷺ: (أخبرني بهن جبريل أنفاً) قال: ذاك عدو اليهود فقال رسول الله ﷺ: (أما الشبه إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة ذهب بالشبه وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل ذهب بالشبه وأول شيء يحشر الناس نار تضيء من قبل المشرق فتحشر الناس إلى المغرب وأول شيء يأكله أهل الجنة رأس ثور وكبد حوت) ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإني سمعوا بإياني بك بهتوني ووقعوا في فأحبتني أبعث إليهم فبعث فجاؤوا فقال: (ما عبد الله بن سلام)؟ قالوا: سيدنا وابن سيدنا وعالمنا وابن عالمنا وخيرنا وابن خيرنا فقال ﷺ: (أرأيتم إن أسلم أتسلمون؟) فقالوا: أعاده الله أن يقول ذلك ما كان ليفعل فقال: (اخرج يا ابن سلام) فخرج إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا: بل هو شرنا وابن شرنا وجاهلنا وابن جاهلنا قال: ألم أخبرك يا رسول الله أنهم قوم بهت! (١).

إرسال النبي ﷺ علياً لدعوة يهود خيبر للإسلام قبل قتالهم:

ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: "لأعطين هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدواً على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب. فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟

١ الحديث أخرجه الإمام ابن حبان (٧٤٢٣) عن أنس بن مالك ﷺ.



فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ" (١).

دعوة النبي ﷺ النصراري للإسلام من خلال قصة إسلام عدي بن حاتم الطائي:

كُنْتُ أَسْأَلُ عَنْ حَدِيثِ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ وَهُوَ إِلَى جَنْبِي لَا آتِيهِ فَأَسْأَلُهُ فَأَتِيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ فَقَالَ: بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ بُعِثَ فَكَرِهْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَرِهْتُ شَيْئًا قَطُّ فَاَنْطَلَقْتُ حَتَّى كُنْتُ فِي أَقْصَى الْأَرْضِ مِمَّا يَلِي الرُّومَ فَقُلْتُ: لَوْ آتَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ فَإِنْ كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا اتَّبَعْتُهُ فَأَقْبَلْتُ فَلَمَّا قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ اسْتَشْرَفَ لِي النَّاسُ وَقَالُوا: جَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ جَاءَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِي: (يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ أَسْلِمْتَ تَسَلَّمَ) قَالَ: قُلْتُ: إِنْ لِي دِينًا قَالَ: (أَنَا أَعْلَمُ بِدِينِكَ مِنْكَ - مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا - أَلَسْتَ تَرَأْسَ قَوْمِكَ)؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى قَالَ: (أَلَسْتَ تَأْكُلُ الْمِرْبَاعَ)؟ قَالَ: قُلْتُ: بَلَى قَالَ: (فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ) قَالَ: فَتَضَعُضْتُ لَذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: (يَا عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ أَسْلِمْتَ تَسَلَّمَ فَإِنِّي قَدْ أَظُنُّ - أَوْ قَدْ أَرَى أَوْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تُسَلِّمَ خِصَاصَةً تَرَاهَا مِنْ حَوْلِي وَتَوْشِكُ الطَّعِينَةَ أَنْ تَرْحَلَ مِنَ الْحَيْرَةِ بَغَيْرِ جِوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَلَتَفْتَحَنَّ عَلَيْنَا كِنُوزُ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَيَفِيضَنَّ الْمَالُ - أَوْ لَيَفِيضُ - حَتَّى يُهَمَّ الرَّجُلُ مَنْ يَقْبَلُ مِنْهُ مَالَهُ صَدَقَةً) قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: فَقَدْ رَأَيْتُ الطَّعِينَةَ تَرْحَلُ مِنَ الْحَيْرَةِ بَغَيْرِ جِوَارٍ حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ وَكُنْتُ فِي أَوَّلِ خَيْلِ أَغَارَتْ عَلَى الْمَدَائِنِ عَلَى كِنُوزِ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَأَحْلِفُ بِاللَّهِ لَتَجِيَنَّ الثَّالِثَةُ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِي" (٢).

١ الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٢١٠) عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان (٦٦٧٩) عدي بن حاتم الطائي ﷺ.

قصة بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن:

يقول معاذ بن جبل بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَيْكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَيْكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَيْكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَآتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" (١).



كيفية التعامل مع أهل الكتاب:

١- أباح الإسلام الزواج منهم، وأن يكونوا أصهارا للمسلمين، كما أباح أكل ذبيحتهم، دون باقي الملل الأخرى، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلْلٌ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلْلٌ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ (٢).

٢- يجوز التعامل مع أهل الكتاب بالبيع والشراء، وغير ذلك من المعاملات المشروعة الحلال، وفي السنة النبوية الشريفة أن النبي ﷺ: "اشتري من يهودي طعاما إلى أجل، ورهنه درعه" (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٩) عن معاذ بن جبل ﷺ.

(٢) سورة المائدة الآية (٥).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٥٠٩) عن عائشة ﷺ.



وأهل الكتاب هم أقرب من غيرهم إلى الإسلام، لأن أصول رسالتهم إلهية من عند الله ﷻ خاصة قبل أن تمتد أيديهم إليها بالتحريف والتغيير، وذلك كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ (٢).

فلقد راعى الإسلام أنهم أصحاب رسالة سابقة، وأن لهم نبيا مرسلا، يجب على المسلم الإيثار به وتصديقه، كما حكم عليهم أيضا بأنهم حرفوا كتبهم، ونسبوا إلى الله ﷻ ورسله ما لا يجوز أن يوصفوا به، ومع ذلك فطريقة التعامل معهم تختلف عن غيرهم، فيراعى فيها كل هذه الجوانب السابقة، حيث أن بيننا وبينهم علاقة في أصل المصدر، والرسول، والكتب، فلهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، إلا في أمورهم الخاصة العقدية، فيتركون وما يدينون به، ما داموا يحترموا الآخر، ويتعايشون معه.



(١) سورة البقرة الآية (٧٥).

(٢) سورة الشورى الآية (١٣).

٢ - المشركون أو الوثنيون وغيرهم.

المشركون: هم الذين أشركوا مع الله ﷻ آلهة أخرى، سواء كان الإشراك في الجانب العقدي، أو التعبدي، قال تعالى: ﴿الْأَلِهَةُ الَّذِينَ خَلَأُوا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ (١).

والوثنيون كما سبق هم الذين يعبدون الأوثان، وهي الأصنام وما على شاكلتها من الحجارة، المشكلة وغير المشكلة.

والمجوس هم عبدة النار، والصابئة عبدة الكواكب والنجوم.

أمثلة على دعوة النبي ﷺ للمشركين:

ففي الحديث عن ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه قال: "رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَصَرَ عَيْنِي بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا، وَيَدْخُلُ فِي فِجَاجِهَا وَالنَّاسُ مُتَقَصِّفُونَ عَلَيْهِ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَقُولُ شَيْئًا، وَهُوَ لَا يَسْكُتُ، يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، تُفْلِحُوا، إِلَّا أَنْ وَرَاءَهُ رَجُلًا أَحْوَلَ وَضِيءَ الْوَجْهِ، ذَا عَدِيرَتَيْنِ، يَقُولُ: إِنَّهُ صَابِئٌ كَاذِبٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالُوا: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَهُوَ يَذْكُرُ النَّبُوَّةَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الَّذِي يَكْذِبُ؟ قَالُوا: عَمُّهُ أَبُو هَبٍ، قُلْتُ: إِنَّكَ كُنْتَ يَوْمئِذٍ صَغِيرًا؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، إِنِّي يَوْمَئِذٍ لَأَعْقَلُ." (٢).

(١) سورة الزمر الآية (٣).

٢ الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٦٠٢٣) قال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، عن ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه.



وفي الحديث: " كان رسولُ الله ﷺ إذا بعثَ أميرًا على جيشٍ أو سريةٍ أو صاهٍ في خاصّةٍ نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: اغزوا بسمِ الله في سبيلِ الله قاتلوا من كفر بالله ولا تغلّوا ولا تغدروا ولا تمثّلوا ولا تقتلوا وليدًا وإذا لقيتَ عدوكَ من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاثِ خصالٍ أو خلالٍ فأيّتهنَّ ما أجابوكَ إليها فاقبلْ منهم وكُفَّ عنهم؛ ادعهم إلى الإسلام فإن هم أجابوكَ إلى ذلك فاقبلْ منهم وكُفَّ عنهم ثم ادعهم إلى التَّحوّلِ من دارهم إلى دارِ المهاجرين فإن أبوا أن يتحوّلوا فأعلمهم أنّهم إذا فعلوا ذلك يكونون كأعرابِ المهاجرين يجري عليهم حكمُ الله الذي يجري على المهاجرين فإن هم أجابوكَ إلى ذلك فاقبلْ منهم فإن هم أبوا فاستعنْ بالله عليهم ثم قاتلهم وإذا حاصرتَ أهلَ حصنٍ فأرادوكَ أن تجعلَ لهم ذمّةَ الله وذمّةَ رسوله فلا تجعلَ لهم ذمّةَ الله ولا ذمّةَ رسوله واجعلْ لهم ذمّةَك وذمّةَ آبائِك وذمّةَ أصحابِك فإنكم أن تُخفروا ذمّكم وذمّمَ آبائكم أهونُ عليكم من أن تُخفروا ذمّةَ الله وذمّةَ رسوله ﷺ وإذا حاصرتَ أهلَ حصنٍ فأرادوكَ أن تنزلوهم على حكمِ الله فلا تنزلوهم على حكمِ الله فإنكم لا تدرون أتصيبون حكمَ الله فيهم أم لا؟" (١).

دعوة المجوس للإسلام:

وفي الحديث: " أن رسولَ الله ﷺ بعثَ بكتابه إلى كِسرى، فأمره أن يدفَعَهُ إلى عَظِيمِ البَحْرَيْنِ، يدفَعُهُ عَظِيمِ البَحْرَيْنِ إلى كِسرى، فلما قرأه كِسرى مرَّفه، فحسبتُ أن ابنَ المسيّبِ قال: فدعا عليهم رسولُ الله ﷺ: أن يُمرِّقوا كُلَّ مُمرِّقٍ" (٢).



(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان (٤٧٣٩) عن بريدة ؓ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧٢٦٤) عن عبدالله بن عباس ؓ.

كيفية التعامل مع المشركين:

١- هؤلاء المشركون والوثنيون والمجوس لا يجوز الزواج منهم، ولا أن يكونوا أصهارا للمسلمين.

٢- لا يجوز أكل ذبيحتهم، على خلاف أهل الكتاب، لكن يجوز التعامل معهم بالبيع والشراء، ونحو ذلك من المعاملات التجارية المشروعة فقط.

وقد روى عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال: "كنا مع النبي ﷺ ثلاثين ومائة، فقال النبي ﷺ: هل مع أحد منكم طعام. فإذا مع رجل صاع من طعام أو نحوه، فعجن، ثم جاء رجل المشرك، مشعان طويل، بغنم يسوقه، فقال النبي ﷺ: "بيعا أم عطية؟ أو قال: أم هبة؟" قال: لا، بل بيع، فاشترى منه شاة..."(١).

٣- يجوز مخالطتهم في بلادهم، والإقامة بينهم، بضوابطها الشرعية، خاصة إذا أمن المسلم على دينه ونفسه ومن يعول، ويجوز تعايشهم بين المسلمين في البلاد الإسلامية، ماداموا دخلوها بطرق قانونية، ويلتزمون بتعاليم الإسلام العامة.



(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦١٨) عن عبد الرحمن بن أبي بكر ؓ.

٣ - الجاحدون أو الملحدون.

الجاحدون أو الملحدون: هم الذين ينكرون وجود الله ﷻ أصلاً، فلا يعترفون بوجوده ﷻ ولا يعترفون بالرسول والأنبياء، ولا باليوم الآخر، وبالجملة فهم لا يقرون بدين على الإطلاق، ولا بأي علاقة تربط الإنسان بقوة أعظم منه، وهؤلاء موجودون منذ القدم، قبل بعثة سيدنا محمد ﷺ وهم المعنيون في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٢٤) ﴿ (١).

فلا يؤمنون إلا بالمادة فقط، وما تدركه الحواس الظاهرة عند الإنسان، أما الغيب وما وراء الطبيعة واليوم الآخر، فلا يعترفون بشيء من ذلك على الإطلاق، وقالوا قولتهم المشهورة: (إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع).

ولقد ظهر لهذا الصنف نظراء في العصر الحاضر، وهم الذين سموا أنفسهم بالشيوعيين حيث جعلوا شعارهم: (لا إله والحياه مادة). وقالوا: (الدين أفيون الشعوب).

فأنكروا وجود الله ﷻ واعتبروا الدين ما هو إلا مخدر لأعصاب وعقول ومشاعر الناس وعواطفهم.

وبالرغم من أن فكرهم وتصورهم لكل شيء في الحياة يصطدم مع الفطرة البشرية، إلا أنهم استطاعوا أن يقيموا دولة كبيرة تؤمن بهذا الفكر، وتفرضه على الشعوب، وتدعوا له بالقوة والإكراه والقسر، تحت مسمى (الشيوعية). الشيوعية في المال والنساء، وفي كل شيء تقوم به الدولة نحو الأفراد.

ولأن هذه الأفكار تصطدم مع العقل والمنطق والواقع والفطرة، فقد انهارت هذه الدولة في أقل من قرن من الزمان، وعلى يد أبنائها ومفكريها، لأن عوامل الضعف والفناء تكمن في داخلها.

كيفية التعامل مع الملحدين:

١- التركيز على معرفة أحوال المدعوين من الملاحدة والدهريين، ومعرفة حالتهم الاعتقادية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، ومعرفة مراكز الضلال، ومواطن الانحراف معرفة جيدة، قبل بداية تعريفهم بالإسلام، ودعوتهم إليه.

٢- التركيز على مخاطبة العقل والكر بطرح العديد من الأسئلة وترك الإجابة للمدعوين مثل من خلق الكون فيقولون الطبيعة أو الصدفة فتقول ومن خلق الطبيعة فيقولون لا شيء هي أوجدت نفسها وهذا غير مقبول في عالم الماديات والمحسوسات التي يؤمن بها الملحدون.

٣- التركيز على الأدلة المادية والحسية وقانون السببية التي تخاطب العقل وتثبت أن للكون إلهًا وخالقًا ولم يوجد بالصدفة

٤- الاستدلال بالآيات الكونية والإنسانية وأدلة الفطرة المركوزة في داخل الإنسان، واستخدام المقاييس العقلية، وحقائق العلم الحديث التي تتوافق مع ما جاء في القرآن الكريم.



٤ - المنافقون.

والنفاق لغة: مأخوذ من النفاء، وهو عبارة عن جحرين لليربوع، يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر، فيدخل في الإسلام من باب ويخرج من طريق آخر.

والمنافقون: هم الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والعصيان،

وقد ظهرت بداية المنافقين في المجتمع المدني، في عصر النبي ﷺ بعدما أعز الله ﷻ المسلمين بإقامة دولة لهم، في المدينة المنورة، فظهر فريق من الناس، دخلوا في الإسلام ظاهراً، وأبطنوا الكفر والعداوة والبغضاء، بقصد بث الفتنة، وإثارة المشكلات بين المسلمين.

وهذا الصنف من الناس تجرى عليهم في الدنيا أحكام الإسلام حسب ظاهرهم، مع أخذ الحذر والحيطه منهم، وأما في الآخرة فقد حكم الله ﷻ عليهم بأنهم من أهل النار ما لم يتوبوا، ويصلحوا ما عملته أيديهم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٤٦﴾ (١).

ولأنهم في الغالب يعيشون في داخل المجتمع الإسلامي، فينبغي ذكر طرفا مفصلا من الحديث عنهم، وبيان صفاتهم، أو طرق التعامل معهم.



أسباب النفاق:

١- ضعف الشخصية، وبلبلة الفكر، وعدم القدرة على اتخاذ القرار الصحيح، قَالَ تَعَالَى:

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (١٧) ﴿١﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (١٤٣) ﴿١﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَعِذْنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ (٤٥) ﴿٢﴾.

٢- التجسس على المؤمنين، وإثارة الفتنة والثورات بين صفوفهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا

الرَّسُولُ لَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ بِمِجْرَفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٤١) ﴿١﴾.

(١) سورة البقرة الآية (١٧).

(٢) سورة النساء الآية (١٤٣).

(٣) سورة التوبة الآية (٤٥).

(٤) سورة المائدة الآية (٤١).



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَفُوا لِحُلَّتْكُمْ بَبْعُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (١).

٣- الخوف من المستقبل، والحرص على المصلحة الخاصة، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَرَى الَّذِينَ فِي

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ نُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فِتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ (٣).

٤- حب المال والدينا، والبخل في الإنفاق في الصدقات، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي

الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (٥).

٥- الصد عن سبيل الله ﷻ ومحاربة الإسلام لكرههم له، قَالَ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ

جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾ (٦).

(١) سورة التوبة الآية (٤٧).

(٢) سورة المائدة الآية (٥٢).

(٣) سورة النساء الآية (١٤١).

(٤) سورة التوبة الآية (٥٨).

(٥) سورة التوبة الآية (٧٥).

(٦) سورة المنافقون الآية (٢).

٦- ضعف التحمل، وقلة الصبر، وعدم تحمل تبعات الإسلام قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ (١).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾﴾ (٢).



صفات المنافقين:

١- ادعاء الإيمان والتظاهر به، وإبطان الكفر والفسوق والعصيان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ (٣).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ ﴿١٤﴾﴾ (٤).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَرْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَىٰ الظُّلُمَاتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ (٥).

(١) سورة الحج الآية (١١).

(٢) سورة البقرة الآيات (٨-١٠).

(٣) سورة البقرة الآية (٨).

(٤) سورة البقرة الآية (١٤).

(٥) سورة النساء الآية (٦٠).



٢- استخدام الخداع مع الآخرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَدِّعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (٩) ﴿١﴾.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَدِّعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَدِّعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) ﴿٢﴾.

٣- ادعاء الإصلاح ظاهراً، بينما الحقيقة عكس ذلك تماماً، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ (٦٢) ﴿٣﴾.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١٠٧) ﴿٤﴾.

٤- السخرية من المؤمنين، ورميهم بالسفاهة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣) ﴿٥﴾.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ (١٤٠) ﴿٦﴾.

(١) سورة البقرة الآية (٩).

(٢) سورة النساء الآية (١٤٢).

(٣) سورة النساء الآية (٦٢).

(٤) سورة التوبة الآية (١٠٧).

(٥) سورة البقرة الآية (١٣).

(٦) سورة النساء الآية (١٤٠).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ يَكْفُلُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤٩) (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴾ (٦٥) (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جَهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٩) (٣).

٥- موالاة الكفار وأعداء الإسلام، ظاهرا وباطنا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴾ (١٤) (٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُوكُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٧٦) (٥).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (١٣٨) الَّذِينَ يَنْخَدُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْنِئْتُمْ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ (١٣٩) (٦).

(١) سورة الأنفال الآية (٤٩).

(٢) سورة التوبة الآية (٦٥).

(٣) سورة التوبة الآية (٧٩).

(٤) سورة البقرة الآية (١٤).

(٥) سورة البقرة الآية (٧٦).

(٦) سورة النساء الآيتان (١٣٨-١٣٩).



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ

اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْمِينًا ﴿٥٢﴾ ﴿١﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ

الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٦٣﴾ ﴿٢﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَىٰ الْكُذِبِ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ﴿٣﴾.

٦- كثرة الحلف بالله كذبا، فمن صفات المنافقين الكذب في أقوالهم وأفعالهم: قَالَ تَعَالَى:

﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا

إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ

لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ ﴿٤﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ

وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتَوْلَاءَ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ ﴿٥﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ

إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ ﴿٦﴾.

(١) سورة المائدة الآية (٥٢).

(٢) سورة محمد الآية (٢٦).

(٣) سورة المجادلة الآية (١٤).

(٤) سورة النساء الآيات (٦٢-٦٣).

(٥) سورة النساء الآية (٥١).

(٦) سورة المنافقون الآية (١).

٧- خلف الوعد، واختلاق الاعذار الكثيرة، بدون سبب صحيح، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْقِبْهُمْ

نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ ﴿١﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهُ لَئِن آتَيْنَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ

الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴿٢﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ

النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ ﴿٣﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُولُونَ الدَّبْرَ ؕ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾

﴿٤﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَنِتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ

قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَافِرِينَ يَوْمِئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ؕ

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٧٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أ طَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنفُسِكُمْ

الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧٨﴾ ﴿٥﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآزَنَابَتْ قُلُوبُهُمْ

فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ

(١) سورة التوبة الآية (٧٧).

(٢) سورة التوبة الآية (٧٥).

(٣) سورة الأحزاب الآية (١٣).

(٤) سورة الأحزاب الآية (١٥).

(٥) سورة آل عمران الآيتان (١٦٧-١٦٨).



أُنْبِئَانَهُمْ فَشَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا
وَلَا وَضَعُوا خَلْقَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفَنَنَةَ فِيكُمْ سَمَّعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالًا
يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿١٤٢﴾ (٢).

٨- التحالف بين المنافقين مع بعضهم، والكفار من المشركين وأهل الكتاب، قَالَ تَعَالَى:

﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ
الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
﴾ ﴿٦٧﴾ (٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن
أَخْرَجْتُم لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿١١﴾
(٤).

٩- المنافقون يعيشون على حذر وخوف شديد، من انكشاف أمرهم، وفضح طويتهم،

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَزِرُوا
إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ ﴿٦٤﴾ (٥).

(١) سورة التوبة الآيات (٤٧-٤٥).

(٢) سورة النساء الآية (١٤٢).

(٣) سورة التوبة الآية (٦٧).

(٤) سورة الحشر الآية (١١).

(٥) سورة التوبة الآية (٦٤).

١٠- المنافقون لا يفقهون، ولا يعلمون، وينشرون الأراجيف بين المسلمين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا نُفِيقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنْفَضُوا ۗ وَاللَّهُ خَرَّائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۗ ﴾ (٧) ﴿ (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنَهَا الْأَذَلَّ ۗ وَاللَّهُ الْعَزِيزُ الرَّسُولُ ۗ ﴾ (٨) ﴿ (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَاهُمْ يَسْخَطُونَ ۗ ﴾ (٥٨) ﴿ (٣).



دعوة النبي ﷺ للمنافقين:

قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: "لَوْ أَتَيْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِيٍّ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَرَكِبَ حِمَارًا، فَانْطَلَقَ الْمُسْلِمُونَ يَمْشُونَ مَعَهُ وَهِيَ أَرْضٌ سَبِيحَةٌ، فَلَمَّا أَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: إِلَيْكَ عَنِّي، وَاللَّهِ لَقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْهُمْ: وَاللَّهِ لِحِمَارِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللَّهِ رَجُلٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَشَتَمَهُ، فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا أَصْحَابُهُ، فَكَانَ بَيْنَهُمَا ضَرْبٌ بِالْجَرِيدِ وَالْأَيْدِي وَالنَّعَالِ، فَبَلَّغْنَا أَنَّهَا أَنْزَلَتْ: { وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا } [الحجرات: ٩]. (٤).

(١) سورة المنافقون الآية (٧).

(٢) سورة المنافقون الآية (٨).

(٣) سورة التوبة الآية (٥٨).

٤ الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩١) عن أنس بن مالك ؓ.



وفي السيرة النبوية: (أن رسول الله ﷺ ركب حملاً وعليه إكافٌ وتحتَه قَطيْفَةٌ فركب وأردف أسامةَ بنَ زيدٍ وهو يعوذُ سعدَ بنَ مُعاذٍ في بني الحارثِ بنِ الحزرجِ وذلك قَبْلَ وَقْعَةِ بدرٍ حتَّى مرَّ بمجلسٍ فيه أخلاطٌ من المسلمينَ والمُشركينَ وَعَبْدَةَ الأوثانِ واليهودِ ومنهم عبدُ اللهِ بنُ أبي ابنِ سلولٍ.

وفي المجلسِ عبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ فلَمَّا غَشِيَتِ المجلسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ حَمَّرَ عبدُ اللهِ أنفَه بِرِداءِهِ ثمَّ قال: لا تُعَبِّرُوا علينا فسلمَ عليهم النَّبِيُّ ﷺ ووقفَ عليهم فدعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآنَ فقال عبدُ اللهِ بنُ أبي ابنِ سلولٍ: أيها المرءُ لأحسَنُ من هذا إن كان ما تقولُ حقًّا فلا تُؤذِنَا في مجالِسِنَا وارجعْ إلى رَحْلِكَ فَمَن جاءكَ مِنَّا فاقصصْ عليه.

فقال عبدُ اللهِ بنُ رَواحةَ: بلِ اغشِنَا في مجالِسِنَا فَإِنَّا نُحِبُّ ذلكَ فاستَبَّ المسلمونَ والمُشركونَ واليهودُ حتَّى همَّوا أن يثوروا فلم يزلِ النَّبِيُّ ﷺ يُخَفِّضُهُم حتَّى سَكَتُوا ثمَّ ركبَ دابَّتَه فدخلَ على سعدِ بنِ مُعاذٍ وقال: (ألمَ تسمعَ ما قال أبو حُبابٍ؟) - يريدُ عبدَ اللهِ بنَ أبي - (قال: كذا وكذا) قال سعدٌ: يا رسولَ اللهِ اعفُ، فو الله لقد أعطاك اللهُ ولقد اصطلحَ أهلُ هذه البُحيرةِ على أن يُتوجَّوه بالعِصَابَةِ فلَمَّا رَدَّ اللهُ ذلكَ بالحقِّ الَّذي أعطاكه شَرِقَ بذلكَ، فذلكَ الَّذي عملَ به ما رأيتَ فعفا عنه النَّبِيُّ ﷺ (١).



كيفية دعوة المنافقين؟

١- التركيز معهم على التبرؤ من الكفر وأهله، فلا يجتمع في قلب المسلم إيمان ونفاق، لأن النفاق طريق الكفر، وهو يؤدي إلى خسران الدنيا والآخرة قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ (٢).

(١) الحديث أخرجه الإمام ابن حبان (٦٥٨١) عن أسامة بن زيد ؓ.

(٢) سورة الزمر الآية (١٥).

٢- تذكيرهم ببيان خطورة النفاق على الإنسان في الدنيا والآخرة، فيجعله يعيش في قلق واضطراب، ويخاف من الريح ويهرب من الرعد والبرق، لأنه خائف أن تنكشف حقيقته ويفتضح أمره قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (١٤٢) ﴿١﴾.

٣- التركيز معهم على التربية الإيمانية، وأهمية التوبة من النفاق، وإصلاح ما أفسده من عمل، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ (١٤٥) ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١٤٦) ﴿٣﴾.

٤- التذكير بأن هناك نفاقا عقديا يخرج صاحبه من الملة والدين، وهو أن ينطق اللسان بالشهادتين ويتكاسل في العبادة والطاعة، وقلبه لا يقر بالإيمان والتوحيد. وأن هناك نفاقا سلوكيا يقر بالشهادتين ويعتقد ذلك بقلبه، لكن أعماله وأخلاقه وسلوكه بها خلل مثل كثير الكذب والخلف والخيانة والفجور.

ولذلك جاء التحذير في الحديث النبوي من هذه الخصال التي هي من سمات النفاق والمنافقين وفي الحديث النبوي الشريف قوله ﷺ: "آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" (٣)

وفي الحديث أيضا قوله ﷺ: "شر الناس ذو الوجهين، الذي يلقي هؤلاء بوجهه وهؤلاء

بوجهه" (٤)

(١) سورة النساء الآية (١٤٢).

(٢) سورة النساء الآية (١٤٥-١٤٦).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٧٤٩) عن أبي هريرة ؓ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٧١٧٩) عن أبي هريرة ؓ.



فتذكير المنافق بخطورة هذه الخصال والسمات التي تؤدي به إلى الخروج عن الطاعة، والوقوع في الإثم والذنوب والمعاصي، ويورده موارد الضرر والشر- في الدنيا، وموارد الخزي والنار في الآخرة، أمر في غاية الأهمية، لعله يتوب ويعود إلى طريق الطاعة والاستقامة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَٰئِكَ مَعَ

الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِي اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ (١).



الملا.

الملا: هم سادة القوم، وأصحاب النفوذ والسلطان والوجاهة والسيادة الدنيوية، وهم أصحاب قوة وثروة وترف ونعيم مادي، هم طائفة الحكام وحاشيتهم. ويقابلهم طائفة العوام والسوقة والمحكومين والسواد الأعظم من الناس.

والقرآن الكريم تحدث عن الملا في آيات كثيرة أثناء حديث الرسل الكرام عن دعوتهم إلى الإسلام، والصفة المشتركة بين الملا في جميع العصور والأزمان والأمكنة هي تكذيب الرسل والأنبياء والدعاة والمصلحين، حيث يرفضون الإيثار والإذعان لله ﷻ لأنهم يشعرون أنه يسلبهم خصائصهم ومميزاتهم، حينما يساويهم بجميع طبقات المجتمع، كما أنهم يشاركون الله ﷻ في خصائصه من الحكم والتشريع والعبودية، كذلك حاربوا المرسلين، وقتلوا الدعاة وقاموا بحركة تضليل واسعة ضد خصومهم حتى لا يتبعهم أحد من الناس وينفض الناس من حولهم.



من أسباب عداوة الملا للدعوة:

١- حب الرياسة والسلطة والجاه، فيرون أن الدعوة تسلبهم مكانتهم السيادية وتحولهم من رؤساء إلى مرؤوسين قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَى﴾ (٢٤).

فظن المشركون أن محمدا يريد الملك بالدعوة لذلك ساوموه على أن يشاركونهم في الرأي ويبقى الأمر لهم، فحب الملك والتسلط على رقاب الناس أفقدهم الرؤية الحقيقية للدعوة فلا يرون فيها إلا سلبا للملكهم فقط.



٢- الكبر والاستعلاء فهذا مما منعهم من الإيمان فكيف يتبعون رجلا من عوام الناس وهم لهم تاريخ اجتماعي وسياسي ووجاهة عند الناس مما دعاهم إلى الرفض والإعراض وعدم القبول قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالِي فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٨٣) (١).

٣- التقليد للآباء والأجداد السابقين فالملا لم يعطوا لأنفسهم فرصة للتفكير وإعمال العقل في فهم الرسالة وإنما كيف يخرجون عما يعبد آباؤهم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَٰئِكَ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (١٧) (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتِرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (٢٣) (٣).

وما سبق كان قاسما مشتركا من الملا مع الأنبياء والمرسلين من عصر نوح عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم.

ففي قصة نوح عليه السلام كانت إجابة الملا مباشرة قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَفُورُوا عِبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (٥٩) قَالَ الْمَلَأُ مِّن قَوْمِهِ: ﴿إِنَّا لَنَرُّكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٦٠) (٤).

ومثل ذلك أيضا قوم هود وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وعيسى ويحيى وزكريا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِن بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ

(١) سورة يونس الآية (٨٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٠).

(٣) سورة الزخرف الآية (٢٣).

(٤) سورة الأعراف الآيتان (٦٠-٥٩).

بُرُوجِ الْقُدْسِ أَفْكَلَمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾
 ﴿١﴾

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ ﴿١﴾

والملا من قريش وقفوا نفس الموقف مع خاتم النبيين ﷺ فقاوموا الدعوة بالرفض والتكذيب والتأمر والإعراض والتسفيه والإنكار على الرسول ﷺ والمرسل والمنهج والأتباع قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْاِلٰهَةَ الْاِنْهٰا وَاحِدًا اِنْ هٰذَا لَشَيْءٌ مُّجَابٌ ﴿٥﴾﴾ ﴿٢﴾

فبسبب الكبر والاستكبار وحبهم للرياسة والمنصب والجاه والجحود والطغيان والاعتراض على كل شيء، وجهلهم بمعرفة الله ﷻ والكون والحياة والسنن الإلهية، ومنازعتهم لله في أخص صفاته من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، فدفعهم كل هذا للإنكار مع جميع الأنبياء والمرسلين، كما فعل فرعون مع موسى ﷺ حيث استعبد قومه فقال قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٤﴾﴾ ﴿٣﴾

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِنَاءِهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أطَّلِعُ إِلَى إِلٰهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ مِنَ الْكٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ ﴿٤﴾

(١) سورة البقرة الآية (٨٧).
 (٢) سورة المائدة الآية (٧٠).
 (٣) سورة ص الآية (٤ - ٥).
 (٤) سورة النازعات الآية (٢٤).
 (٥) سورة القصص الآية (٣٨).



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ بَيْنُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتْسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴿١﴾.

وكذلك فعل مشركو قريش مع الرسول ﷺ فبعد أن سرد الله ﷻ صوراً من قصص الأنبياء مع أقوامهم وتكذيبهم لهم في سورة الذاريات ختمها بقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ؕ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ﴿٢﴾.

ومشركو قريش طلبوا من الرسول ﷺ أن يطرد ضعفاء المسلمين من مجالسهم التي يودون أن يحضروا معها لأنهم فقراء، وعبيد وضعفاء ولا قيمة لهم في المجتمع، فمقياس تعاملهم مع الناس العنصرية والطبقية التي تجعلهم يميزون على سائر الناس وأنهم فوقهم في كل شيء حتى إذا دخلوا الإسلام فيطلبون مجلساً خاصاً لهم لا يجالسهم فيه بلال وعمار وصهيب وخباب، فنزل القرآن الكريم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ؕ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴿٣﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴿٤﴾.

(١) سورة الزخرف الآيات (٥١-٥٤).

(٢) سورة الذاريات الآيات (٥٢-٥٣).

(٣) سورة الأنعام الآية (٥٢).

(٤) سورة الكهف الآية (٢٨).

فالعنصرية البغيضة والطبقية الممقوتة وخوفهم من المساواة والعدل وعلى مراكزهم ومكانتهم الاجتماعية بين الناس فرفضوا الدعوة وإذا قبلوها فبشروطهم التي تميزهم أيضا عن غيرهم.



كيفية الدعوة مع الملائ:

١- أن توجه الدعوة إلى الملائ قبل العوام، لأنهم إذا أسلموا وآمنوا أسلم من ورائهم من الأتباع والعوام، ولذلك أرسل الله ﷺ موسى وهارون إلى فرعون الرأس الحاكمة فقال له كما حكى القرآن، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ ﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ (٢).

وأما ملاء من هامان فهو القوى المفكرة، التي تدير شؤون البلاد بالتفكير والتخطيط، وأما قارون فهو القوى الاقتصادية، التي تسير شؤون المعاملات، من البيع والشراء والتجارة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَحَرُ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٣).

فدائما الملائ يكذبون الأنبياء والمرسلين والدعاة من أول وهلة، لأنهم يسلبونهم خصائصهم الكاذبة، وهذه سنة مشتركة بين الجميع على مر العصور والأزمان.

٢- أن الدعوة في مخاطبة الملائ تكون أولا بالرفق واللين والقول الحسن، وتذكيرهم بنعم الله ﷻ عليهم من الملك والنفوذ والجاه والسلطان والمال، فهذه كلها من الله ﷻ ليختبرهم

(١) سورة طه الآيتان (٤٣-٤٤).

(٢) سورة الشعراء الآيتان (١٦-١٧).

(٣) سورة غافر الآية (٢٤).



وَيَمْتَحِنُهُمْ بِهَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ۗ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ۗ يَدُكَ الْغَايِبَةُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ (٢).

فتذكيرهم بأن الملك هو هبة من الله ﷻ يعطيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ربما يكون ذلك مدعاة ليعرف الحقيقة الغائبة عنه، والتي يدركها أغلب الناس إلا أصحاب النفوذ والسلطان. والقول اللين في التعامل مع المملأ هي وصية الله ﷻ لموسى وهارون حينما أرسلهما إلى فرعون الطاغية الجبار فقال الله لهم قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِيْنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿٤٤﴾ (٣).

٣- تركيز الرسل والأنبياء في دعوة المملأ على أنهم رسل من قبل الله ﷻ وليسوا أندادا لهم فالجميع عبد لله، والرسالة منحة واصطفاء من الله ﷻ للعبد لا دخل له فيها، حتى لا يكون الحوار حول شخصية الرسول ﷺ وأتباعه حيث يريد المملأ النيل من الرسالة في شخص الرسول ﷺ فيعترضون عليه قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرْنَكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرْنَكَ إِلَّا أَتْبَعًا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِادْيِ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ (٤).

(١) سورة البقرة الآية (٢٥٨).

(٢) سورة آل عمران الآية (٢٦).

(٣) سورة طه الآية (٤٤).

(٤) سورة هود الآية (٢٧).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالُوا أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَاَوْ قَوْمَهُمَا لَنَا عٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هٰذَا الْفَرءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرَبَيَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ (٢).

فالملا يقبلون الحقائق ولا يسلمون للحجة والدليل لذلك يجادلون بربط الرسالة بشخص الرسول ﷺ وأتباعه، حتى يكون مسوغا لهم في الاعتراض والرفض، وهم يشعرون بالمقارنة بينهم وبين الرسل وأن الرسل أفضل منهم بسبب الرسالة والوحي، وما عندهم من كبر ووجود يجعلهم يرفضون الإيـان والتسليم ثم يستمرون في الطغيان بحجة واهية قائلين قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهٰذَا فِي ءآبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ (٣).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَزَّلْنَا إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَزَّلْنَاكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِأَدَى الرُّأْيِ وَمَا نَزَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلِ بَلْ نَظُنُّكُمْ كٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ (٤).

والرد على الشبهات المثارة من الملا سواء ما كان يتعلق بالذات الإلهية أو الرسول ﷺ أو المنهج أو الأتباع بالردود العقلية المقنعة مثل آيات سورة إبراهيم قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفَرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِكُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كٰتَبَ يَعْبُدُ ءَابَاؤُنَا فَآتُونَا بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَمَا كٰتَبْنَا لَنَا أَن نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ (٥).

(١) سورة المؤمنون الآية (٤٧).

(٢) سورة الزخرف الآية (٣١).

(٣) سورة المؤمنون الآية (٢٤).

(٤) سورة هود الآية (٢٧).

(٥) سورة إبراهيم الآيتان (١٠-١١).



٤- الإنذار الشديد بما ينتظرهم من العذاب العظيم في حالة الإعراض والكفر ورفض الإيمان والإذعان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٣٦﴾﴾ (١).

٥- الدعوة المباشرة إلى عبادة الله ﷻ وتوحيده وترك ما هم فيه من أوهام زائلة وباطلة قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنَِّّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ (٢).

٦- التذكير بأصل الخلق وأن البشر جميعا خلقوا من الأرض ومن أب واحد وأم واحدة، والناس متساوون أمام الله ﷻ كأسنان المشط وأن البشر جميعا سوف يموتون ويعودون إلى الخالق والمحاسب قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَعُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ (٣).

٧- استخدام الحوار الهادئ الذي يقوم على العقل والدليل والبرهان والمنطق والواقع والفضيلة، فالرسل والأنبياء والدعاة أصحاب قضية عادلة، مثل ما فعل موسى مع فرعون في حوارهِ معه أثناء دعوته قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَوْلَوْ جِئْتِكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتِّبِعْهُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُولَكِ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾ (٤).



(١) سورة هود الآيتان (٢٥-٢٦).

(٢) سورة الأعراف الآية (٥٩).

(٣) سورة الحجرات الآية (١٣).

(٤) سورة الشعراء الآيات (٣٧-٣٠).

(٦) جمهور الناس من العوام.

المقصود بجمهور الناس: هم المرؤوسون من العوام من غير المأ والسادة، وغالبا ما يكونون فقراء وضعفاء، وأصحاب مهن وحرف يدوية، وهم أكثر استجابة وقبول للدعوة من المأ، لأنه ليس لديهم حواجز أو عقبات من الملك والرئاسة والمال والجاه، يمنعهم من قبول الدعوة، والاستجابة لها، فليس لديهم ما يخافون عليه أو يحزنون على فقده.

بل هم عكس ذلك تماما، فليس لديهم أموال ولا جاه ولا كبر، والدعوة تسوي بينهم وبين الأسياد أمام الله، والدعوة تحررهم من العبودية للبشر إلى عبودية الله، فيكونوا سعداء، والدعوة تجعلهم يشعرون بإنسانيتهم المهذرة، وقيمتهم الضائعة بين عالم البشر.

لقد عاب المأ على نوح أن من يؤمن به هؤلاء الضعفاء العوام الأراذل، الذين لا رأي لهم، فاعترضوا على الرسول، والرسالة، والمدعوين، بسبب شخص الرسول، والمنهج الذي يسوي بينهم وبين الأتباع الذين معه، قال تعالى: ﴿ قَالَ تَعَالَى قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا زَرْنَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا زَرْنَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادْنَا بِآدَى الرَّأْيِ وَمَا زَرْنَا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١).

والتاريخ يكرر نفسه، في ذلك المشهد مرات عديدة، بين النبي ﷺ وقومه، حيث اعتراضوا على شخص الرسول، وضعف الأتباع، فطلبوا منه أن يطردهم من المجلس، أو يخصهم بيوم لا يحضرون فيه، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعِشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ (٢).

(١) سورة هود الآية (٢٧).

(٢) سورة الأنعام (الآية ٥٢).



لقد شهد أبو سفيان أمام هرقل، أن أتباع الرسول الذين استجابوا له وآمنوا به، أغلبهم من العوام والعيبد، حيث سأله هرقل: قَالَ: "فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضَعْفَاؤُهُمْ؟ قُلْتُ: بَلْ ضَعْفَاهُمْ، قَالَ: فَيَزِيدُونَ أَوْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخَطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا" (١).



كيفية دعوة جمهور الناس من العوام:

١- التذكير بأن ينظر إلى قدرة الله عليه، وأخذه بناصيته، فيفر إليه، ويلوذ بجانبه، فلا ملجأ منه إلا إليه، ومن ثم يفوض أمره إليه، ويتوكل عليه.

٢- لقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها، وقد أحسن الله إلينا جميعاً حينما غمرنا بنعمه، التي لا تعد ولا تحصى، والتذكير بالنعم باب للهدية والإيمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ (٣٤).^(١)



(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٩٤١) عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه.

(٢) سورة إبراهيم الآية (٣٤).

٧- المسلمون العصاة.

المسلمون العصاة هم شريحة من بين المسلمين، هم عندهم أصل الإيمان والتوحيد لكنهم لا يقومون بواجبات ذلك فهم ضعفوا أمام وساوس الشيطان والنفس وتقلبات الأهواء وأمام الحياة وزيتها فاقترفوا بعض الصغائر، أو شيئاً من الكبائر ووقعوا في بعض الذنوب والمعاصي دون استحلال أو إصرار عليها، فهم محملون بالجرائم التي لا تنمو إلا في بيئة بعيدة عن الله ﷻ. فهم لا يزالون في دائرة الإسلام ويتمنون أن يكونوا من الطائعين والصالحين، غير أنهم يحتاجون إلى من يرشدهم إلى الطريق الصحيح ويقدم لهم الدواء الشافي والبلسم الكافي، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَجَسَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

وعصاة المسلمين هم فئة من المسلمين، عندهم أصل الإيمان، والإقرار بالشهادتين في أركان الإسلام، غير أنهم لا يقومون بحقوق الشهادة وأوامر الشرع والدين، ويسرفون على أنفسهم في الذنوب والمعاصي، ومنهم المقل والمكثر، كل علي حسب حالته، وهؤلاء يسمون في القران بالظالمين لأنفسهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ (٢).

والسبب الرئيس الذي يوقعهم في ذلك أنهم يضعفون أمام شهوات النفس، ووساوس الشيطان، ويخالطون قرناء السوء، فيحتاجون إلى من يأخذ بأيديهم إلى الطريق الصحيح،

(١) سورة آل عمران الآية (١٣٥).

(٢) سورة فاطر الآية (٣٢).



ويساعدهم في التغلب على ضعفهم، فيوقظ فيهم الإيمان، ويذكرهم بواجبهم نحو الله، ونحو أنفسهم، ونحو الآخرين.



كيفية الدعوة مع المسلمين العصاة:

١- هؤلاء يحتاجون إلى من يذكرهم بخطورة الذنوب والمعاصي على النفس والقلب والبدن والإيمان والرزق والأولاد والزوجة والصحة فيهربوا من ذل المعصية إلى عز الطاعة، ومن شؤم الذنب إلى لذة العمل الصالح.

٢- يحتاجون إلى من يفتح أمامهم باب الأمل بالتوبة وأنها تجب ما قبلها من الذنوب والمعاصي والآثام وأن الاستغفار يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات وأن الحسنات يذهبن السيئات قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١٧) ﴿ (١).

٣- يحتاجون إلى صحبة صالحة تأخذ بأيديهم إلى طريق الله ﷻ وإلى عمارة مسجده، وإلى حسن العمل وكنف الطاعة والعبادة.

٤- التركيز على إصلاح النفس، وطمعها عن الشهوات والملذات، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴾ (١٤) ﴿ (٢). قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴾ (٩) ﴿ (٢). وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴿ (٤).

(١) سورة النساء الآية (١٧).

(٢) سورة الأعلى الآية (١٤).

(٣) سورة الشمس الآية (٩).

(٤) سورة النازعات الآيتان (٤٠-٤١).

فمحور الدعوة مع المسلمين العصاة يقوم على التركيز على إصلاح النفس والقلب، وتحريك الإيمان الكامن في داخله، وربطه بصحبة صالحة تأخذ بيده إلى طريق المسجد والعبادة والعمل الصالح.

٥- التعامل مع العاصي على أنه مريض ويحتاج إلى علاج وليس على أنه سليم معافى وإن كان صحيح البدن لكنه مريض النفس والروح، فتكون النظرة له من الداعي نظرة الطبيب الذي يسياس المريض حتى يتعاطى الدواء ويكتب له الشفاء،

وهذا يحتاج إلى صبر طويل من الداعي يجعله يتحمل ردود أفعال العصاة، لما قد يقابل به من أذى نفسي أو بدني، لذلك جاءت الوصية بالصبر والعتو والمغفرة لمن يقوم بواجب الدعوة والإصلاح وتغيير المنكر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (٤٣). قَالَ تَعَالَى: ﴿يَبْتَغِي أَعْمِرُ الضَّلَوةَ وَأُمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ (١٧). (٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَصْرِ (١) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (٢) إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ (٣).

٦- والدعوة بالنسبة للمسلمين العصاة، النصح لهم بخطورة ما هم عليه من الذنوب والمعاصي، وأن ذلك يتعدى ضرره إلى المجتمع، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (٤).

(١) سورة الشورى الآية (٤٣).

(٢) سورة لقمان الآية (١٧).

(٣) سورة العصر الآية (١-٣).

(٤) سورة الأنفال الآية (٢٥).



فيجب الإنكار عليهم سرا وعلانية خاصة إذا كانت المعصية ظاهرة، وإذا لم يتوبوا ويعودوا إلى الصراط المستقيم، فينبغي مراعاة معهم ما يأتي:

٧- رد شهادتهم، فالفاسق والعاصي لا تقبل شهادتهم، ولا روايتهم، في مجالي الشهادة والعلم، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِجْهَلَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٦﴾ (١).

٨- عدم إسناد المهات الجليلة لهم، مثل القضاء، الإمارة، والوزارة، والإدارة العامة، لأنها تحتاج إلى عدل، وهم اصحاب ريبة وتهم ومعاص.

٩- هجرتهم ومقاطعتهم عند الحاجة والضرورة، وهي عقوبة معنوية قاسية، استخدمها النبي ﷺ مع بعض الصحابة، المخالفين أمر الله ورسوله، مثل قصة الثلاثة الذين خلفوا عن غزوه تبوك، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ (٢).



(١) سورة الحجرات الآية (٦).

(٢) سورة التوبة الآية (١١٨).

٨- المسلمون الطائعون.

وهم أهل الإيـان والتوحيد اعتقادا وقولا وعملا وسلوكا قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ (١).

وهم رواد المساجد وعمّارها قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ (٢).

وهم الحافظون لحدود الله ﷻ الذين عناهم القرآن قَالَ تَعَالَى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾﴾ (٣).

وهم الذين يرجعون على أداء العبادات بصورها المختلفة على أحسن وجه وأتم صورة الذين عناهم القرآن بقوله قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٩﴾﴾ (٤).

(١) سورة الأنفال الآيتان (٣-٤).

(٢) سورة التوبة الآية (١٨).

(٣) سورة التوبة الآية (١١٢).

(٤) سورة فاطر الآية (٢٩).



وهم أصحاب الأخلاق الفاضلة مع الله ﷻ ومع النفس، ومع الناس، الذين عناهم القرآن بقوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) ﴿١﴾.



كيفية الدعوة مع المسلمين الطائعين:

١- هؤلاء المطلوب معهم الوعظ والتذكير بين الحين والحين حتى يستمروا على طريق الإيمان، وحب الطاعة، والمداومة عليها قالت السيدة عائشة ؓ: "كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، وَأَيْكُمُ يَسْتَطِيعُ مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَسْتَطِيعُ" (٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) ﴿٢﴾.

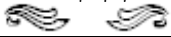
والمطلوب منهم الحرص والاستمرار في تزكية النفس وسلامة القلب، والمحافظة على الفطرة من التلوث وهذا لا يكون إلا من خلال البيئة السليمة التي يعيش فيها، والمناخ الذي يسودها من الطاعة والحرص على تعلم العلوم الشرعية خاصة فيما يتعلق بجانب تزكية النفس وإصلاحها والارتقاء بها إلى النفس المطمئنة التي أعلى أنواع النفوس وأفضلها وأصلحها، قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (١٥١) ﴿٤﴾.

(١) سورة الفرقان الآية (٦٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٤٦٦) عن أم المؤمنين السيدة عائشة ؓ.

(٣) سورة المؤمنون الآيات (١ - ٦).

(٤) سورة البقرة الآية (١٥١).



قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَّيْنَهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ﴿٢٩﴾ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾ ﴿١﴾.

٢- المطلوب منهم فهم الإسلام فيها صحيحا شاملا وذلك بأن الإسلام نظام شامل ينظم جميع مناحي الحياة بعدم قصره على العبادات فقط دون المعاملات والأخلاق أو حصره في المسجد دون خروجه إلى ساحة الحياة العامة قَالَ تَعَالَى: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿١﴾ وَيَوْمَ نَبَعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَؤُلَاءِ^٢ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴿٢﴾.

٣- المطلوب تحويلهم من مسلم طائع إلى مسلم داع إلى الله ﷻ يدرس الإسلام ويفهم أحكامه ويسعى إلى تطبيقه على نفسه وأسرته وأولاده وينهض بتبليغه للأخرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴿٣﴾.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَنفِقَهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴿٤﴾.



(١) سورة الفجر الآيات (٢٧ - ٣٠).

(٢) سورة النحل الآية (٨٩).

(٣) سورة آل عمران الآية (١٠٤).

(٤) سورة التوبة الآية (١٢٢).

ملاحح عامة حول منهج القرآن الكريم في الدعوة.

١- إيقاظ الفطرة، والمحافظة عليها من التلوث:

لقد استخدم القرآن الكريم في مخاطبته للمدعوين من المشركين وأضرهم، أسلوب إيقاظ الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فهي متأصلة في خلق الإنسان، ومستمرة معه إذا بقي عليها دون مؤثرات خارجيه قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا يَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٠) ﴿١﴾.

فالناس في وقت الشدة ينسون الشرك العارض المغشوش، ويعودون إلى الفطرة وتوحيد الربوبية المركوزة في النفوس، فالقرآن يذكرهم بذلك، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٦٥) ﴿٢﴾.

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ فَلَمَّا نَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ (٦٧) ﴿٣﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) ﴿٤﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦٣) ﴿٥﴾.

(١) سورة الروم الآية (٣٠).

(٢) سورة العنكبوت الآية (٦٥).

(٣) سورة الإسراء الآية (٦٧).

(٤) سورة العنكبوت الآية (٦١).

(٥) سورة العنكبوت الآية (٦٣).

فوجود الله أمر فطري عند أصحاب الفطر السليمة، والنفوس المستقيمة، ولذلك جاءت أدله القرآن الكريم في التركيز على التوحيد، دون التركيز على وجود الله، لأنه حقيقة مسلمة عند المشركين والكفار، قبل أن يخلقهم الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ (١).

وأخطر شيء تعاني منه المجتمعات البشرية الكافرة والملحدة في الغرب، هو انطماس الفطرة وانتكاسها، وتلوثها، وتغيرها عن مسارها، كما جاء في الحديث قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "ما من مولودٍ إلا يُولدُ على الفِطْرَةِ، فأبواه يهودانه أو يُنصرانه، أو يُمجسانه، كما تُتَّبَعُ البهيمةُ بهيمةً جمعاءً، هل تُحْسِنُ فيها من جدعاء، ثم يقول أبو هريرة ؓ: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا} [الروم: ٣٠] الآية." (٢).

فينبغي علي الدعوة أثناء تبليغ الدعوة أن يركزوا على هذا الهدف الأصيل، وهو إيقاظ الفطرة من نومها، وإحيائها من مواتها، وبعثها من رقدتها، وإيقاظ الإيوان المخدر الكامن في أعماق النفس البشرية، بطرح الأسئلة المباشرة، التي استخدمها القرآن الكريم في إيقاظ الفطرة واستثارتها نحو مسلكها الطبيعي، فيجد الإنسان نفسه مساقا نحو الإيوان والتوحيد، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَيْكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَعِينُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَعِينُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ

(١) سورة الأعراف الآية (١٧٢).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٣٥٨) عن أبي هريرة ؓ.



وَلَكُمْ الْبُؤْسُ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا
فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴿١﴾.



٢- التذكير بالنعمة:

نعم الله على الإنسان كثيرة، لا تعد ولا تحصى، فهو من فرع رأسه إلى أخمص قدميه
مغمور بنعم الله السابعة، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ
نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢﴾﴾. ﴿٢﴾
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْرُونَ ﴿٥٣﴾﴾. ﴿٣﴾
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾. ﴿٤﴾.

وتذكير المدعوين بهذه النعم أسلوب من أساليب الدعوة، استخدمه القرآن الكريم في
عرض الدعوة على المدعوين أيا كان نوعهم أو مستواهم، بل إن ذلك من الأساليب المشتركة في
دعوة الأنبياء جميعاً، فهذا نوح عليه السلام يذكر قومه بنعم الله عليهم المتعددة والمتنوعة، حتى يعرفوا
قدره، ويعودوا إليه، ويردهم إلى عبادته وتوحيده، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا
﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمِدُّكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾﴾. ﴿٥﴾.

(١) سورة الطور الآيات (٣٥-٤٣).

(٢) سورة لقمان الآية (٢٠).

(٣) سورة النحل الآية (٥٣).

(٤) سورة النحل الآية (١٨).

(٥) سورة نوح الآيات (١٠-١٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٣٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٣٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ
بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٤٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٤٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِاتِّعَامِ رَبِّكُمْ ﴿١٤٣﴾
وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٤﴾ إِنَّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤٥﴾ ﴿١﴾.

وهذا صالح قال لقومه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ
يُذَكِّرُكُمْ ۚ وَادَّكُرُوا ۚ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۚ فَادَّكُرُوا
ءِ الْآءِ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿٢﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَلُّنَا ءِ آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَعَتْهَا
هَضِيمٌ ۚ ﴿١٤٨﴾ وَتَنَحُّتُونَ مِمَّنَ الْجِبَالِ يَأْتُونَآ فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ ﴿٣﴾.

وإبراهيم عليه السلام كان يذكر قومه بنعم الله عليهم من خلال نفسه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي
فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُؤْتِنِي ثَمَرَ بُحْيِينِ
﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ
﴿٨٣﴾ ﴿٤﴾.

لقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب بصفة عامة مع المشركين، حين ردهم إلى
القطرة، بتذكيرهم بنعم الله عليهم في الخلق والرزق، والإحياء والتدبير، وهم مقرون بذلك من
داخلهم فجعلهم يصرحون ويعترفون بألستهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ

(١) سورة الشعراء الآيات (١٢٨ - ١٣٥).

(٢) سورة الأعراف الآية (٦٩).

(٣) سورة الشعراء الآيات (١٤٦ - ١٥٠).

(٤) سورة الشعراء الآيات (٧٨-٨٣).



أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴿١﴾.

إن القرآن الكريم حينما يذكرهم بنعم الله عليهم، لأن الناس يألفون النعم، فينسبون قيمتها، كأنها حق مكتسب لهم مدى الحياة، لا يقابله أي واجب من الإيثار والتسليم والشكر، لذلك جاء التنوع في التذكير في صور شتى، فمرة يعددها عليهم، ومرة ينذرهم بزوالها، ومرة يدعوهم للتفكير والتدبر وإعمال العقل والفكر فيها، ومرة يدعوهم للتفكير والموازنة بين وجودها واستمرارها، وبين سلبها وزوالها، وهذا التنوع العجيب يجعل كل إنسان يقف أمام نفسه، فمن لم تؤثر فيه طريقة قد تؤثر فيه أخرى بصورة أقوى وأعمق، فتدعوه إلى اليقظة والانتباه.

وأحيانا ينوع القرآن الكريم في تذكيرهم بنعم أخرى محيطة بهم، من تسخير الكون وما فيه، وكذلك ما يسكنون وما يلبسون، حتى يأخذ بأيديهم إلى الإيثار والتوحيد الخالص، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ ﴿٢﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْآيَةَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ﴿٣﴾.

وأحيانا يذكرهم القرآن الكريم بآياته ونعمه في خلقهم وتناسلهم وتكاثرهم، وهذا مشاهد أمامهم كل يوم في حياتهم العامة والخاصة، ليعترفوا بالحقيقة الواضحة، التي تدفعهم إلى

(١) سورة يونس الآية (٣١).

(٢) سورة النحل الآية (٨٠).

(٣) سورة غافر الآية (٦١).

الإيمان وترك الكفر، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ الْبَطِيلُ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ (٧٢) (١).

لقد استخدم القرآن الكريم هذه الأساليب السابقة مع مشركي قريش، حينما عرضها عليهم في قصة أصحاب الجنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا بَلَوْتَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾ (١٧) (٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴾ (٣٢) (٣).

يقول ابن القيم -رحمه الله-: (العارف لا يأمر الناس بترك الدنيا فإنهم لا يقدرّون على تركها ولكن يأمرهم بترك الذنوب مع إقامتهم على دنياهم؛ فترك الدنيا فضيلة وترك الذنوب فريضة، فكيف يؤمر بالفضيلة من لم يقيم الفريضة؟ فإن صعب عليهم ترك الذنوب فاجتهد أن تحبب الله إليهم بذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وصفات كماله ونعوت جلاله، فإن القلوب مفطورة على محبته، فإذا تعلق بحبه هان عليها ترك الذنوب والاستقلال منها والإصرار عليها) (٤).

فحينما يذكرهم بالنعم إنما يريد أن ينقلهم نقلة كبيرة جدا، من الإقرار بالنعمة إلى معرفة المنعم المتفضل بها، وينقلهم من الحقيقة المشاهدة إلى الحقيقة غير المشاهدة، وهي عبادة الخالق وتوحيده توحيدا خالصا، فهو ينقلهم من الكفر والشرك والتعدد والوثنية إلى سمو الإيمان، وجمال التوحيد، وكمال الطاعة، وقمة الانقياد والتسليم.



(١) سورة النحل الآية (٧٢).

(٢) سورة القلم الآية (١٧).

(٣) سورة الكهف الآية (٣٢).

(٤) الفوائد لابن القيم ص ١٦٩.



٣- استخدام الحواس في النظر في الآيات الكونية:

لقد خلق الله للإنسان حواس متعددة، يستخدمها في اكتشاف الأشياء، ومعرفتها وفهمها وحسن تعامله معها، وهناك آيات كثيرة في القرآن الكريم، خاطبت الإنسان في النظر في نفسه والكون من حوله، واستخدام الحواس بالنظر والتفكير، تفتح آفاق العقل والقلب، في معرفه الخالق ووجوده ووحدانيته.

فوجه القرآن الكريم الإنسان إلى النظر في الآيات الكونية الكبيرة، الماثورة في الكون من

آيات، في السماوات والارض، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ

يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرَ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ

يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ إِلَيْهِمْ فِي آيٍ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ (٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ

فَوْقَهُمْ كَيْفَ بُنِيَتْهَا وَرَبِّيَتْهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ (٥).

(١) سورة الذاريات الآية (٢١).

(٢) سورة فصلت الآية (٥٣).

(٣) سورة يونس الآية (١٠١).

(٤) سورة الأعراف الآية (١٨٥).

(٥) سورة ق الآية (٦).

ووجه إلى النظر في الزروع والثمار وتنوعها واختلافها، رغم وحدة الماء والأرض والهواء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا تُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٩﴾ (١).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَوِّرَةٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزُرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنُونًا وَغَيْرَ صِنُونٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْثَلِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ (٢).

ووجه إلى النظر في أصل خلق الإنسان، من نطفة ثم علقه ثم مضغته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۗ ﴿٢٤﴾ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَبْيَأْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعَبْنَا وَقَضَبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيَّنَّاهَا وَمَخَلَّلْنَا ﴿٢٩﴾ وَحَدَّيْنَا عُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَكَهَمَهُ وَآبَا ﴿٣١﴾ مَتَّعْنَا لَكُمْ وَلِنُتَعِمَّكُمْ ﴿٣٢﴾ (٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ (٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾ (٥).

ووجه النظر في المخلوقات المسخرة والمذللة له، مما يركب ويؤكل، ويستفيد من لحومها وشحومها وجلودها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ

(١) سورة الأنعام الآية (٩٩).

(٢) سورة الرعد الآية (٤).

(٣) سورة عبس الآيات (٢٤-٣٢).

(٤) سورة الطارق الآيات (٥-٨).

(٥) سورة الذاريات الآية (٢١).



مُوتًا تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ طَعَنَكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ
 ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظُلُمًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ
 تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾
 ﴿١﴾

ووجه الإنسان البدوي إلى كل ما يتعامل معه يوميا، من مخلوقات في هذا الكون
 الواسع، وما تقع عليه عينه وبصره من آيات، يرى عجائبها وارتفاعها ورسوخها واتساعها، مثل
 الإبل والسماء والجبال والأرض قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ
 رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ ﴿٢﴾.

إن القرآن الكريم ينقلهم من الكتاب المقروء، إلى الكتاب المفتوح المشاهد، وهو الكون،
 إلى ما وراء ذلك من خالق قادر عظيم، لا يستطيع أحد من البشر على الإطلاق أن يخلق مثل ما
 خلق، أو يبدع في ما صنع، فهي آيات تدل على كمال القدرة، وطلاقة المشيئة الإلهية، ولا يستطيع
 أن يفقه ذلك، إلا من استخدام الحواس في مكانها الصحيح، ولذلك من بقي على الكفر يحاول أن
 يجد مبررا لنفسه وهو في النار يوم القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ
 ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا بِذُنُوبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾ ﴿٣﴾.



(١) سورة النحل الآيات (٨٠-٨١).

(٢) سورة الغاشية الآيات (١٧-٢٠).

(٣) سورة الملك الآيات (١٠-١١).

٤ - عدم تقليد الآباء والسابقين:

من الحواجز الرئيسة التي وقفت أمام دعوات الأنبياء، وكانت سنة متبعة، أن المدعويين كانوا يحتجون بأنهم يقلدون آبائهم في عقائدهم وعبادتهم ومعاملاتهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (١).

فجاء القرآن الكريم ودعاهم إلى أن نبذ هذا التقليد، والابتعاد عن المورثات التي تحول بين العقل والتفكير السليم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلَا لَوْ كُنَّا آبَاءًا وَهُمْ لَا يُعْقِلُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (٢).

فالتقليد وعدم التفكير، والجهل من أشد العوائق التي تحول بينهم وبين الاستجابة للدعوة والرسالة قديما وحديثا، وهذه عدة نهاج تؤكد ذلك.

ففي قصة نوح عليه السلام حينما دعا قومه إلى التوحيد، فلم يفكروا فيها وإنما كان ردهم مباشرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأُنِزْنَا بِمَا تَعَدْنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾﴾ (٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْعِجَّ بَشَرٌ إِذِ انبَسَّ مِنْهَا خِطَابٌ لِّمَنْ كَفَرَ مِنكُمْ بِمَا تَعَدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى اللَّهِ يَوْمَهُمُ الْحِسَابُ ﴿٦٣﴾﴾ (٤).

(١) سورة الزخرف الآية (٢٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٧٠).

(٣) سورة الأعراف الآية (٧٠).

(٤) سورة الأعراف الآية (٦٣).



فيصعب عليهم ترك ما كانوا عليه، أو ما كان عليه الآباء، فهم أحباب لما ألفوا، ولو كان خاطئاً، وأعداء لما جهلوا، ولو كان صواباً، وهو ما يسمى إلف العادة.

وفي قصة شعيب عليه السلام جاء ردهم المباشر مثل قوم شعيب، فقالوا له، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْنَا كَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿١١﴾ (٢).

وفي قصة إبراهيم عليه السلام حينما دعاهم إلى الحق وواجههم بضلال ما هم عليه، من عبادة الأصنام، وكان ردهم كما حكى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْتَ عَلَيْهِمْ نَبَأٌ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْزِلُهَا عَيْنَكُنَّ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ (٣).

لقد عنفهم القرآن الكريم في ردهم بهذه الحجة الواهية، التي لا يقبلها عاقل، حينما يردوا الحق، لا لعب فيه، وإنما لم يكن على عصر آبائهم السابقين، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِمْ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاؤُهُمْ لَأَيِّقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ (٤).

(١) سورة هود الآية (٨٧).

(٢) سورة هود الآية (٩١).

(٣) سورة الشعراء الآيات (٦٩-٧٤).

(٤) سورة البقرة الآية (١٧٠).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ

الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٣١﴾ (١).

إنه الجمود والتحجر الذي يعمي العين، ويصم الأذان، عن سماع الحق وتدبره.

لقد أراد القرآن الكريم أن يسري عن النبي ﷺ محمد في رفض قومه لدعوته، فبين أنها سنة متبعة عند المعرضين من قديم الزمان، وأنه تعلق ضعيف ومتهافت لا يقوى على المواجهة والرد بالحجة والبرهان، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَلِيَّ اللَّهِ شَكُّ فَأَطْرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفَرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ (٢).

إن عظمه القرآن الكريم في المخاطبة والدعوة هنا، أنه دعاهم إلى التجرد والتحرر من القيود، والموروثات السابقة، والتفكير المجرد، بعيدا عن المؤثرات الضاغطة، و أن الانسان مسؤول عن نفسه أولا قبل كل شيء، فإذا كان أبناؤهم على ضلال، وتبين لهم ذلك، فلماذا يستمروا في متابعتهم، ولهم عقل مستقل، وحساب منفرد، وحياتهم الشخصية، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفِرْدَىٰ ثُمَّ تَنْفَكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ حِجَّةٍ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ (٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣١﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ (٤).



(١) سورة لقمان الآية (٢١).

(٢) سورة إبراهيم الآية (١٠).

(٣) سورة سبأ الآية (٤٦).

(٤) سورة النجم الآيات (٣٩ - ٤١).



من الصعوبات التي تواجه الداعية:

قد لا يجد الداعية استجابة من المدعويين، وقد يجد معارضين لرايه، وقد يقفون أمامه وهم أقرب الناس إليه، فعلى الداعية عدم اليأس والقنوط، وعدم القلق والضجر، فهو مطالب بالبلاغ الواضح المبين، وليس مطالباً بالتناج.

ففي الحديث: "يَجِيءُ النَّبِيُّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الثَّلَاثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَغْتُمْ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: لَا، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُدْعَى مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ فَيُقَالُ لَهُمْ: هَلْ بَلَغْتَ هَذَا قَوْمَهُ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُقَالُ: وَمَا عَلِمْتُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: جَاءَنَا نَبِيٌّ، فَأَخْبَرَنَا أَنَّ الرَّسُولَ قَدْ بَلَغُوا فَصَدَّقْنَاهُ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا" (١).

وقد يتحقق خصومه من أنه على الحق المبين، لما معه من آيات واضحة، وأدله مقنعة، والصدق في اللهجة، والتجرد في التبليغ، وقد يقابل ذلك بالاضطهاد والاختبار في صور شتى، فله في يوسف أسوة حسنة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ بَدَأْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنْدَهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢). وله في سيد الدعاة أيضا أسوة طيبة، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ نَعَّمْنَا إِنَّهُ لِيَحْزَنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (٤).



(١) صحيح الجامع الألباني (٨٠٣٣) حديث صحيح، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سورة يوسف الآية (٣٥).

(٣) سورة الأنعام الآية (٣٣)

(٤) سورة النمل الآية (١٤).

أسئلة على ما سبق.

عرف بأصناف المدعوين وخصائصهم، وكيفية التعامل مع كل صنف منهم؟.

- ١ . أهل الكتاب (اليهود والنصارى).
- ٢ . المشركون والوثنيون.
- ٣ . الجاحدون أو الملحدون (الشيوعيون).
- ٤ . المنافقون.
- ٥ . الملاً.
- ٦ . جمهور الناس من العوام.
- ٧ . المسلمون العصاة.
- ٨ . المسلمون الطائعون.
- ٩ . بين الملامح العامة لمنهج القرآن الكريم في الدعوة.



(٤) المبحث الرابع: مادة الدعوة.

العقيدة، العبادة، المعاملات، الأخلاق.

الغرض من الموضوع:

أن يتعرف الدارس على معنى هذه الكلمات السابقة، التي يتكون منها الإسلام، ويقوم بدراسة دراسة مجمل ومفصلة، لأنها مادة الدعوة، التي يريد تبليغها للمدعوين.

المقصود بإعادة الدعوة:

المواد التي تضمنها الإسلام وهي العقيدة، والعبادة، والمعاملات والأخلاق، وهي الرسالة التي بلغها الرسول للصحابة، وتشمل الإسلام كله، إجمالاً وتفصيلاً، بشموليته وكماله، بلا زيادة أو نقص، أو تحريف أو تغيير، أو تبويض أو تجزئة، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٢٠٨) (١).

مقدمة:

العقيدة الإسلامية محل اتفاق عند جميع علماء المسلمين قديماً وحديثاً، ولم يشذ في ذلك إلا من خرج عن الطريق، وانحرف ذات اليمين أو ذات اليسار، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّوْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (١٥٣) (٢).

(١) سورة البقرة الآية (٢٠٨).

(٢) سورة الأنعام الآية (١٥٣).

ويقول ابن القيم مبينا أن الصحابة لم يختلفوا في أصول العقيدة والدين (أما الصحابة فلم يتنازعو في مسألة واحدة من مسائل وأصول العقيدة كالأسماء والصفات والأفعال وغيرها بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم لم يسوموها تأويلا ولم يحرفوها عن مواضعها تبديلا ولم يبدوا لشيء منها إبطالا ولا ضربوا لها أمثالا ولم يدفعوا في صدرها وأعجازها ولم يقل أحد منهم يجب صرفها عن حقائقها وحملها عن مجازها بل تلقوها بالقبول والتسليم وقابلوها بالإيمان والتعظيم وجعلوا الأمر فيها كلها أمرا واحدا وأجروها على سنن واحد ولم يفعلوا كما فعل أهل الأهواء والبدع حيث جعلوها عضيضين وأقروا بعضها وأنكروا بعضها من غير فرقان مبين مع أن اللازم لهم فيما أنكروه كاللازم فيما أقروا به وأثبتوه^(١)).

ويجب على الداعية حينما يدعو إلى الإسلام أن يبلغه بكامله وشموله وجميع نواحيه، فهو دين شامل، محيط بجميع شؤون الحياة، عقيدة وعبادة، وأخلاقا ومعاملات، ثم يبدأ بما يراه مناسبا حسب الأولويات مع طبيعة المدعو.

ولقد أمر الله ﷻ المسلمين بالتمسك بجميع شرائع الإسلام كلها، والعمل بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلَابِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾^(٢). أي تبليغ الإسلام كله، وشرائع الدين، وشعب الإيمان، ولا يترك منه شيئا، وما لا يستطيع أن يبلغه منه، يدركه بنيته الصالحة حينما يتاح له ذلك.

وشعب الإيمان تتفرع عنها أعمال القلب، واللسان، والبدن، وهي كلها تدور حول (العقيدة، والشريعة، والمعاملات، والأخلاق).

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين للإمام ابن القيم الجوزي ٤٩/١ بتصرف.

(٢) سورة البقرة الآية (٢٠٨).



ولقد وبخ الله ﷻ بني إسرائيل حينما عملوا ببعض تعاليم التوراة، وتركوا بعضها، فعاقبهم وذمهم وتوعدهم بالخزي في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (٨٥) ﴿١﴾.

فهذا بلا شك تحذير للأمة المسلمة، أن تسير خلف الأمم السابقة في التجزئة والتبعض، والإيمان ببعضه، والكفر ببعضه الآخر، حتى لا يلحقهم ما لحق بغيرهم من عذاب وعيد. ومن حق المدعويين أن يتعرفوا على حقيقة الدعوة الإسلامية، كما جاءت من مصادرها الأصلية، وكما جاء بها محمد بن عبد الله وكما حملها الصحابة، والسلف الصالح، يتعرفون على أهدافها غاياتها ووسائلها، فوضوح هذه النقاط يساعد على فهمها واستيعابها ليتضح الحق، وينكشف الباطل قَالَ تَعَالَى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٤٢) ﴿٢﴾.

ومن ثم يأتي القرار النهائي في قبولها أو رفضها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ (٢٩) ﴿٣﴾.

إن الإسلام ينتشر بقوته الذاتية، وسمو تعاليمه ومبادئه، وصادف قلوبا كانت مهياة لاستقباله من الصحابة، فهو دين الفطرة، حنت إليه قلوبهم، وهفت إليه نفوسهم، فهو دين سهل، خال من التعقيد والإبهام.

(١) سورة البقرة الآية (٨٥).

(٢) سورة الأنفال الآية (٤٢).

(٣) سورة الكهف الآية (٢٩).

الإسلام لم ينتشر بالقوة، ولا بالسيف، ولا بالسلاح، ولا بالمال، ولا بالإكراه، لأن له قانونا حاكما وضابطا، وهو كما جاء في القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢٥٦). والإسلام قاتل الفرس والروم من أجل: (منع الفساد في الأرض، وإقرار العدل العدل بين الناس، والقضاء على عسف الحكام، واستبعاد طوائف البشر، تلك الأمور كانت منتشرة بين دولتي الفرس والروم)(٢).

لقد انتشر الإسلام لأنه اعتمد على العقل والإقناع، والتلطف والرفق، ولم يعتمد على البطش والجبروت، بالإضافة إلى النظم الاجتماعية الجائرة التي كانت سائدة في العالم قبل ظهور الإسلام، فكانت تعاليمه هي المنقذ الوحيد، من الشقاء والآلام والمعاناة، التي كانت تعيشها البشرية في تلك الفترة.

إن الشعوب الغربية الآن تستمد رؤيتها عن الإسلام من واقع المسلمين الضعيف، حيث يرون المسلمين انصرفوا عن معالي الأمور، وانشغلوا بالشهوات، وحطام الدنيا الفاني، بالإضافة إلى الفرقة، والتشتت الذي يعيش فيه العالم الإسلامي بعد سقوط الخلافة الإسلامية، كما أنهم عالة على الغرب في كثير من الصناعات والتقنيات الحديثة.

وجوانب الإسلام وأنظمتها يمكن إجمالها في الجوانب التالية: الجانب العقدي، الجانب

التعبدية، والجانب الأخلاقي، والجانب القضائي أو الحسبة، والجانب الإداري، والجانب

السياسي، والجانب الاقتصادي، والجانب الاجتماعي أو الأسرة والأولاد.



(١) سورة البقرة الآية (٢٥٦).

(٢) كيف نبلغ الدعوة الإسلامية إلى الأمم الأجنبية د/ جمعة الخولي ص ٤٩.

أولاً: العقيدة.

معنى العقيدة الإسلامية:

تعريف العقيدة في اللغة: مأخوذة من العقد والتوثيق، وفيها معنى الربط والإحكام، وتستخدم في الأمور الحسية والمعنوية، كعقد الحبل، وعقد البيع وعقد النكاح.

وفي الاصطلاح: الإيمان والتصديق الجازم الذي تصدق به النفس، ويطمئن إليه القلب، ويكون يقينا عند صاحبه، فيما يتعلق بالغيبيات، مثل الإيمان بالله، والملائكة والكتب، والأنبياء، واليوم الآخر، والقضاء والقدر.

ومن المصطلحات المرادفة للعقيدة:

التوحيد: وهو إفراد الله بالعبادة حسب ما شرع الله، مع الجزم بانفراده في أسمائه، وصفاته، وأفعاله، وذاته، فلا نظير له، ولا مثيل له.

الإيمان: هو اعتقادات باطنة، وأعمال ظاهرة، اعتقاد بالجنان، ونطق باللسان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية.

والإيمان أيضا: معناه الاعتقاد والجازم بأن الله تعالى هو رب كل شيء، ومالك كل شيء، وخالق كل شيء، وهو وحده الذي يستحق العبادة، وهو متصف بكل صفات الكمال، والمنزه عن كل نقص.

أصول الدين: ويعني القواعد العامة التي تجمع بين التصديق واليقين، وما يترتب عليه

من الامتثال والتسليم.

منهج السلف الصالح في تلقي العقيدة الإسلامية:

١. اتباع ما جاء في الكتاب والسنة ظاهرا وباطنا، والتسليم لهما.
٢. اتباع ما كان عليه الصحابة عموما، والخلفاء الراشدون خصوصا.
٣. الرجوع عند التنازع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، وفقا لفهم السلف الصالح.
٤. اعطاء العقل الصريح مكانته، فهو مناط التكليف، ويوافق النقل الصحيح.
٥. الأخذ بما أجمع عليه علماء الأمة، وفي الحديث: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ أُمَّتِي - أَوْ قَالَ: أُمَّةَ مُحَمَّدٍ - عَلَى ضَلَالَةٍ، وَيُدُّ اللَّهُ عَلَى الْجَمَاعَةِ" (١).

شروط لا إله إلا الله:

(العلم المنافي للجهل - اليقين المنافي للشك - القبول المنافي للرد - الانقياد المنافي للإعراض - الصدق المنافي للكذب - الإخلاص المنافي للشرك - المحبة المنافية للكرهية) (٢).

والإيمان بالله يتضمن: الإيمان بوجوده ووحدانيته، وربوبيته، وألوهيته، والأسماء والصفات.

١- توحيد الربوبية: معناه الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو رب كل شيء، ولا رب غيره، فالرب هو المالك والمدير والخالق والمحي والمميت، والنافع والضار، ومجيب الدعاء عند الاضطرار، والمعطي والمنع، وله الخلق والامر، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن كَرِهْتَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢١٦٧) وقال غريب من هذا الوجه، عن عبدالله بن عمر وصحيح الجامع للألباني (١٨٤٨).

(٢) انظر الموسوعة العقدية باختصار وتصرف.



وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ
مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهُ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴿١﴾.

٢- توحيد الألوهية: معناه الاعتقاد والجزم بأن الله تعالى هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده ﷻ بالعبادة، التي تعني الانقياد له والخضوع، وقيل إكمال الحب مع كمال الخضوع، وخلاصه توحيد الألوهية: إخلاص العبادة لله وحده، في باطنها وظاهرها، بحيث لا يكون شيء فيها لغيره.

٣- توحيد الأسماء والصفات: معناه الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفرد عن جميع الكائنات، وذلك بإثبات ما أثبتته لنفسه، أو أثبتته له رسوله، من غير تحريف الألفاظ والمعاني، ولا تعطيلها بنفيها، ولا تكيفها بتحديد كفيتهما، ولا تشبيهه بغيره.

والإيمان بوجوده يدل على ذلك الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

أما الفطرة: فكل إنسان مفطور على معرفة وجود الله، والإيمان به، أي يولد مستعداً لقبول الإسلام، والتأثر به، ما لم يكن هناك عوائق. وفي الحديث: (كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَدُّ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا مَثَلِ الْبَيْهَمَةِ تُنْتَجِجُ الْبَيْهَمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاءَ) (٢).

المخلوقات: لا بد لها من خالق أو جدها وليست صدفة، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ

أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴿٢﴾.

(١) سورة الأعراف الآية (٥٤).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٣٨٥) عن أبي هريرة ؓ.

(٣) سورة الطور الآيتان (٣٥-٣٦).

ومن الأدلة الحسية: معجزات الأنبياء، فهي أكبر دليل على وجود من أرسلهم، وكذلك إجابة الله لدعاء الداعين، وغوث المكروبين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمًا خَبِيرًا ۚ ﴾ (٦٢) ﴿ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيِّنَ يَدَى رَحْمَتِهِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمًا خَبِيرًا ۚ ﴾ (٦٣) ﴿ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمًا خَبِيرًا ۚ ﴾ (٦٤) ﴿ (١).



من أولويات الدعوة إلى الإسلام مع غير المسلمين:

(١) التركيز على التوحيد الخالص في الدعوة:

ومن أدلة الدعوة إلى التوحيد الخالص الذي هو رسالة جميع الأنبياء والمرسلين، منذ آدم -عليه السلام- حتى خاتم النبيين محمد ﷺ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٢٥) ﴿ (٢).

يقول الطبري: (وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم، إلا نوحى إليهم أنه لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي فاعبدون، فاخلصوا ليا العبادة وأفردوا ليا الألوهية) (٣).

(١) سورة النمل الآيات (٦٢ - ٦٤).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٢٥).

(٣) تفسير الطبري ١٢/٩.



فدين الأنبياء واحد وهو التوحيد الخالص لله ﷻ رغم اختلاف فروع الشرائع تبعاً لظروف عصر كل نبي، وفي الحديث: "أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ" (١).

وقد وردت نصوص كثيرة مفصلة في القرآن الكريم، تبين أن كل نبي من الأنبياء دعا قومه إلى عبادة الله وحده وطاعته، مثل ما جاء على لسان الأنبياء في سورة الأعراف، والشعراء، والعنكبوت، ثم ركز بعد ذلك على أهم خلل أصاب قومه وطلبهم بإصلاحه.

فالتوحيد الخالص هو أساس الإيمان، الذي هو غاية الأنبياء والمرسلين، في دعوة الناس جميعاً إلى الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (٢).

والتوحيد الإسلامي هو مقتضى الفطرة البشرية، وحقائق التوحيد مركوزة داخل فطرة الإنسان، فمن السهل التذكير والإقناع، خاصة إذا غابت المؤثرات الخارجية، والعقائد الموروثة عن الآباء والأجداد، حتى لا تكون علة في عدم الاستجابة.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَيَعْقِلُونَ سَيِّئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٣٤٤٣) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) سورة النحل من الآية (٣٦).

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٠).

إن تطهير القلب من الشرك والوثنية، هو أهم دور ينبغي التركيز عليه في الفترة الأولى من الالتزام بالإسلام، حتى تكون البداية صحيحة وسليمة، فمن صحت بدايته سلمت نهايته، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١).

لقد ذكر عدد كبير ممن هداهم الله إلى الإسلام، أن السبب الرئيس في دخولهم للإسلام وقبولهم له كدين جديد، إنما هو التوحيد الخالص الذي جاء به الإسلام، وإفراد الله ﷻ وحده بالعبادة والخضوع دون سواه.

ومن أساسيات الإيمان التي ينبغي التركيز عليها مع المدعوين، غرس الاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ هو رب كل شيء، ومالك كل شيء، ومدبر كل شيء، ومصرف كل شيء، ولا يقع في ملك الله، إلا ما أَرَادَهُ اللهُ ﷻ وأنه وحده المستحق للعبادة، والخضوع، والسمع والطاعة، وآجال العباد وأرزاقهم بيده، وأنه وحده هو المصرف لشئون هذا الكون.

وينبغي تعليمه أنواع التوحيد، من الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وتنزيه الله ﷻ عن مشابهته للمخلوقات في ذاته وصفاته، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢).

وكذلك من متطلبات الإيمان إخلاص المحبة لله ﷻ وإفراجه وحده بالدعاء، والعبادة، والتوكل، والرجاء، والخوف، وكل صفات الكمال والجمال، التي تليق بذاته ﷻ قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (٣).

(١) سورة الكهف من الآية (١١٠).

(٢) سورة الشورى من الآية (١١).

(٣) سورة البقرة من الآية (١٥٦).



لقد ركز الأنبياء جميعاً في دعوة قومهم على التواجد الخالص لله تعالى منذ آدم إلى خاتم النبيين ﷺ فالنبي ﷺ أيضاً حينما صدع بالدعوة في قريش قال لهم على الملأ، وفي مجالسهم الخاصة، فقال له عمه أبو طالب: (يا ابن أخي ما تريد من قومك؟ قال: أريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب، وتؤدّي إليهم العجم الجزية، قال: كلمة واحدة؟ قال: كلمة واحدة فقال: يا عم قولوا: لا إله إلا الله. فقالوا: لها واحداً؟ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق) (١).

وكذا حينما أرسل النبي ﷺ علياً إلى فتح خيبر في القصة المشهورة فطلب منه أن يبدأهم بالشهادتين، ففي الحديث: (لأُعطيَنَّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله،... فقال علي: يا رسول الله، أقاتلهم حتى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فقال: انْفُدْ عَلَيَّ رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزَلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ) (٢).

وحينما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن طلب منه أيضاً أن يبدأهم بكلمة التوحيد ففي الحديث: "بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَيْكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَيْكَ، فَأَعْلِمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ فَتَرُدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَدَيْكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ" (٣).

ويشترط في من يبلغ الدعوة من العوام أن يكون عالماً بما يدعو إليه وفاهماً لما يقوم بتبليغه فيها صحيحاً تلقاه من العلماء الثقات فيحصر نفسه فيما يعلم فقط ولا يتجاوزها إلى غيره من عنده

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٢٣٢) حديث حسن عن عبد الله بن عباس ؓ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٢١٠) عن سهل بن سعد الساعدي ؓ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٩) عن معاذ بن جبل ؓ.

أَوْ مِنْ تَلْقَاءِ نَفْسِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذُنُوبِكُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَكِّكُمْ﴾ (١٩) ﴿١﴾.

فالعلم قبل العمل، ورب مبلغ أوعى من سامع، ورب حامل فقهه إلى من هو أفقه منه.

وينبغي للداعية أن لا يتحدث فيما لا يعلمه من أمور الدين، وإذا كان لا يدري أو لا يعلم يقول لا أدري أو لا أعلم، ويسأل المختصين في هذه المسألة، فمن الأمور المنهي عنها القول على الله بغير علم، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بغيرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُزَلِّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ﴾ (٣٣) ﴿٢﴾.

فالآية تفيد تحريم القول في الدين أو تبليغه عن الله بدون علم أو دليل، من آية عن الله، أو حديث عن رسوله حتى لا يقع في الكذب على الله ورسوله، دون أن يدري وهو من الكبائر المهلكة، وفي الحديث: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ مُتَعَمِّدًا، قاله مرتين، وقال مرة: مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا" (٣).



وبعد الشهادتين تأتي الدعوة إلى أركان الإسلام والإيمان، فأركان الإسلام الخمسة، هي الأعمدة الرئيسة التي يقوم عليها الإسلام، وبنى على قواعدها، وأوها النطق بالشهادتين، الذي يبدأ به الدخول في الإسلام، فمفتاح الدخول في الإسلام يكمن في كلمة التوحيد، التي هي نفي وإثبات، نفي الألوهية عن ما سوى الله ﷻ وإثباتها لله وحده، وتأتي باقي الأركان مباشرة عقب

(١) سورة محمد الآية (١٩).

(٢) سورة الأعراف الآية (٣٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٠٨) عن أنس بن مالك ؓ.



ذلك، ويجب تعلمها وأدائها على الوجه الصحيح، وهى الصلاة والزكاة والصوم وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: "بنى الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، لمن استطاع إليه سبيلا" (١).

وفي حديث جبريل المشهور عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم، اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا" قال: صدقت. فعجبنا له، يسأله ويصدقه؟.

قال: فأخبرني عن الإيمان؟. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة؟. قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أماراتها؟. قال: "أن تلد الأم ربثها، وأن ترى الحفاة العراة العالة

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. □.

رعاء الشاء يتناولون في البيان "ثم انطلق، فلبثت مليا، ثم قال: "يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: "الله ورسوله أعلم" قال: فإنه جبريل، أتاكم يعلمكم دينكم" (١).

فأركان الإسلام والإيمان هي الأسس والدعائم التي يقوم عليها الإسلام، فإذا كانت الأسس قوية في نفس المسلم الجديد، وواضحة في عقله، وراسخة في قلبه، كان ذلك عاملا قويا في ثباته على الإسلام، ودافعا للتحلي بأخلاقه وآدابه، ومن ثم جاء التركيز في الأحاديث السابقة على أركان الإسلام والإيمان والإحسان، التي هي أساس لما بعدها من شعائر الإسلام.



٢ _ الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة يعني: الاعتقاد الجازم بوجودهم، وأنهم خلق من مخلوقات الله، خلقهم الله من نور، وجبلوا على العبادة والطاعة المطلقة لله ﷻ قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٦) (٢).

والإيمان بوجودهم ركن من أركان الإيمان، فمن أنكر وجودهم فقد كفر بإجماع المسلمين، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ءَأَلْكِتَبِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ءَأَلْكِتَبِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ءَأَلْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (١٣٦) (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب ؓ.

(٢) سورة التحريم من الآية (٦).

(٣) سورة النساء الآية (١٣٦).



والإيمان بوجودهم وعملهم جزء من الإيمان بالغيب، فهو من مكملات الإيمان أيضا، فلا يصح أو يكتمل الإيمان بدون الإيمان بهم، من غير زياده أو نقص أو تحريف، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُمِيتُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (١).



صفاتهم الخلقية، خلقوا قبل آدم، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

خلقهم الله من نور، (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ) (٣).

الملائكة ليس لها جسم مادي يدرك بالحواس الإنسانية، وليسوا كالبشر، لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتزاوجون، مطهرون من الشهوات الحيوانية، منزهون عن الآثام والاختفاء، لهم القدرة التمثيل بصور البشر، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (٤) فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (٥).

(١) سورة البقرة الآية (٣).

(٢) سورة البقرة الآية (٣٠).

(٣) مسلم (٢٩٩٦). عن عائشة أم المؤمنين

(٤) سورة مريم الآية (١٦-١٧).

لهم اجنحه يتفاوتون في اعدادها، قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١).

علاقتهم بالله بالكون والانسان:

علاقه العبودية الخالصة، القائمة علي الطاعة، والامتثال والخضوع المطلق لأوامر الله، لا يقدرّون علي شيء من تلقاء أنفسهم، ولا يستطيعون أن يقترحوا علي الله شيئاً بفضل قوتهم، وهم منقطعون دائماً للعبادة وتنفيذ أوامر الله، قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (٢).

الملائكة ليست آلهة مع الله، ولا ذرية له، وليسوا بنات له، كما يعتقد المشركون، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبْدُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتَكُنُّبُ شَهِدَاتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ (٣).

من عبدهم واستعان بهم أو اعتقد أن لهم من الأمر شيئاً فقد أشرك مع الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّنَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤). ولهم علاقة بالله ﷻ في تلقي الأوامر منه، وتبليغها للرسل، من خلال الوحي، وتحقيقها في الكون في

(١) سورة فاطر الآية (١).

(٢) سورة التحريم من الآية (٦).

(٣) سورة الزخرف الآية (١٩).

(٤) سورة آل عمران الآية (٨٠).



تنفيذ إرادة الله ومشيئته في كل شيء، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (١).

ومنهم الموكلون بالإنسان من قبل ميلاده حتى وفاته، من أول كونه نطفه في بطن أمه وكتابه رزقه وعمله وأجله وشقاوته وسعادته، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَثِيرِينَ ۝ يِعْمُونَ مَا نَأْمُرُونَ ۝ ﴾ (١١) (٢).

وفي الحديث: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ، أَوْ سَعِيدٍ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنْ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا" (٣).

ومنهم الموكلون بأمور الموت وما بعده، من السؤال والحساب، والنفخ في الصور، وقيام القيامة، وأحوال الموقف، والجنة والنار، إلى غير ذلك من أمور اليوم الآخر. قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَتُوفَّئِكُمْ مَلَكَ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝ ﴾ (١١) (٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ

(١) سورة غافر من الآية (٧٨). وانظر سورة الرعد الآية (٣٨).

(٢) سورة الانفطار الآيات (١٠-١٢).

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود.

(٤) سورة السجدة الآية (١١).

فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿١١﴾ ﴿١﴾.

ومنهم الموكلون بتنفيذ إرادة الله في تدبير أمور الكون ورعايته بكل ما فيه من مخلوقات وكل ما فيه من حركة ونشاط، وما فيها من قوانين ونواميس، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلْتَمِزْتُمْ غَرْقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطَا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا ﴿٣﴾ فَالَسَّيِّغَاتِ سَبَقًا ﴿٤﴾ فَالْمَدِيرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾﴾ (٢).

ومنهم الموكلون بالمؤمنين فهم مسخرون للدعاء للمؤمنين بالاستغفار لهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾﴾ (٣).

ومنهم الموكلون بمراقبه اعمال العباد وكتابتها واحصائها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ (٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَثِيرِينَ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ (٥). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۖ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (٦).



(١) سورة الأنعام الآية (٦١).

(٢) سورة النازعات الآيات (١ - ٥).

(٣) سورة غافر الآية (٧).

(٤) سورة ق الآيات (١٦ - ١٨).

(٥) سورة الانفطار الآية (١٠ - ١٢).

(٦) سورة الزخرف الآية (٨٠).



٣_ الإيمان بالكتب الإلهية:

هناك كتب إلهية أنزلها الله ﷻ على الأنبياء السابقين، فيجب على المسلم الإيمان بها، أنها من عند الله ﷻ وأن فيها مصالح الناس، ومن بين هذه الكتب:

-التوراة: وهي التي أنزلها الله على موسى ﷺ وقد شهد لها القرآن الكريم بأنها من عند الله، وأن فيها الهدى والنور، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً ﴾ (١).

وهي في صورتها الأصلية كتاب منزل من عند الله، وفي صورتها الحالية دخلها التحريف، والتبديل، والتغيير، والحذف، والإلحاق، وأصبحت محرفة ومختلفة عن توراة موسى ﷺ وقد شهد القرآن بذلك أيضا قال تعالى: ﴿ أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥). وقال تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٦).

- الإنجيل: وهو كتاب من عند الله ﷻ أنزله على عبده ونبيه عيسى ﷺ جاء ليصدق التوراة، وكان يشتمل على مواعظ لهداية الناس، وتخفيف لبعض أحكام التوراة، قال تعالى:

(١) سورة المائدة من الآية (٤٤).

(٢) سورة البقرة الآية (٧٥).

(٣) سورة البقرة الآية (٧٩).

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۚ وَعَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ۚ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (١).

-والأنجيل: الموجودة حاليا بأيدي النصارى، تختلف تماما عن إنجيل عيسى عليه السلام فهذه كتب تاريخية، نسبت لأتباع عيسى عليه السلام كتب كل واحد منهم قصة عيسى عليه السلام كما رآها، والحقيقة أنها ليست من عند الله، وليست مكتوبة بوحي ولا إلهام، ولا علاقة بينها وبين الإنجيل الأصلي المنزل من عند الله تعالى.

- الزبور: هو كتاب أنزل من عند الله على نبي الله داود عليه السلام قال تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ (٢).

وهو عبارة عن أدعية وصلوات وتراتيل، كان يقرأها داود عليه السلام ويتعبد بها إلى الله تعالى في صلاته.

- صحف إبراهيم وموسى: وقد ذكرها الله في القرآن الكريم في موضعين، قال تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يَبْتَأِ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ﴿٣٧﴾﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (٤). وهى عبارة عن حكم ومواعظ لزرر القلوب القاسية، وتنبية الناس إلى العمل للأخرة، وما بعد الموت.

(١) سورة المائدة الآية (٤٦).

(٢) سورة الاسراء من الآية (٥٥).

(٣) سورة النجم الآيتان (٣٦-٣٧).

(٤) سورة الأعلى الآيتان (١٨-١٩).



-القرآن الكريم: هو كلام الله ﷻ المنزل على خاتم الرسل محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام المتعبد بتلاوته، والذي تكفل الله بحفظه إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ (١).

كما أنه نسخ جميع الكتب السابقة، فقد ضمنه الله ﷻ خلاصة تعاليم الكتب الإلهية السابقة، وأضاف أحكاماً جديدة لم تكن موجودة من قبل، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ (٢).

وهو كتاب معجز، يعجز الإنس والجن عن الإتيان بمثله، أو آية من آياته، لأنه كلام الله تعالى: ﴿ نَزَّلْنَا مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ (٤).

وهو كلمة الله ﷻ الأخيرة إلى الناس أجمعين، إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (٥).



(١) سورة الحجر الآية (٩).

(٢) سورة المائدة من الآية (٤٨).

(٣) سورة فصلت من الآية (٤٢).

(٤) سورة الإسراء الآية (٨٨).

(٥) سورة الفرقان الآية (١).

٤ _ الإيمان بالأنبياء والرسل جميعا:

من أركان الإيمان التي ينبغي التركيز عليها مع المدعوين بالإيمان بالأنبياء والمرسلين جميعا، أي الإيمان بأن الله تعالى اصطفاهم واختارهم لتبليغ رسالته إلى الناس، فيجب الإيمان بهم إجمالا وتفصيلا، سواء ذكروا في القرآن أم لم يذكروا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ (١).

ويجب تصديق جميع الأنبياء في كل ما أتوا به من عند الله ﷻ دون تفرقة بين رسول وآخر، فمن آمن بموسى ولم يؤمن بمحمد ﷺ فليس بمؤمن، وكذا من آمن بعيسى ولم يؤمن بمحمد ﷺ فليس بمؤمن، فالتفرقة بين الرسل في الإيمان كفر قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿١٨٥﴾ (٣).

(١) سورة غافر من الآية (٧٨).

(٢) سورة النساء الآيتان (١٥٠-١٥١).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٨٥).



كما يجب طاعة الأنبياء ومحبتهم، والإيمان بعصمتهم، وأن الله أيدهم بالمعجزات الباهرة، التي تؤكد صدقهم، وتدفع الناس إلى الإيمان بهم.

ويجب الإيمان بأن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فليس بعده نبي ولا رسول، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ۝٤٠ ﴾ (١).

وفي الحديث: "إِنَّ لِي أَسْمَاءَ، أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُخَشِّرُ النَّاسَ عَلَى قَدَمِيَّ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ" (٢).



٥ _ الإيمان باليوم الآخر:

الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان، ومعناه الإيمان بأن هناك يوماً بعد الموت، يبعث الله الناس جميعاً، فيحاسبهم على أعمالهم، وكثيراً ما نجد آيات القرآن الكريم تربط بين الإيمان بالله ﷻ واليوم الآخر بصورة مباشرة، قال تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ الْآلِرَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۝٣ ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۝١٨ ﴾ (٤).

(١) سورة الأحزاب الآية (٤٠).

٢ الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٣٥٤) عن جبير بن مطعم.

(٣) سورة البقرة الآية (١٧٧).

(٤) سورة التوبة الآية (١٨).

وقلما نجد سورة من سور القرآن الكريم تخلو من الحديث عن ذلك اليوم، وما فيه من تبعات، لأن الإيمان به فيه أثر كبير في حياة الإنسان، وتوجيه سلوكه، وانضباطه في الحياة، والتزامه بالعمل الصالح، وتقوى الله ﷻ فهو يقوى الوازع النفسي عند المؤمن، قال تعالى:

﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ (١).

فالله ﷻ خلق الإنسان لرسالة حددها له، ولا بد أن يأتي يوم ليسأل فيه الخالق المخلوق عن هذه الرسالة، هل أداها أم لا؟.

وكذلك الحياة فيها الظالم والمظلوم، وقد يموت المظلوم دون أن يأخذ حقه، فهل يضيع حق المظلوم، ويتجبر الظالم؟ فلا بد أن يأتي يوم يأخذ المظلوم فيه حقه من الظالم، ويحكم الله بين العباد جميعا، قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (١١٥)

(٢).

ومن لوازم الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بفتنة القبر، وسؤال الملكين، وعذاب القبر، ونعيمه، وأشراط الساعة، وقيام القيامة، والبعث، والحشر، والعرض، والحساب، والميزان، والحوض، والصراط، والجنة والنار.

والأدلة الشرعية والعقلية والمنطقية والواقعية على وجوب الإيمان باليوم الآخر كثيرة جدا، وهي مفصلة في كتب العقيدة، لمن أراد التوسع في أدلتها التفصيلية.



(١) سورة الأعراف الآيتان (٨-٩).

(٢) سورة المؤمنون الآية (١١٥).



٦ _ الإيمان بالقضاء والقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر: هو أحد أركان الإيمان الستة، وقد ورد ذكرهما في القرآن الكريم، قال تعالى ﴿إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ (١). وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾ (٢). والقضاء يعني: أن الأمر كله بيد الله ﷻ، فله طلاقة القدرة الإلهية، فهو يدبر أمور الكون كله، بكل ما فيه من مخلوقات، ويعلم حاضرها ومستقبلها، ولا يستطيع أحد من الناس أن يرد قضاءه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ (٣).

والقدر يعني: أن الله ﷻ يعلم ما سيفعله العباد، وأن مشيئته نافذة، وفي الحديث، قوله ﷺ في التسليم بالقضاء والقدر: "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً" (٤).

والقدر كله خير للإنسان، وإن بدا له عكس ذلك، قال تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١٦﴾﴾ (٥).

ولقد علم النبي ﷺ الأمة الإيمان بعقيدة القضاء والقدر من خلال حديث ابن عباس ؓ يقول: كنت ردف النبي ﷺ فقال: "يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت

(١) سورة القمر الآية (٤٩).

(٢) سورة الرعد الآية (٨).

(٣) سورة يسن الآية (٨٢).

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود (٥٠٧٥) عن السيدة فاطمة ؓ.

(٥) سورة البقرة الآية (٢١٦).

على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" (١).

والإيمان بعقيدة القضاء والقدر يحزر الإنسان من العبودية للبشر، ويجعله متعلقا بالله ﷻ وحده، ويعيش مطمئنا في الحياة، قانعا بما أعطاه الله من نعم، يطهر قلبه من الجبن والخوف، لأن أجله ورزقه وأموره كلها من عند الله، لا يعلمها إلا هو، قال تعالى: ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ (١١) ﴾ (٢).



وماذا بعد أركان الإسلام والإيمان؟.

ويأتي بعد ذلك التركيز على أكبر مرض يعاني منه مجتمع المدعوين، مثل هود عليه السلام نبي قومه عن ظلم الناس، والتبذير في المال، وإنفاقه في غير موضعه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَبْنُونَ بُيُوتًا لَكُمْ رِبْعًا أَيْةً تَعْبَثُونَ ۝ (١٢٨) وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝ (١٢٩) وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝ (١٣٠) فَانقُتُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝ (١٣١) ﴾ (٣).

ولوط عليه السلام نبي قومه عن إتيان الذكران، لما في ذلك من مخالفة الفطرة، وتدمير المجتمع، قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعُلَمِيِّينَ ۝ (١٣٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ۝ (١٣٦) قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهَ يَلُوطُ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ۝ (١٣٧) قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ۝ (١٣٨) رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٢٥١٦) وقال حسن صحيح، عن عبد الله بن عباس عليه السلام.

(٢) سورة التغابن الآية (١١).

(٣) سورة الشعراء الآية (١٢٨-١٣١).



يَعْمَلُونَ ﴿١٦٦﴾ فَجِئْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا
فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ ﴿١﴾

وشعيب عليه السلام نهى قومه عن تطفيف الكيل، والغش في الميزان، وظلم الناس في البيع والشراء، والإفساد في الأرض، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ تَكْثُفًا مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تُبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ﴿٢﴾

وموسى عليه السلام أنقذ بني إسرائيل من العبودية لفرعون، ومن الذل والهوان والسخرة، وقادهم إلى التحرير والحرية، والحياة الكريمة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾﴾ ﴿٣﴾



(١) سورة الشعراء الآيات (١٦٥-١٧٤).

(٢) سورة الأعراف الآية (٨٥).

(٣) سورة الأعراف الآيتان (١٠٤-١٠٥).

ثانياً: العبادة.

العبادة تعني: الطاعة والتذلل والخضوع، وتعني تعظيم الله والرضا والقبول والتسليم له، في كل ما يصدر عنه. والعبادة لها معنيان : معنى خاص، ومعنى عام.

فأما المعنى الخاص: فهي تشمل الأركان الأربعة: (الصلاة والصيام والزكاة والحج) وهي جزء من العبادة بمعناها العام.

وأما المعنى العام: فهي تشمل كل ما يصدر عن المسلم في اليوم والليلة من قول أو فعل يتعلق بأمور الدين، والدنيا إذا حسنت فيه النية.

وعرف ابن سيده العبادة بأنها: (طاعة الله على جهة الخضوع والتذلل)(١).

ويقول ابن تيمية-رحمه الله- في تعريف العبادة بمعناها العام: (العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث والأمانة وبر الوالدين وصلة الأرحام والوفاء بالعهود والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد للكفار والمنافقين والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الأدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له والصبر لحكمه والشكر لنعمه والرضى بقضائه والتوكل عليه والرجاء لرحمته والخوف من عذابه وأمثال ذلك هي من العبادة لله)(٢).

(١) المخصص لابن سيده ٩٦ / ٤.

(٢) رسالة العبودية لابن تيمية ص ٣٨.



والفرق بين العبادة والطاعة، أن العبادة لا تكون إلا للخالق وحده، والطاعة تكون للخالق وغيره، والعبادة لا بد فيها من الحب والخضوع والتذلل، بينما الطاعة لا يشترط فيها ذلك، فالطاعة أعم والعبادة أخص.

والعلاقة بين العبادة والإيمان، علاقة قوية ووثيقة، حيث إن الإيمان قول باللسان، وتصديق بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، والعبادة تشمل أعمال القلب، من النية والمحبة والرجاء والخوف، وتشمل أعمال الجوارح، من اللسان والأعضاء، مثل الذكر والاستغفار والتوبة، وتشمل أعمال الأعضاء، من الحركة في الصلاة، مثل القيام والركوع والسجود، وكذلك مناسك الحج وغيرها.

والعبادة في الإسلام معناها واسع وشامل، ليست محصورة في الفرائض والأركان الأربعة فقط، وإن كانت هي أمهات العبادات، ولكن مفهومها أعم وأشمل من ذلك تماما، فهي تتسع لتشمل الحياة كلها، فليست محصورة في المسجد وأداء الشعائر، وإنما تتعدى لتشمل جميع مرافق الحياة، من المدرسة والجامعة، والمصنع والمزرعة، وتشمل كل أوقات الإنسان، ليلا ونهارا، سفرا وحضرا، يقظة ونوما وليست في مدة زمنية قصيرة، تنتهي بانتهاء الوقت والأداء، وإنما العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله من الأقوال والأعمال كما سبق في تعريف ابن تيمية -رحمه الله-.

والإنسان مكلف بها من سن البلوغ، وتنتهي مع الوفاة، وخروج الروح.

وهذا المفهوم الشمولي للعبادة هو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم ومن بعدهم من السلف، قال معاذ بن جبل رضي الله عنه: (لكنني أنام ثم أقوم، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي) (١).

وقال زيد الشامي -رحمه الله-: (إني لأحب أن تكون لي نية في كل شيء حتى في الطعام



والشراب) (١).

وقال ابن رجب - رحمه الله -: قال بعض السلف: (من سرّه أن يكمل له عمله فليحسن نيته؛ فإنَّ الله ﷻ يؤجر العبد إذا أحسن نيته حتى باللقمة) (٢).

ومما سبق يتبين أن العبادة بمعناها الواسع تتسع لتشمل كل مجالات الحياة، إذا استحضر الإنسان النية الصالحة في كل عمل يعمل، بقصد التقرب إلى الله، ونيل الثواب، والاقتراب بالنبي ﷺ.

فتصبح الحياة كلها محراباً للعبادة، فالعمل عبادة، والزواج عبادة، وتربية الأولاد عبادة، والسعي على المعاش عبادة، والدراسة وتحصيل العلم عبادة، والرياضة عبادة، والزراعة والتجارة والصناعة، وعمارة الكون والحياة، فالنية الصالحة الحسنة تحول العادات إلى عبادات، يثاب عليها الإنسان فتصبح الحياة كلها في صورها وأشكالها المتعددة، المباشرة وغير المباشرة، عبادة لله ﷻ قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٣﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ (٣). وفي الحديث قال ﷺ: "كُلُّ سُلَامَى مِنْ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطَّلَعُ فِيهِ الشَّمْسُ، قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الْاِثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَنُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، قَالَ: وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ" (٤).

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٠.

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ١٠.

(٣) سورة الأنعام الآيتان (١٦٢-١٦٣).

(٤) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١٠٠٩) عن أبي هريرة ﷺ.



وفي الحديث: "مرَّ على النَّبِيِّ ﷺ رجلٌ فرأى أصحابَ رسولِ الله ﷺ من جلده ونشاطه فقالوا يا رسولَ الله! لو كان هذا في سبيلِ الله فقال رسولُ الله ﷺ: "إن كان خرج يسعَى على ولده صِغَارًا فهو في سبيلِ الله وإن كان خرج يسعَى على أبوينِ شِيحَيْنِ كبيرَيْنِ فهو في سبيلِ الله وإن كان خرج يسعَى على نفسه يعفُّها فهو في سبيلِ الله وإن كان خرج يسعَى رياءً ومُفَاخَرَةً فهو في سبيلِ الشَّيْطَانِ" (١).

ولما زار النبي ﷺ سعدَ بنَ أبي وقاصٍ قبل وفاته قال له ﷺ: "ولسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بها وَجَهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بها، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أأُخْلَفُ بَعْدَ أَصْحَابِي؟ قَالَ: إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ، فَتَعْمَلْ عَمَلًا تَبْتَغِي به وَجَهَ اللَّهِ، إِلَّا أزدَدْتَ به دَرَجَةً وَرِفْعَةً" (٢).

قال النووي - رحمه الله -: (وفيه أن المباح إذا قصد به وجه الله ﷻ صار طاعةً، ويُثاب

عليه) (٣).

فمن مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ ﷺ: (قَالَ مُعَاذٌ لِأبي مُوسَى: كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: قَائِمًا وَقَاعِدًا وَعَلَى رِجْلَيْ، وَأَتَقَوَّفُهُ نَفْوَقًا، قَالَ: أَمَا أَنَا فَأَنَامُ وَأُقَوْمُ، فَأَحْتَسِبُ نَوْمِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمِي) (٤).

ويندرج في العبادات أبواب كثيرة من الخير لا حصر لها؛ فتبسّمك في وجه أخيك صدقةٌ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقةٌ. وحسن الخلق، وحسن العشرة، والصدق في الحديث.



(١) الحديث ذكره الإمام المنذري في الترغيب والترهيب ١٠٧/٣. رجاله رجال الصحيح، عن كعب بن عجرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٤٠٩) عن سعد بن أبي وقاص ﷺ.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٧٧/١١.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٤٣٤٤) عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

أنواع العبادات:

تتنوع العبادات لتشمل جميع كيان الإنسان كله، من القلب واللسان والجوارح، فأما العبادات القلبية، وتسمى الأعمال الباطنة، مثل الإيمان بالله وتوحيده، والتوكل عليه والإنابة إليه، قال ابن القيم رحمه الله: (فعمل القلب هو رُوح العبودية ولُبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الميت بلا رُوح، النية هي عمل القلب)(١).

وهناك عبادات لسانية، مثل الشهادتين التي تنطق باللسان، وكذلك تلاوة القرآن، والدعاء، والذكر والاستغفار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصيحة، والدعوة إلى الإسلام، فذلك كله يكون باللسان وغيره.

وهناك عبادات بدنية خالصة، مثل الصلاة والصيام، فهي تحتاج إلى إعمال البدن والجوارح، مثل الركوع والسجود والقيام، والجوع والامتناع عن الشهوة وقضاء الوطر في نهار رمضان.

وهناك عبادات مالية خالصة، مثل الزكاة، من أجل طهارة النفس من الشح والبخل، وطهارة القلب من التعلق بالدنيا وزينتها، والشعور بحاجة الفقراء والمساكين.

وهناك عبادات مركبة، تجمع بين البدن والمال، مثل الحج، فهو يحتاج إلى نفقة مالية للإنفاق والتنقلات، ويحتاج إلى جهد بدني لأداء المناسك والشعائر.

وهناك عبادات ذاتية، تعود نفعها على الشخص نفسه، مثل الذكر والاستغفار والتوبة.

وهناك عبادات متعدية، يعود نفعها على الشخص، وعلى الآخرين، مثل الزكاة فيستفيد

(١) بدائع الفوائد ٣/ ١٨٧.



منها المنفق في تزكية النفس، والذي يأخذها يقضي بها حوائجه ومصالحه، وكذا قضاء مصالح الناس.

وفي الحديث قال ﷺ: "أحبُّ الناسِ إلى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وأحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ ﷻ سُورٌ يَدْخُلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ يَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ يَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَ لِأَنَّ أُمَّشِيَّ مَعَ أَخِي لِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ اعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَ مَنْ كَظَمَ عَيْظَهُ، وَ لَوْ شَاءَ أَنْ يُمِضِيَهُ أَمْصَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ لَهُ أَثْبَتَ اللهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ، (وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخُلُقُ الْعَسَلَ)(١).

وقد فصل ابن القيم هذه المراتب فقال: (قول القلب: هو اعتقاد ما أخبر الله ﷻ به عن نفسه وعن أسائه وصفاته وأفعاله، وملائكته ولقائه على لسان رسله. وقول اللسان: الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له، والقيام بذكره وتبليغ أوامره.

وعمل القلب: كالمحبة له والتوكل عليه والإجابة إليه والخوف منه والرجاء له، وإخلاص الدين له، والصبر على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به عنه، والموالاتة فيه والمعاداة فيه، والذل له، والخضوع، والإخبات إليه، والطمأنينة به، وغير ذلك من أعمال القلوب، التي فرضها أفرض من أعمال الجوارح، ومستحبها أحب إلى الله من مستحبها، وعمل الجوارح بدونها إما عديم المنفعة أو قليل المنفعة. وأعمال الجوارح: كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمعة والجماعات، ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق، ونحو ذلك)(٢).



(١) الحديث أخرجه الإمام الألباني السلسلة الصحيحة للألباني (٩٠٦) صحيح عن عبدالله بن عمر ؓ.

(٢) مدارج السالكين ١/١٢٠-١٢١.

أفضل العبادات:

العبادات تتفاوت في الأفضلية على حسب قصورها على الفرد، أو تعديها إلى غيرها، فمنها ما هو مقصور على الفرض، مثل الشهادتين والصلاة والصيام والزكاة، وهي أفضل العبادات والقربات. ومنها ما هو متعدد للغير، مثل الزكاة وقضاء مصالح الناس، ومساعدتهم فيما يحتاجون إليه من ضروريات الحياة المعيشية.

ولا شك أنه بعد أداء الفرائض والأركان، في أعمال البر والخير والتطوع يعد العمل الصالح المتعدي للغير، أكثر ثواباً من العمل الصالح المقتصر على الفرد نفسه فقط.



مقاصد العبادة:

العبادة في الإسلام لها مقاصد وغايات كثيرة ومتعددة، منها ما هو لصالح العباد في الدنيا، مثل الأمن النفسي، والطمأنينة القلبية، والرضا والسعادة الحقيقية، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨).

ومنها ما هو لصالح العباد في الآخرة، مثل الفوز بالجنة، والنجاة من النار، ومن ثم يجمع الإنسان بالعبادة بين الحياة الطيبة في الدنيا، وبين الأجر والثواب، ودخول الجنة، ونيل مرضاة الله في الآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٧).



(١) سورة الرعد الآية (٢٨).

(٢) سورة النحل الآية (٩٧).



فوائد العبادة:

١- تحمي العبد من الوقوع في الذنوب والمعاصي والآثام، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ (١).

٢- تدفع العبد إلى فعل الطاعات، والمداومة عليها، والمساورة إليها، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿١٠﴾﴾ (٢).
وفي الحديث قال ﷺ: "من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة" (٣).

٣- العبادة طريق الفلاح والنجاح، وسبيل الهداية والرشاد، فتجعل الإنسان من أهل الأمن والأمان، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾﴾ (٤).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَىٰ

(١) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

(٢) سورة الأنبياء الآية (٩٠).

(٣) الحديث ذكره الإمام الألباني السلسلة الصحيحة للألباني (٢٣٣٥) صحيح بمجموع طرقه عن أبي

هريرة رضي الله عنه.

(٤) سورة المؤمنون الآيات (١-٧).

الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ (١).

٤- العبادة تطهير للنفس وتركية، وتصفية وتنقية، مما علق بها من شوائب الدنيا وزخارفها، وجواذب الأرض وشهواتها، فالعبادة غذاء للروح والقلب والنفس، يقول د/ محمد البهي: (تستهدف العبادات من الصلاة، الزكاة، الحج والجهاد في سبيل الله تصفية النفس الإنسانية والحيلولة بينها وبين اتباع الشرك والوثنية، وكذلك بينها وبين مباشرة الجرائم الاجتماعية من الفواحش والمنكرات التي هي الزنا وهتك العرض، وسرقة الأموال، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق).

تستهدف هذه العبادات كذلك - بجانب الحيلولة دون هذا كله - الحد من أنانية الذات في السلوك والتصرفات، وتقوية الإحساس الجماعي بالآخرين في المجتمع. حتى يخرج العابد عن طريق عبادته من دائرة الذات في نشاطه وأثر هذا النشاط في الانتفاع بها في هذه الدنيا من متع مادية، إلى دائرة المجتمع أو الأمة أو الآخرين. فما يصيبه من أرزاق فهو له وللآخرين، وما يقع من مأس فعليه كما على الآخرين).

قَالَ تَعَالَى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ (٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَتَكَزَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾ (٣).

(١) سورة التوبة الآية (١٨).

(٢) سورة التوبة الآية (١٠٣).

(٣) سورة البقرة الآية (١٩٧).



٥- العبادة من حقوق الله على عباده، التي أوجبها عليهم، فهي الغاية والمقصد من خلقهم،

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (٥٦) ﴿ (١).

وفي الحديث قال ﷺ: " يا معاذُ، أتَدْرِي ما حَقُّ الله على العبادِ؟ قال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ، قال: أَتَدْرِي ما حَقُّهُمْ عليه إذا فَعَلُوا ذلك؟ فقال: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قال: أَنْ لَا يُعَدِّبَهُمْ. (٢).

٦- الغاية من إرسال الله الرسل للبشر، هي دلالتهم على الله، وتوحيده وعبادته، قال تَعَالَى:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٤٥) ﴿ (٣).

فكل نبي استفتح حديثه إلى قومه بدعوتهم إلى عبادة الله وحده، وترك ما عداه من الآلهة المزعومة والطواغيت، قال تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عقبة المكذِبين ﴾ (٣٦) ﴿ (٤).

فمن عبادته إفراده بأسمائه الحسنی، وصفاته العلاء، التي يتوده إليه بها في العبادة والدعاء قال

تَعَالَى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (١٨٠) ﴿ (٥).

(١) سورة الذاريات الآية (٥٦).

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٣٠) عن معاذ بن جبل ؓ.

(٣) سورة الأنبياء الآية (٢٥).

(٤) سورة النحل الآية (٣٦).

(٥) سورة الأعراف الآية (١٨٠).

٧- من أهداف خلق الله للإنسان، أن يتعرف على ربه وخالقه ورازقه، ويتوجه إليه بالعبادة والطاعة والحب، فالله خلقه لتحقيق الخلافة في الأرض، والخلافة تساعد على العبادة والسعي في الأرض، لعمارتها وإصلاحها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ إِن مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٤١) . (١).

٨- العبادة في الإسلام ترفع العبد إلى منزلة الملائكة، التي فطرت على العبادة والطاعة المطلقة، بينما الإنسان الذي ركب من عقل وشهوة، تنازعه نفسه وغرائزه، وبين ما يميله عليه عقله ودينه، وما تجره إليه شهواته، فحينما يستعلي ويتسامى على الغرائز، فيحقق العبودية الصادقة لله، الذي تبلغه منزلة الملائكة عند الله، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَّيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) . (٢).

٩- العبادة تغرس في النفس محبة الله وتعظيمه، وتزرع المودة والألفة والترحم والتعاطف بين الناس، وفي الحديث قال ﷺ: "مَنْ نَفَسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ الدُّنْيَا، نَفَسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرْبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ عَلَى مُسْلِمٍ، سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَمْ يَذْكُرْ عُثْمَانُ، عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ: وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ" (٣).

١٠- العبادة تعد لونا من ألوان الاختبار والامتحان من الله لعباده، فهو خلقهم لعبادته، فهل يستجيبون لأوامره، ويحققوا العبودية الصادقة، أم يعرضوا عنه، ويرسبون في الاختبار، قَالَ

(١) سورة الحج الآية (٤١).

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داد (٤٩٤٦) حديث صحيح عن أبي هريرة ؓ.



تَعَالَى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ ﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۗ ﴾ (٢).



مميزات العبادة:

العبادات محطات يومية، وأسبوعية، وسنوية، وموسمية، وطول العمر، لتوليد الإيمان، وشحذ الهمة، واستمداد الطاقة الروحية، مثل الصلوات الخمس، وصلاة الجمعة، ونوافل العبادات والتطوع، فهي محطات لانتصار الروح على الجسد، وصيام رمضان، وزكاة المال والصدقة، والحج والعمرة، للتخفيف من أعباء الدنيا، والتقليل منها، وأذكار اليوم والليلة التي تذكر المسلم بعظمة الله وجلاله، وتجعل الإنسان موصولاً مع خالقه منشغلاً به في عقله وقلبه وروحه ووجدانه وضميره.



ضوابط العبادات

العبادات في الإسلام لها ضوابط شرعية، وليس فيها مجال للاجتهاد، والتقديم والتأخير، والحذف والإضافة، وإنما هي مبنية على الاتباع والمتابعة.

فالصلاة لها وقت دخول، ولها توقيت لأول الوقت وآخره، ووقت استحباب، ووقت كراهة، ولها شروط صحة، ولها أركان وسنن ومستحبات، ولها استعدادات ما قبل الصلاة، من الاستنجاء والوضوء أو الغسل، ولها مبطلات، ومكروهات، ولها كيفية في الظروف العادية في

(١) سورة الكهف الآية (٧).

(٢) سورة الملك الآية (٢).

حالة الصحة، ولها كيفية أخرى في حالة المرض والسفر والحرب، وكل ذلك مفصل في كتب الفقه، مضبوط بضوابط الشرع.

والصيام له ضوابطه وشروطه وأركانه آدابه، وعلى من يجب، وعلى من يسقط عنه الصيام، وله أحكام خاصة لأصحاب الظروف الخاصة، من السفر أو المرض أو كبر السن، أو المرأة في فترة الحيض والنفاس والولادة، وله أحكام في كيفية تعويض الأيام الذي أفطر فيها المفطرون، من حيث القضاء، والكفارة، وتفاصيل ذلك واضحة في كتاب الصيام، في كتب الفقه.

والزكاة لها أنواع ومقادير وشروط، وكل نوع له نسبة، فهناك زكاة المال، وعروض التجارة، والذهب والفضة، والزروع والثمار، والماشية والأنعام، وزكاة الركا، وكل صنف له شروطه الخاصة، ونسبته الخاصة به أيضا، ومن لا يملك شيئا من المال فلا زكاة عليه، ومن ثم نجد أن الزكاة منضبطة انضباطا دقيقا، لا مجال فيها للاجتهاد، أو تدخل البشر في تعديل نسبها أو تطويرها، وذلك لورود أحكامها في القرآن والسنة، ووضوحها، فليس فيها لبس أو غموض.

والحج له شروط وجوب وأركان وواجبات وسنن، وله أنواع من الأفراد، والتمتع، والقران، وله زمان معين لا يتجاوزه الإنسان، وله مكان لا يخرج عن حدوده، كما أن له أحكاما مفصلة فيما إذا قدم أحد النسك على غيره، أو نسي أحدها كيف يجبر ذلك أو يعوضه، وهو مرة واحدة في العمر على المستطيع فقط، ويسقط عمّن فقد الاستطاعة، وماذا لو مات ولم يحج وكان يملك الاستطاعة من الزاد والراحلة، كل ذلك أيضا واضح ومفصل في كتاب الحج في كتب الفقه. والحج له هدف أكبر، يرمز إلى تجميع المسلمين في العالم لأداء النسك معا، ويعيشون قضية المسلمين في كل مكان، والوحدة الإسلامية التي تضم المسلمين في كل مكان.





ومن عظمة الإسلام في تشريع العبادات، أنه جعل في كل عبادة أو فريضة نافلة من جنسها، لتكمل النقص، وتجبر الخلل، وتزيد الأجر والثواب، وترفع الدرجة عند الله، وتجلب محبته ورضوانه ومرضاته، فالصلوات الخمس لها نوافل قبلها أو بعدها، وهناك صلاة الضحى، والتهجد أو القيام، وهناك صلاة الوتر التي يختم بها صلاته في آخر الليل.

وفريضة الزكاة نجد الصدقة والهبة والتبرع والهدية، وكلها أشياء مادية أو عينية، تنفق لمساعدة الفقراء، ودعوة إلى تحقيق التكافل الاجتماعي، وجلب المحبة والألفة بين أفراد المجتمع.

وفريضة الصيام يوجد صيام النافلة، مثل الست من شوال، والثلاثة البيض من كل شهر، والاثنين والخميس، والعاشر من المحرم (عاشوراء) والتاسع من ذي الحجة (يوم عرفة) فهناك نوافل في الصيام أسبوعية وشهرية وسنوية.

وفي الحج نجد سنة العمرة من جنس مناسك الحج، ومن شعائرها، وهي مفتوحة طول العام، لمن أراد أن يحظى بتكفير الذنوب والمعاصي، وفي الحديث قال ﷺ: "الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ" (١).



ومن ضوابط العبادة في الإسلام أنها مقيدة من حيث الوجهة والاداء، ويقصد بذلك أن وجهة العبد في أدائها يتوجه بها إلى الله وحده، لا رياء ولا سمعة، ولا حظ للنفس أو للغير فيها، فتؤدى حسب تعاليم الشرع والدين، بما ورد عن النبي ﷺ لا يتجاوزه بالزيادة أو النقص، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ ۚ فَنَكانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ ۚ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري (١٧٧٣) عن أبي هريرة ؓ.

﴿ ١١٠ ﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢).

فالعبادة لا تكون إلا لله وحده، ولذلك جاءت بصيغة الحصر والاختصاص، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (٣). فالآية تنفي العبادة عن كل ما سوى الله، وتوجبها لله وحده لا شريك له، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٤).



أوقات العبادة:

العبادة في الإسلام بمعنى الأركان الأربعة، لا تأخذ وقتاً طويلاً بالنسبة لساعات اليوم، أو شهور العام، فالصلوات الخمس لا تتجاوز الساعة الواحدة، من أربع وعشرين ساعة في اليوم واللييلة.

والزكاة في حساباتها وتوزيعها، لا تستغرق وقتاً يذكر من اليوم الواحد طوال العام.

والصيام يستغرق خمس عشرة ساعة، في اليوم الواحد لمدة شهر واحد، من اثني عشر شهراً طوال العام.

(١) سورة الكهف الآية (١١٠).

(٢) سورة الأعراف الآية (٣).

(٣) سورة الفاتحة الآية (٥).

(٤) سورة البقرة الآية (٢١).



ومناسك الحج لا تستغرق أكثر من أربعة أيام، مرة واحدة في العمر كله، لأداء المناسك والشعائر والنسك.

وهناك عبادات مرتبطة بالوقت، فهي تعد لها الأفضلية على غيرها في وقتها.

فعبادة واجب الجهاد، تعد من أفضل العبادات في الوقت الذي تحتاجه الأمة، لذلك يشرع فيه صلاة الخوف كحالة استثنائية.

والثلث الأخير من الليل، يفضل فيه عبادة التهجد، من الصلاة والذكر والاستغفار وقراءة القرآن والدعاء، وعلى ذلك تقاس سائر العبادات، من حيث تقديم بعضها على بعض.



شروط العبادة:

والعبادة لها شرطان أساسيان لا غنى عنهما أبدا وهما.

الإخلاص: وهو روح العبادة وجوهرها، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ٥ ﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ٢ ﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ١١ ﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ١٢ ﴾ (٣).

وإذا خلت العبادات من الإخلاص، ضاع الأجر على صاحبه، وحبط عمله، وخسر ثوابه

(١) سورة البينة الآية (٥).

(٢) سورة الزمر الآية (٢).

(٣) سورة الزمر الآيتان (١١ - ١٢).

في الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ (٢٣) (١).

المتابعة: ويقصد بها اتباع ما كان عليه النبي في طريقته في أداء العبادات، بلا مجاوزة بالزيادة أو النقص، ففي الصلاة مثلاً نجد في الحديث قوله ﷺ: "وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤْذَنُوا لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيُؤْمِتْكُمْ أَكْبَرُكُمْ" (٢).

وفي الحج مثلاً نجد في الحديث قوله ﷺ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ عَامِي هَذَا" (٣).

قال يونس بن عبد الأعلى الصديقي: قلت للشافعي: إن صاحبنا الليث كان يقول: (إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، فلا تغتروا به؛ حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. فقال الشافعي - رحمه الله -: قصر الليث - رحمه الله - بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء، ويطير في الهواء، فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب).

وقال الفضيل بن عياض: (العمل الحسن هو: أخلصه وأصوبه، قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يُقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يُقبل، حتى يكون خالصاً وصواباً، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على السنة، فلا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه، على متابعة أمره، وما عدا ذلك فهو مردودٌ على عامله، يُرد عليه أحوج ما هو إليه هباءً منثوراً) (٤).



(١) سورة الفرقان الآية (٢٣).

(٢) الحديث ذكره الألباني صحيح الجامع (٨٩٣) صحيح عن مالك بن الحويرث ﷺ.

(٣) الحديث ذكره الألباني صحيح الجامع (٧٨٨٢) صحيح عن جابر بن عبد الله ﷺ.

(٤) مدارج السالكين لابن القيم ١/٨٣ - ٨٤ دار الكتاب العربي، بيروت. وانظر العبودية، ص ٧٦.



أركان العبادة:

لابد أن تتوفر في العبادة عدة أمور وهي:

١- المحبة: فالعبد يقوم بالعبادة نحو الله بدافع الحب والعاطفة نحوه ﷻ فهو صاحب النعم التي لا تعد ولا تحصى، وصاحب المنن التي تغمر الإنسان، من فرع رأسه إلى أخمص قدميه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ ﴾ (١). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢).

يقول ابن القيم - رحمه الله -: (أصل العبادة : محبة الله، بل إفراده بالمحبة، وأن يكون الحب كله لله، فلا يحب معه سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، كما يحب أنبياءه ورسله وملائكته وأوليائه، فمحبتنا لهم من تمام محبته، وليست محبة معه، كمحبة من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحبه، وإذا كانت المحبة له حقيقة عبوديته وسرها : فهي إنما تتحقق باتباع أمره واجتناب نهيه. وقوله في موطن آخر: العبادة تجمع أصليين : غاية الحب بغاية الذل والخضوع (٣).

٢- الرجاء: والعبد يؤدي العبادة بدافع طلب الأجر والثواب من الله وحده، فيرجو ثوابه ورضوانه وجنته، قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْكَرُونَ بِأَلْحَمِيقٍ وَيَدْعُونَكَ رَبِّاً وَرَهْباً ۗ ﴾

(١) سورة البقرة الآية (١٦٥).

(٢) سورة التوبة الآية (٢٤).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم، ١/ ٧٧ - ٩١.

وَكَاثُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٩٠﴾ (١).

٣- الخوف: والعبد يقوم بأداء العبادة خوفاً من الله، ومن غضبه وسخطه وناره، وعقابه يوم

القيامة، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِّنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (٢).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ (٣).

فلا بد للعبادة أن يكون فيها الحب والرجاء والخوف، حتى تحقق الهدف المقصود منها، وتعود بفائدة على صاحبها في الدنيا والآخرة.

والذل له أربع مراتب كما ذكر ابن القيم: المرتبة الأولى: مشتركة بين الخلق، وهي ذل الحاجة والفقر إلى الله، فأهل السموات والأرض جميعاً محتاجون إليه فقراء إليه، وهو وحده الغني عنهم، وكل أهل السموات والأرض يسألونه وهو لا يسأل أحداً. المرتبة الثانية: ذل الطاعة والعبودية، وهو ذل الاختيار وهذا خاص بأهل طاعته وهو سر العبودية. والمرتبة الثالثة: ذل المحبة، فإن المحب ذليل بالذات، وعلى قدر محبته له يكون ذله.

والمرتبة الرابعة: ذل المعصية والجناية، فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع: كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم، إذ يذل له خوفاً وخشية، ومحبة وإنابة، وطاعة وفقراً وفاقاً. (٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والعبادة تجمع كمال المحبة وكمال الذل، فالعابد محب خاضع، بخلاف من يجب من لا يخضع له، بل يجبه ليتوسل به إلى محبوب آخر، وبخلاف من

(١) سورة الأنبياء الآية (٩٠).

(٢) سورة المؤمنون الآية (٥٧).

(٣) سورة فاطر الآية (٢٨).

(٤) مدارج السالكين ١/٢٢٤.



يخضع لمن لا يجبه كما يخضع للظالم، فإن كلا من هذين ليس عبادة محضة^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (اعلم أن محركات القلوب إلى الله ﷻ ثلاثة: المحبة، والخوف، والرجاء، وأقواها المحبة، وهي المقصودة لذاتها لأنها تُراد في الدنيا والآخرة، بخلاف الخوف؛ فإنه يزول في الآخرة، قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٢). والخوف المقصود منه: الزجر والمنع من الخروج عن الطريق، فالمحبة تلقى العبد السير إلى محبوبه، وعلى قدر ضعفها وقوتها يكون سيره إلى الله، والخوف يمنعه أن يخرج عن طريق المحبوب، والرجاء يقوده، فهذا أصل عظيم، يجب على كل عبد أن يتنبه له، فإنه لا تحصل له العبودية بدونه وكلُّ أحد يجب أن يكون عبداً لله لا لغيره)^(٣).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: القلب في سيره إلى الله ﷻ بمنزلة الطائر، فالمحبة رأسه، والخوف والرجاء جناحاه، فمتى سلّم الرأس والجناحان فالطائر جيد الطيران، ومتى قُطِع الرأس مات الطائر، ومتى فُقد الجناحان فهو عرضة لكلِّ صائدٍ وكاسر، ولكنَّ السلف استحَبُّوا أن يقوى في الصحة جناح الخوف على جناح الرجاء، وعند الخروج من الدنيا يقوى جناح الرجاء على جناح الخوف، هذه طريقة أبي سليمان وغيره، قال: ينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف، فإن غلب عليه الرَّجاء فسد، وقال غيره: أكمل الأحوال اعتدال الرجاء والخوف وغلبه الحب، فالمحبة هي المركب، والرجاء حاد والخوف سائق والله الموصل بمته وكرمه)^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وقال من قال من السلف: من عبد الله بالحبِّ

(١) قاعدة في المحبة ضمن جامع الرسائل ٢٨٤/٢.

(٢) سورة يونس الآية (٦٢).

(٣) الفتاوى (٩٥/١) لشيخ الإسلام بن تيمية - جمع القاسم - الطبعة الأولى - الرياض.

(٤) مدارج السالكين ٥١٧/١ لابن القيم دار الكتاب العربي، بيروت.

وحده فهو زنديق، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري. ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن موحد(١).



درجات العبادة:

١- أعلى درجات العبادة، أداء الفرائض والأركان الواجبة على المسلم في اليوم والليلة، أو في العام، أو في العمر كله، وفي الحديث: "أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثَائِرَ الرَّأْسِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مَاذَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: الصَّلَوَاتِ الْحَمَسَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا فَقَالَ: أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الصِّيَامِ؟ قَالَ: شَهْرَ رَمَضَانَ إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ شَيْئًا قَالَ: أَخْبِرْنِي بِمَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنَ الزَّكَاةِ؟ قَالَ: فَأَخْبِرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شَرَائِعَ الْإِسْلَامِ. قَالَ: وَالَّذِي أَكْرَمَكَ، لَا أَتَطَوَّعُ شَيْئًا، وَلَا أَنْقُصُ مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيَّ شَيْئًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أُولَئِكَ دَخَلُوا الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ" (٢).

٢- الابتعاد عن المحرمات والكبائر، والذنوب والمعاصي، ما ظهر منها وما بطن، وفي الحديث قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ حَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَفَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَتَرَكَ أَشْيَاءَ مِنْ غَيْرِ نِسْيَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْكُمْ فَاقْبَلُوهَا، وَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا" (٣).

(١) رسالة العبودية لابن تيمية ص ١٢٨، والحرورية اسم من أسماء الخوارج، نسبة إلى أرض حروراء في العراق، نزلوا فيها أول أمرهم.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٩٥٦) عن طلحة بن عبيد الله ﷺ.

(٣) الحديث ذكره الألباني في ضعيف الجامع (١٥٩٧) وقال ضعيف، وحسنه شعيب الأرنؤوط في تخريج سير أعلام النبلاء عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ.



٣- قراءة القرآن، فهو كلام الله ﷻ الذي أمرنا بقراءته وتلاوته، والتقرب إليه به، قَالَ تَعَالَى:

﴿أُورِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ (١).

٤- الدعاء وهو من أفضل العبادات والقربات، لأنه مناجاة بين العبد وربّه، يسأله فيه ما يشاء، من أمور الدنيا والآخرة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (٢).

وفي الحديث قال ﷺ: "الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ، ثُمَّ قَرَأَ { وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ }" (٣).

٥- أداء نوافل العبادات، كل عبادة من جنسها، وفي الحديث القدسي: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِن سَأَلَنِي لِأَعْطِيْتَهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيذَنَّهُ" (٤).

٦- مراعاة واجب الوقت في العبادات، فأفضل عبادة وقت الأذان، ترديد الأذان، وأفضل عبادة وقت أداء مناسك الحج والعمرة، التلبية وأفضل عبادة في نهار رمضان الصيام، وأفضل عبادة في ليل رمضان، صلاة التهجد وقراءة القرآن وهكذا. ❀❀❀

(١) سورة المزمل الآية (٤).

(٢) سورة البقرة الآية (١٨٦).

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (٣٣٧٢) حسن صحيح عن النعمان بن بشير ﷺ.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة ﷺ.

خصائص العبادة في الإسلام:

١- التيسير: فمن خصائص العبادة في الإسلام أنها مبنية على التيسير، ورفع الحرج عن المسلم، فهي ميسرة في الأداء، ويستطيع أن يتحملها جميع المكلفين بلا مشقة أو تعب أو عنت، في غير الأعدار الشرعية، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَيْتُمْ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٨٥) ﴿١﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِزِلَ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦) ﴿٢﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ (٧٨) ﴿٣﴾.

٢- الشمول: فالعبادات في الإسلام تشمل كل أجزاء الإنسان، من القلب، واللسان، والبدن، والجوارح، والعقل، وعلاقة الإنسان بربه، وبنفسه وزوجه وولده والآخرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (٨٩) ﴿٤﴾.

٣- التوازن: والعبادات في الإسلام تحقق التوازن في جميع جوانبها فلا يطغى جانب على آخر فهي مقسمة بين اللسان والقلب والبدن والجوارح وكلها موزعة على أوقات مختلفة بالنهار لتحقق التوازن للعبد بين أمور الدنيا والآخرة والمعاش والمعاد، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّكُوفَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَحْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ (٩) ﴿٥﴾.

(١) سورة البقرة الآية (١٨٥).

(٢) سورة المائدة الآية (٦).

(٣) سورة الحج الآية (٧٨).

(٤) سورة النحل الآية (٨٩).

(٥) سورة الرحمن الآية (٩).



وفي الحديث قال ﷺ: "فَإِنَّ لِرِزْوَجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِرِزْوَرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا".



حَقًّا(١).

من محاذير العبادة في الإسلام:

١- الشرك أو انصراف العبادة لغير الله مثل الاستعاذة بغير الله، وكذا الاستعاذة بغيره، وطلب العون من غيره، والالتجاء إليه في وقت الشدة، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَمَّا أَعَاهَدَ إِلَيْكُمْ يَنْبِيَّءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (٦٠).

٢- التبرك بالأشجار، والأحجار والصخور والقبور، والاعتقاد بأن لها شيئاً من النفع، كل هذا لا يجوز ويتنافى مع تعاليم الإسلام.

٣- التوسل للمخلوقين في عبادة الله : كأن يجعلهم واسطة بينه وبين ربه، وهذا شرك واضح، لا جدال فيه، وقع فيه مشركو قريش، حينما عبدوا الأصنام، وبحثوا عن مبرر لهم في ذلك فقالوا كما حكى القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٣).

٤- دعاء الأولياء والصالحين، والعكوف عند قبورهم، والتمسح بها، وطلب العون والمساعدة منهم، كل ذلك يتنافى مع العقيدة والعبادة في الإسلام.

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (١١٥٩) عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) سورة ييس الآية (٦٠).

(٣) سورة الزمر الآية (٣).

٥- الحلف بغير الله، أو اسم من أسماؤه، أو صفة من صفاته، كأن يحلف بالكعبة، أو رحمة أبيه أو أمه، كل ذلك مخالف ومناف لتعاليم الإسلام.

٦- الخوف من غير الله، والاعتقاد بأنه يملك النفع والضرر، والعطاء والمنع، وهو في الحقيقة لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، وما أعطاه الله من سلطة إنما هي اختبار وامتحان له ولغيره، هل يطيع العبد ربه وخالقه، أم يطيع صاحب الحكم والسلطان في غير طاعة الله.

٧- الذبح لغير الله، بأن يتلفظ أثناء الذبح باسم غير الله، أو يقدم قرباناً لغير الله.

٨- الرياء، وهو أن يفعل العبد العبادة من أجل أن يراها الناس، ويتحدثوا عن كثرة عبادته، وطولها وحسنها وجمالها. قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: "أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمَلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ" (١).

٩- المن في العبادة على الله أو على الناس، فحينما يقدموا الزكاة أو الصدقة، يمن بها على الله، بأنه فعل ذلك وغيره لم يفعل، أو على الناس الذين أعطاهم إياها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَمْنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمْنُ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ (٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾ (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم (٢٩٨٥) عن أبي هريرة ؓ.

(٢) سورة الحجرات الآية (١٧).

(٣) سورة البقرة الآية (٢٦٤).



١٠- الردة، وهي أن يترك المسلم دينه ويغيره إلى دين آخر، أو لا يدخل في دين غيره، وهي محبطة لجميع الاعمال السابقة، ومن فعل ذلك فقد أضاع ثوابها، وأبطل قيمتها، بل استحق العقوبة الشرعية المقررة في ذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٧﴾ (١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ (٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٣٣﴾ (٣).

وفي الحديث قال ﷺ: "لا يحل دَمُ امرئٍ مُسلمٍ إلا بإحدى ثلاث: رجلٌ زنى بعد إحصانٍ، أو قتل نفسًا بغيرِ نفسٍ، أو التاركُ لدينه المُفارقُ للجماعة" (٤).



(١) سورة البقرة الآية (٢١٧).

(٢) سورة المائدة الآية (٥٤).

(٣) سورة الفرقان الآية (٢٣).

(٤) عارضة الأحوزي لابن العربي ٣/٣٧٥. حديث صحيح، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

ثالثاً: المعاملات.

جاءت المعاملات في الإسلام لتنظيم العلاقة بين الإنسان وبين خالقه، وبينه وبين نفسه، وبينه وبين أسرته، وبينه وبين الناس، وبين الحاكم والمحكوم، وبين المسلمين وغيرهم من الأمم والأديان الأخرى، بل جاءت لتنظيم الحياة كلها من أولها إلى آخرها.

هذه المعاملات كلها يطلق عليها الشريعة الإسلامية، التي جاءت لحفظ الضروريات الخمس: (الدين - النفس - العقل - النسل - المال) وكلها تقوم على جلب المصالح، ودرء المفاسد، وكل ما يحتاج إليه المسلم من أمور دينه ودنياه، جاءت لترشده وتهديه، وتبصره بما هو خير له فيه.

وفقه المعاملات: ويتضمن جملة من الأحكام الشرعية العملية، التي تنظم علاقة المكلف بالآخرين. فيشمل: الأحكام المدنية، وفقه الأسرة (الزواج والطلاق و نحوهما) والمرافعات (القضاء والشهادة، و الجنايات، والعلاقات بين الحاكم والمحكوم، والعلاقات الدولية، والأحكام الاقتصادية، والعقود، والتصرفات الصحيحة، والفسادة، وأحكام، ومواضيع فرعية متعددة.

فالمعاملات خمسة كما يقول ابن عابدين: «المعاوضات المالية، والمناكحات، والمخاصات، والأمانات، والتركات»^(١).

ومن المعاصرين من يقيد فقه المعاملات بالأمور المالية وتحت هذا العنوان العام (فقه المعاملات) تدرج عدة اصطلاحات؛ الاقتصاد الإسلامي، المعاملات الأدبية، النظام المالي، القانون المدني، القانون التجاري.



(١) حاشية ابن عابدين، ج ١ / ٧٩. ومن أراد التوسع في الموضوع يرجع إلى كتب التخصص.



رابعاً: الأخلاق.

مقدمة:

من عظمة الإسلام في منظومته الشاملة الحث على مكارم الأخلاق، والارتقاء بالناس إلى أعلى مستوى بشري، يجعل من مكارم الأخلاق عنواناً لرسالة الإسلام الخالدة، وفي الحديث قال ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^(١).

كما أنها تضم جملة من الأخلاق الإسلامية الفاضلة، التي تدعو إلى اتباع الفضيلة، وترك الرذيلة، نادت بها الشريعة الإسلامية الغراء، لتحقيق للناس السعادة في الدارين، والفوز بشرف الدنيا والآخرة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

١ - تعريف الخلق في اللغة:

الخلق في اللغة يعنى: (الطبع والسجية والعادة والمروءة والدين)^(٣).

قال ابن منظور: (والخلق بضم اللام وسكونها: الدين والطبع والسجية، وحقيقته أنه صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها)^(٤).

(١) الحديث ذكره الهيتمي في مجمع الزوائد ١٨/٩ رجاله رجال الصحيح، عن أبي هريرة ؓ.

(٢) سورة النحل الآية (٩٧).

(٣) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/٢٧٥ ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م. وانظر النهاية لابن الأثير ٢/٧٠.

(٤) لسان العرب لابن منظور مادة خلق. دار صادر بيروت لبنان/ ط الثالثة.

قال الراغب: (الخلق والخلق في الأصل واحد، كالشرب والشرب، لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجيا المدركة بالبصيرة) (١).

ومما سبق يتبين أن كلمة الخلق لها معان متعددة، أبرزها الطبع والسجية، وهي صفة راسخة داخل النفس البشرية، وتكون موضع مدح أو ذم من الإنسان.

وورد ذكر الخلق في القرآن الكريم في موضعين، في سورة الشعراء، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ﴾ (١٣٧) (٢).

وفي سورة القلم قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤) (٣). وفي السنة أيضا ورد ذكر الخلق في أحاديث كثيرة، منها ما قاله أنس رضي الله عنه: "كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا" (٤). أي طبعاً وسجية وسلوكاً.



٢- تعريف الخلق في الاصطلاح:

والخلق في الاصطلاح: (عبارة عن هيئة في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية) (٥).

فالخلق صفة داخلية متأصلة في عمق النفس البشرية، تصدر عنها تصرفات الإنسان الحسنة والقبیحة، بتلقائية ودون تكلف، من غير تفكير طويل، فيما يقول أو يفعل.

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٤١٧ دار المعرفة بيروت.

(٢) سورة الشعراء الآية (١٣٧).

(٣) سورة القلم الآية (٤).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦٢٠٣) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٥) التعريفات للجرجاني ص ١٠١ دار الكتب العلمية بيروت ط/ الثالثة ١٤٠٨ هـ.



وحسن الخلق كما عرفه عبد الله بن المبارك يعنى: (بذل الجميل، وكف القبيح، وقيل: التحلي عن الرذائل، والتحلي بالفضائل) (١).

والخلق أيضا: (قوة راسخة في الإرادة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح (إن كان الخلق حميدا) أو إلى شر وجور (إن كان الخلق ذميا) (٢).

والأخلاق هي التي ترسم للإنسان أفضل طريقة في التعامل مع الآخرين، وكيف يحقق الإنسان الموازنة بين رغباته الشخصية، ومستلزمات العيش في بيئة جماعية.

والسلوك هو: (سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه، يقال فلان حسن السلوك أو سيئ السلوك) (٣).

فكأن الأخلاق شيء داخلي، مرتبط بالنشأة والعادات والتربية عبر فترة طويلة، والسلوك مظهر خارجي يدل على مدى قوة الأخلاق وضعفها، أو رسوخها وسطحيتها، فهي الترجمة العملية لمقياس الأخلاق في نفوس البشر وطبائعهم.



(١) مدارج السالكين لابن قيم الجوزية ١/١٩٤/ دار إحياء التراث العربي بيروت ط/ ١٤١٩هـ.

(٢) دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية د/ محمد عبد الله دراز ص ٨٨. دار القلم الكويت ط/ الثانية ١٣٩٤هـ.

وهناك فرق بين الأخلاق، وعلم الأخلاق، حيث يعرفه العلماء بأنه: (علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضا، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم، وينير السبيل لعمل ما ينبغي). الأخلاق أحمد أمين ص ٢- ط/ لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ط/ السادسة سنة ١٩٥٣م.

وعلم الأخلاق أيضا هو: (علم يبحث في الأحكام العملية التي تعرف بها الفضائل لتقتني، والرذائل لتجتنب، بهدف تركية النفس، على أساس من الوحي الإلهي). الأخلاق في الإسلام. د/ عبد اللطيف محمد العبد ص ١٢. مكتبة دار التراث الثانية سنة ١٤٠٩هـ سنة ١٩٨٨م.

(٣) المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ١/٢٥٢ ط/ الثالثة سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

علاقة الأخلاق بالعبادة والعقيدة والشريعة:

الإسلام نظام شامل كامل، ينظم جميع شؤون الحياة كلها، ومن ثم فهناك علاقه قوية ومتينة بين شعائر الإسلام بعضها مع بعض، فإذا كان من صفات المسلم أنه سليم العقيدة، صحيح العبادة، متين الخلق، فإن هذه الصفات سلسلة في حلقه متصلة، لا يمكن فصل بعضها عن بعض، فالأخلاق الإسلامية جزء من منظومة شاملة، من العقيدة، والعبادة، والمعاملات، فلا يقبل أن يكون كل جانب مستقلا عن الآخر، ولا أن يؤخذ بعضه ويترك بعضه، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ (٢٠٨) (١).

ولو أن الإسلام تجسد في صورة شجرة كبيره، لها جذورها الضاربة في الأرض، ولها ساقها الممتدة في أفق السماء، ولها أوراقها الخضراء الكثيفة التي تظلل ما تحتها من أديم الأرض، ولها ثمارها اللبنة الناضجة التي تسر الناظرين، فالجذور هي العقيدة الإسلامية النقية الصافية، والساق هي العبادة الصحيحة الخالصة، والفروع والأوراق هي المعاملات الإسلامية الحلال، والثمار الناضجة هي الأخلاق الفاضلة السامية.

والعلاقة بين الشجرة وأجزائها، وبين تعاليم الإسلام وارتباط بعضها مع بعض علاقه قويه، يصعب فصل بعضها عن بعض، فلا نجد في الحياة ثمارا للشجرة، دون أن يكون لها جذور وساق وفروع وأوراق، وكذلك رسالة الإسلام الربانية الخالدة.

والعلاقة والارتباط بين العقيدة والأخلاق الفاضلة علاقه قويه متينة، فالعقيدة السليمة تثمر أخلاقا فاضلة، حيث ذكر الله ﷻ الإيمان مع الأخلاق في آيات كثيرة، لأن العقيدة بلا أخلاق لا فائدة فيها، والأخلاق بدون عقيدة لا خير فيها، وارتباط بعضهم ببعض ارتباطا



قويا متينا هو من صلب رسالة الإسلام، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣). (١).

كما ربط الإسلام بين الإيمان بالله وحسن الخلق في أحاديث كثيرة، منها:

في الحديث قال ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيفَهُ...، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ" (٢).

والعلاقة بين العبادة والأخلاق أمر واضح في القرآن الكريم، فكل عبادة لا بد لها من أثر في حياة صاحبها، تعود على قلبه وعقله ونفسه وروحه، وحياته ودينه وآخرته.

فالصلاة تمنح صاحبها الإيمان القوي، والطاقة الروحية التي تساعد على التغلب على المعاصي والذنوب، والمنكرات والفواحش، ما ظهر منها وما بطن.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥). (٣).

والزكاة تنزع من نفس صاحبها الحقد والحسد، والشحناء والبغضاء، وتغرس فيها الحب والإيثار والرحمة والتكافل.

قَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣). (٤).

(١) سورة الفرقان الآية (٦٣).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٦١٣٥) عن أبي شريح العدوي خويلد بن عمرو.

(٣) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

(٤) سورة التوبة الآية (١٠٣).

والصيام تدريب للنفس عن الكف عن الشهوات، والبعد عن الشبهات، والتحكم في الغرائز والأهواء، والوصول إلى أعلى درجة من التقوى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ (١).

والحج تدريب وتربية للنفس على تحمل المشاق، والترفع عن الحياة الدنيا وزينتها، والتعايش مع عوام الناس ومخالطتهم في صبر وتعاون وتواضع.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴿١٩٧﴾ (٢).

وفي مجال الشرائع، والمعاملات، والفروع، والنظم الإسلامية، نجد العلاقات القوية بينها وبين الأخلاق الفاضلة، حيث ضبط الإسلام كل هذه المعاملات بسياج من الأخلاق يحميها، فلا تنحرف ذات اليمين أو ذات الشمال، وإنما ضبطها بالقسطاس المستقيم. ففي مجال السياسة الشرعية، والحكم والقضاء بين الناس، جاء الأمر بأداء الأمانات إلى أصحابها، وإقامة العدل بين المتنازعين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ (٣).

وفي مجال الاقتصاد والإنفاق والاستهلاك، دعا الإسلام إلى الاعتدال والتوسط في الإنفاق، بلا إسراف أو تقتير.

(١) سورة البقرة الآية (١٨٣).

(٢) سورة البقرة الآية (١٩٧).

(٣) سورة النساء الآية (٥٨).



قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۗ﴾ (٢٩)

(١).

وفي جانب المعاملات بين أفراد الأسرة، من الأصول والفروع، والأقارب، والمحافظة على الترابط بين العائلة ووحدتها وتماسكها، جاء الأمر ببر الوالدين والاعتناء بهما، خاصة في سن الكبر، ومرحلة الضعف والوهن والشيخوخة، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۗ﴾ (٢٣)

(٢).

وفي مسؤوليات الرجل نحو زوجته وأولاده، ومن يعول، حملة الإسلام المسؤولية التامة الكاملة في كل شيء، يتعلق بالمحافظة عليهم، ورعايتهم وتربيتهم، من جميع الجوانب، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُورًا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ۗ﴾ (٦)

(٣).

وتأتي هذه الآداب كلها، للترغيب في فضائل الأخلاق، والترهيب من مساوئها، حتى يحقق المسلم رسالته في هذه الحياة، فيعيش متعبدا لله في محرابها الكبير، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ﴾ (١٦٢)

(٤).

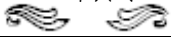


(١) سورة الإسراء الآية (٢٩).

(٢) سورة الإسراء الآية (٢٣).

(٣) سورة التحريم الآية (٦).

(٤) سورة الأنعام الآية (١٦٢).



٣- مميزات الأخلاق في الإسلام وخصائص:

١- وحدة مصدرها، فهذه الأخلاق التي يتخلق بها المسلمون مأخوذة عن الله ورسوله، عن القرآن الكريم والسنة النبوية، فهي أخلاق واحدة في مبادئها بين الشعوب الإسلامية كلها. فترجع مصادر الأخلاق في الإسلام إلى الأصلين الرئيسيين، فمنها يستنبط العلماء الأخلاق الإسلامية الحميدة للتخلق بها، والأخلاق الرذيلة للبعد عنها ومجانبتها، والتخلص منها إن وجدت في بعض الأفراد.

قال ابن القيم -رحمه الله- (تزكية النفوس مسلم إلى الرسل، وإنما بعثهم الله لهذه التزكية وولاهم إياها، وجعلها على أيديهم دعوة وتعلية وبيان وإرشاداً، فمنهم المبعوثون لعلاج نفوس الأمم، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾). فلا سبيل إلى تزكيتها وصلاحتها إلا من طريقهم، وعلى أيديهم، وبمحض الانقياد والتسليم لهم^(١).

٢- أنها أخلاق ثابتة، فالأخلاق في تعاليم الإسلام لا تتغير ولا تتبدل من عصر إلى آخر، فالصدق في صدر الإسلام، هو الصدق في عصرنا، هو الصدق في آخر الزمان، إلى قيام الساعة، هدفه وغايته واحدة، تحقيق الخير للناس، كما أن التلون في الأخلاق والنفاق ليس من الإسلام في شيء.

٣- أنها أخلاق إيجابية، تدفع صاحبها إلى الإصلاح والتغير والإيجابية، وليست أخلاقاً سلبية تقعد صاحبها عن الإصلاح والمشاركة في تغير السليبيات والمنكرات.

٤- أنها أخلاق شاملة لكل نواحي الحياة، وليست تخص جانباً دون جانب، أو عنصرية في التفريق بين الناس في المعاملة، فالمسلم صادق أمين مع الجميع، من المسلمين وغيرهم، في العالم

(١) مدارج السالكين ٢/٣١٥. والآية من سورة الجمعة (٢).



الإسلامي، أو في خارجه، إذ الأخلاق لا تتجزأ، ولا تتبععض، فيأخذ منها شيئاً ويترك أشياء، ويلتزم ببعضها في مكان، ويتركه في مكان آخر.

فالأخلاق تكون مع الجميع بالرغم من تقصير الطرف الآخر، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: "أد الأمانة لمن ائتمنك، ولا تحن من خانك" (١).

٥- أنها أخلاق عملية يسهل تطبيقها، فالأخلاق في الإسلام أخلاق عملية، تعالج جميع مشكلات الإنسان، في علاقته مع نفسه، ومع الآخرين، ومع ربه، فهي تقوى إرادة الإنسان وتحمله على فعل الخير، وترك الشر، ومن ثم فهي ليست أخلاقاً نظرية، مجرد دراسة بحثية في ساحة الكتب والأوراق فقط، ويصعب ترجمتها إلى أرض الواقع، بل إنها أخلاق يسهل تطبيقها على أرض الواقع، حيث طبقها المسلمون منذ صدر الإسلام حتى وقتنا الحاضر، وقد تابعت النوازل والمحن والابتلاءات بالأمة الإسلامية، ولم يمنعها ذلك من أن تتخلى عن أخلاقها الإسلامية الثابتة الراسخة.

٦- أنها أخلاق وسطية. جاءت الآيات القرآنية تؤكد وسطية الأخلاق في الإسلام، وتنظر للإنسان على أنه مخلوق مركب من العقل والشهوة، ففيه استعداد للطاعة واستعداد للمعصية، فليس الإنسان ملاكاً محضاً، وليس الإنسان شيطاناً صرفاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَفَقِيسَ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ﴾ (٢).

فالإسلام وضع قواعده الأخلاقية السامية بما يتوافق مع فطرة الإنسان وطبيعة تكوينه، فهو مخلوق مكلف فيه الجانب المادي والجانب الروحي، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي

فَفَعُوا لَهُ، سَجِدِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ (٣).

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي (١٢٦٤) وقال حديث حسن، عن أبي هريرة ؓ.

(٢) سورة الشمس الآيات (٧-١٠).

(٣) سورة ص الآية (٧٢).

وما دام خالق الإنسان هو منزل القرآن فهو أعلم بما يصلحه وما يفسده؛ لذلك وضع له منهجا أخلاقيا وسطا يلبي متطلبات الروح وحقوق الجسد معا.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك في القرآن الكريم، ما جاء في رد الاعتداء على النفس، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ١٩٤﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۗ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠﴾. (١)

فشرع الإسلام للمسلم رد الاعتداء الواقع على النفس بمثله، لأن طبيعة النفس البشرية فيها نوازع الرغبة في الانتقام، والثأر من المعتدى، طبق القاعدة المشهورة: لكل فعل رد فعل، لكن الإسلام هنا وضع ضوابط رد الاعتداء حتى لا يتجاوز الإنسان حدوده في ذلك، فقال تعالى: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۗ﴾ بلا زيادة وبدون مجاوزة في أخذ الحق، بحيث لا تتقل هذه المسألة من زاوية رد الاعتداء، إلى جانب التشفّي والانتقام.

والإسلام وهو يشرع هذه الأخلاق الوسطية العادلة رغب في التسامح والصفح عن المعتدى؛ ليرتقى الإنسان إلى مستوى أعلى في العفو والصفح، حرصا على سلامة الصدور داخل المجتمع، وطلبا لمرضاة الله ومغفرته ﷻ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٤٠﴾. (٢)

بل رغب الإسلام في الإحسان إلى المسيء، وتلك منزلة أعلى ومكانة أسمى لإزالة أسباب العداوة

(١) سورة البقرة الآية (١٩٤).

(٢) سورة الشورى الآية (٤٠).

(٣) سورة النور الآية (٢٢).

(٤) سورة الشورى الآية (٤٠).



ومحو دوافع البغضاء. قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُفِئُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَنَظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٣٤).^(١)

٧- أنها أخلاق واقعية. فالأخلاق الإسلامية أخلاق واقعية، لأنها ليست مثاليات تعجز قدرات البشر عن تحملها، وتستعلي على طاقتهم، بل هي في الطاقة المتوسطة المقدورة لجميع الناس وأحاديثهم، فراغت الضعف البشري، والدوافع الإنسانية، فتتعامل مع البشر على أنهم بشر، لا على أنهم ملائكة معصومون من الخطأ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (٣٨١).^(٢) وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَتَنَهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (٧).^(٣) فالتكليف لا يتوجه للإنسان إلا في حدود وسائله، وفيه إمكانية التحمل، ولا يستنفذ قوى الإنسان وطاقته.

وتتجلى الواقعية للأخلاق في الإسلام فيما يلي:-

١- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام ارتباطها بالعقيدة، والعبادة، فشعائر الإسلام وعباداته تهذب النفس، وتسموا بالإنسان إلى مراتب الكمال البشري؛ وتورثه الأخلاق الفاضلة، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ (٤٥).^(٤) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (١٠٣).^(٥)

(١) سورة آل عمران الآية (١٣٤).

(٢) سورة البقرة الآية (٢٨٦).

(٣) سورة الطلاق الآية (٧).

(٤) سورة العنكبوت الآية (٤٥).

(٥) سورة التوبة الآية (١٠٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ حَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ۗ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ ۝^(١).

٢- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنها تتكون عن طريق التربية، فالإنسان يولد وعنده استعداد للخير والشر، فليس ملاكا ولا شيطانا، ومن ثم دعاه القرآن الكريم إلى مجاهدة النفس وإصلاحها، فهي في وسعها وميسورها، قابلة للارتقاء والصعود والتزكية، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴿١٠﴾ ۝^(٢).
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ ۝^(٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ ۝^(٤).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ۝^(٥).

٣- أن القرآن الكريم حين يتحدث عن الأخلاق الفاضلة أو السيئة، لا يتحدث عنها حديثا مجردا، وإنما يجسدها في شخص، أو يحركها في قصة مؤثرة، تترك أثرها الإيجابي في نفوس الناس، ومبينا أثرها العملي في حياة الناس.

فمثلا حين يتحدث عن السطو على البيوت في غير أوقات الزيارة، وبدون استئذان، يذكر قصة واقعية حدثت بالفعل، بيد أنه لا يسمى أشخاصا حتى لا يهزأ بهم أحد، وإنما يركز على

(١) سورة البقرة الآية (١٩٧).

(٢) سورة الشمس الآيات (٧-١٠).

(٣) سورة النازعات الآيتان (٤٠-٤١).

(٤) سورة الأعلى الآية (١٤).

(٥) سورة التحريم الآية (٦).



الدرس والعبرة منها، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالِكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلنَّقْوَى لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾^(١).

وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَيْهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَارجِعُوا هُوَ أَزكى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾^(٢).

٤- القرآن الكريم يربط المسلم بالصادقين لا بالصدق المجرد، فهو يعول على القدوة العملية

قبل الدروس النظرية، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾^(٣). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٢٣﴾﴾^(٤). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾^(٥).

٥- الأخلاق في الإسلام تدعو إلى المحبة، ولكنها لا تهمل الكره، فهي تدعو إلى محبة

المسلمين وبغض الكافرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي

(١) سورة الحجرات الآيات (٢-٥).

(٢) سورة النور الآيات (٢٧-٢٨).

(٣) سورة التوبة الآية (١١٩).

(٤) سورة الزمر الآية (٣٣).

(٥) سورة الأحزاب الآية (٢١).

التَّوْبَةَ وَمَثَلُهُ فِي الْإِنجِيلِ كَرْبِ أَخْرَجَ شَطْرَهُ فَفَارَزَهُ فَاَسْتَعْلَظَ فَاَسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوْقِهِ يُعْجِبُ الزَّرْعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ ﴿١﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكٰفِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴿٢﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاَعْلَظْ عَلَيْهِمْ وَمَا وَنَهُمْ جَهَنَّمَ وَبَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١﴾ ﴿٣﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَجْهٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ﴿٤﴾.

٦- الإنسان يسعى للكمال ولا يبلغ الكمال المطلق، فلم يفرض الإسلام على أهل التقوى أن يكونوا براء من كل عيب، أو تخلو حياتهم من كل خطأ، فقد وصف الله تعالى المتقين، وجعل من بينهم من يقع في الإثم والصغائر، قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴿٥﴾. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَحْتَبُونَ كِبْرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا إِلَىٰ اللّٰمِ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ ﴿٣٢﴾ ﴿٦﴾.

(١) سورة الفتح الآية (٢٩).

(٢) سورة المائدة الآية (٥٤).

(٣) سورة التحريم الآية (٩).

(٤) سورة النور الآية (٢).

(٥) سورة آل عمران الآية (١٣٣).

(٦) سورة النجم الآية (٣٢).



وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبْتُغُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٩﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٧٠﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ﴿٧١﴾ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٢﴾ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يُخْرِجُوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعِمْيَانًا ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا فُرَةَ آعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٦﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٨﴾ ﴿١﴾.

٧- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنها تفرق بين الكبائر والصغائر، وبين المجاهرة بالمعصية والتستر عليها، كما أنها تستثنى حالة الإكراه والفتنة للوقوع في المعصية، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ جَحْتَنِبُوا كَبَابَرٍ مَا نُتَهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٣١).
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ (٣٢). ﴿٣﴾.

(١) سورة الفرقان الآيات (٦٣-٧٦).

(٢) سورة النساء الآية (٣١).

(٣) سورة النجم الآية (٣٢).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (١٤٨).
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ
 وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١١٦).
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ
 اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَكْفُؤا مِنْهُمْ تَقْوَةً ۗ وَيَحذِرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ (٢٨).

٨- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنها راعت الظروف الاستثنائية لفترة مؤقتة، ولظروف خاصة خروجاً من الأصل والقاعدة، فحرم الإسلام الكذب لكنه رخص فيه في أمور استثنائية عارضة، مثل الكذب على الأعداء لتضليلهم عن الحقيقة، والصلح بين الزوجين والمتخاصمين، ففي الحديث قال ﷺ: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فيقول خيراً أو ينمي خيراً"^(١).

وكذلك حرم الإسلام الإفساد في الأرض، وهدم المباني، إلا أنه أجاز ذلك في أثناء الحرب مع الأعداء، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيْحَرْبِ
 الْفَاسِقِينَ﴾ (٥).^(٢)

٩- ومن واقعية الأخلاق في القرآن الكريم أنه جعل كل إنسان مرتبطاً بعمله، فلم يجعله وزر غيره، ولم يورثه خطيئة آدم، فتظل تلاحقه وتطارده حتى الموت، قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
 رَهِيْنَةٌ﴾ (٣٨).^(٣) وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَأَتْمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۗ وَمَنْ ضَلَّ فَاْتَمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نُزْرُ وَاِزْرَةٌ

(١) سورة النساء الآية (١٤٨).

(٢) سورة النحل الآية (١٠٦).

(٣) سورة آل عمران الآية (٢٨).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري (٢٦٩٢). عن أم كلثوم بنت عقبة ؓ.

(٥) سورة الحشر الآية (٥).

(٦) سورة المدثر الآية (٣٨).



وَزَّرَ أُخْرَىٰ ۖ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ۖ وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَقَىٰ ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (١).

١٠- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنها راعت التفاوت الفطري بين الناس، فالناس جميعا ليسوا في درجة واحدة، ولا في مستوى واحد، من حيث الالتزام بمبادئ الإسلام وتعاليمه، وهذا يناسب مراتب الإسلام فهناك الإسلام والإيمان والإحسان، وكل مرتبة لها أهلها من الناس، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِ ابْتَدَأَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ (٢).

فبالرغم من تفاوت المراتب إلا أن القرآن قرر بأنهم جميعا من المصطفين، ومن أهل الجنة.

١١- ومن واقعية الأخلاق في الإسلام أنه شرع للإنسان أن يرد العدوان بالدفاع عن نفسه، ويقابل السيئة بمثله، بلا جور ولا عدوان، (وتلك مرتبة العدل) لكن الإسلام حث المسلم عن العفو والصفح عن المسيء، ابتغاء مرضاة الله، على أن يكون ذلك رغبة منه، لا فرضا عليه (وتلك مرتبة الفضل) قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَحَزْرًا سَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ (٣). وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ۖ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ (٤).

(١) سورة الإسراء الآية (١٥).

(٢) سورة البقرة الآية (٣٧).

(٣) سورة فاطر الآيتان (٣٢-٣٣).

(٤) سورة الشورى الآيتان (٤٠-٤١).

(٥) سورة النحل الآية (٢٦١).

١٢- ويتلخص القول في أن الأخلاق الإسلامية أخلاق تتلاءم وتناسق مع واقع الإنسان، في أي مرحلة من مراحل حياته، لأنها تراعى جوانب ضعفه وقصوره، وظروفه الطارئة، وأحواله العارضة، ولا تنظر إليه على أنه ملك معصوم، بل على أنه كائن طيني، جبل على الضعف والنسيان، والجدل والتقتير، والكنود والهلع والجحود، وما إلى ذلك من أوصاف لازمة، لا ينفك عنها بحال من الأحوال.

١٣- كما تتجلى الواقعية في ارتباط الأخلاق بالعقيدة، وفي تكوينها عن طريق التربية، وتقسيمها إلى صغائر هينة وكبائر خطيرة، فوق أنها لا تهمل رغبة الإنسان في الثأر والانتقام من الظالمين المعتدين، ولا تلزم الإنسان أن يعفو ويصفح، بل ترغبه وتحثه، وتعرض أمامه العطاء الجليل لمن فعل ذلك، وإذا نهته عن فعل شيء في وقت، فإنه تبيحه له في وقت الضرورة والاضطرار.

١٤- وتبدو الواقعية أروع ما تكون في أمرها الإنسان بالعدل بين الناس، مؤمنهم وكافرهم، دون نظر إلى أديانهم ومعتقداتهم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَإِذَا حَكَّمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ٥٨﴾. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنَ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ١٠٥﴾.

فنسال الله ﷻ أن يرزقنا الإيـان الصادق، ويثبتنا على العقيدة السليمة،

والعبادة الصحيحة، والمعاملات الإسلامية الحلال،

والاخلاق الفاضلة، التي تنفعنا في الدنيا والآخرة.



(١) سورة النساء الآية (٥٨).

(٢) سورة النساء الآية (١٠٥).

الخاتمة.

بسم الله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد....

فهذه الدراسة حول موضوع، الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول، بين المسلمين وغيرهم، تبين منه أنه موضوع في غاية الأهمية، حيث إن الدعوة في عصرنا تعيش في عصر- مدّ وجذر تنتشر وتمتد بتعاليم الإسلام نفسه، وتنحسر- بأعمال بعض المسلمين وسلبياتهم، وهذا يتطلب فهم الرسالة جيدا، وبيان دورنا وواجبنا نحوها، وكيف نقوم بواجب التبليغ على أحسن وجه، وأفضل صورة.

وينبغي أن يطرح موضوع الدعوة والدعاة للدراسة والمناقشة بين الدعاة، من أجل النظر في مستقبل الإسلام داخل أرضه وخارجها، حيث يتطلب التنسيق بين الجهات العاملة في ميدان الدعوة الإسلامية، لتوظيف طاقات الدعاة في موضعها، والتركيز على تعليم المهويين منهم اللغات الأجنبية، وإيفادهم إلى الغرب لنشر الدعوة الإسلامية، حيث حاجة هؤلاء المدعوين إليهم أشد من غيرهم.

ويستحب للدعاة الجدد دراسة البيئة الجديدة الموفدين إليها، من حيث نوع المدعوين، وتاريخهم، وثقافتهم، والفكر المسيطر على عقولهم، وموقفهم من الإسلام والمسلمين، بحيث توفر هذه المعلومات استخدام الوسائل والأساليب التي تتناسب مع طبيعة المدعوين.

وإذا كان هناك بعض المسلمين الذين هاجروا إلى الغرب منذ عدة عقود طويلة، فيجب عليهم أن يحافظوا على أنفسهم وأولادهم من الذوبان أولا، وأن يقوموا بواجب الدعوة نحو

المجتمع الذى يعيشون فيه ثانيا، على قدر الوسع والمعرفة، حتى يبلغوا الرسالة، ويعذروا أنفسهم أمام الله يوم القيامة، حيث إن تبليغ الرسالة مسؤولية الجميع.

إن العالم الآن تتداخل فيه المواطنة، فهناك ملايين من غير المسلمين تعيش في بلاد المسلمين، والعكس، ولا يمكن فصل هؤلاء أو هؤلاء عن المجتمع الذى يعيشون فيه، وهذا يتطلب من المسلمين القيام بواجب الدعوة بين من يعيشون معهم سواء كانوا في الشرق أو الغرب.

وينبغي على القائمين على أمور المسلمين في كل مكان، استشعار المسؤولية المنوطة بهم، في إعداد جيل مسلم يتحمل مسؤولية الدفاع عن الإسلام.



التوصيات.

لقد أسفرت هذه الدراسة عن عدة توصيات يمكن إجمالها في ما يأتي:

١- أهمية إعداد الدعاة الأقوياء إيماناً وأخلاقياً وثقافياً ومهارياً، وعمل دورات مستمرة لرفع مستواهم في الممارسة والتطبيق، وتأهيلهم للقيام بدورهم المنشود، الذي تقف الأمة كلها من ورائهم، ألا وهو نشر رسالة الإسلام، والتوحيد الخالص، في الداخل والخارج.

٢- تركيز الدعاة في الدعوة مع المدعوين على تعريفهم بالإسلام معرفة صحيحة، من خلال دراسته بالتفصيل، وتربية نفوسهم على حب تعاليمه، وأداء واجباته، فلا يكفي التعريف والتثقيف والفهم، وإنما لابد من الممارسة والتطبيق مع الحب، ويبدأ في ذلك بالعتيدة الصحيحة، وتخليصها من الشبهات والانحرافات، والتأويلات الباطلة، فتستمد العتيدة من منابعها الصافية، القرآن الكريم والسنة النبوية، بفهم السلف الصالح.

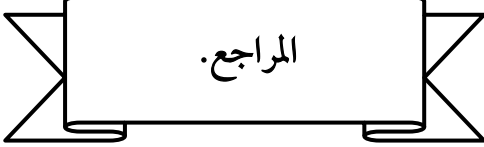
٣- عدم التعجل في جني الثمرة في ميدان الدعوة، فبناء جيل من المسلمين يحتاج إلى وقت طويل، وتفكير عميق، وصبر ومصابرة، وحكمة وبصيرة، وعمق التأثير، وطول النفس، وهذا يحتاج إلى دراسة السنن الإلهية، في الأمم والمجتمعات والأفراد، وأسباب قيام الحضارات، وعوامل انهيارها.

٤- استثمار الطاقات المعطلة في الأمة الإسلامية، فعوامل السلامة والقوة لازالت حاضرة فيها، لكنها في حاجة إلى من يوظفها، ويضعها في موضعها، ويفجر طاقاتها، وينمي ملكاتها، ويستثمر ثرواتها، ويوجهها نحو البناء والمستقبل، الذي هو حلم الأمة ورسالتها السامية في تحقيق هدفها من الحياة.

٥- تبصير المسلمين من الخواص والعوام، بما يكاد للإسلام والمسلمين من مخططات غربية، تهدف بتعليم الإسلام للمسلمين، كما يريد الغرب، لا كما ورد عن ربِّكَ وقد وضعوا في ذلك مخططات طويلة المدى، تصل لقرن من الزمن، أنفقوا عليها المليارات، وأقاموا المؤتمرات، وحشدوا لها الطاقات، ويسعون لتطبيقها بأساليب مباشرة وغير مباشرة، وقد ظهرت تصريحات بعض قادتهم بذلك، فلا بد من تذكير المسلمين وتوعيتهم بهذه المخططات؛ حتى لا يكونوا فريسة لها في غفلة من الأحداث، وانشغالهم بلقمة العيش، وكماليات الحياة، دون النظرة البصيرة للمستقبل القريب والبعيد.

والحمد لله أولاً وآخراً الذي بنعمته تتم الصالحات.





المراجع.

القرآن الكريم.

كتب السنة.

١. إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء الشيخ، محمد الخضر حسين، ط، دار المعرفة بيروت لبنان ط الثانية ١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.
٢. الاستيعاب في حياة الداعية، أ، فتحي يكن ط، مؤسسة الرسالة الأولى سنة ١٤٠٣ سنة ١٩٨٣م.
٣. الاعتصام للشاطبي، ط، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط، الثالثة سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.
٤. تذكرة الدعاة، للشيخ البهي الخولي، ط، دار الدعوة القاهرة.
٥. تفسير ابن كثير، ط، دار القلم، بيروت لبنان الثانية.
٦. تفسير التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر.
٧. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت لبنان.
٨. الخطابة قواعد وأصول د، أحمد عبد الهادي شاهين، ط، الأولى ط، المكتبة الأزهرية بشبين الكوم سنة ٢٠٠٠م.
٩. الدعوة إلى الإسلام د، أبو بكر ذكرى ط، دار المعرفة مصر، بدون تاريخ.
١٠. الرحيق المختوم، للشيخ صفى الرحمن المباركفوري. ط، جمعية إحياء التراث الإسلامي سنة ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
١١. الرسول المعلم وأساليبه في التعليم، الشيخ، عبد الفتاح أبو غدة ط، دار البشائر الإسلامية، بيروت لبنان ط، الثالثة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
١٢. الفتاوى الكبرى لابن تيمية، ط، الأولى مطابع الريان.
١٣. لسان العرب، لابن منظور، ط، بيروت لبنان، بدون تاريخ. و دار إحياء التراث العربي ط، الثالثة.
١٤. المحلى، لابن حزم الظاهري، دار الفكر بيروت لبنان.

١٥. المعجم المفهرس، محمد فواد عبد الباقي، ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الرابعة ١٤١٤.
١٦. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، ط، الثالثة، سنة ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م.
١٧. المغنى، لابن قدامة، ط، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة.
١٨. من القرآن إلى القرآن للشيخ، محمد الصواف ط، مؤسسة الرسالة بيروت ط، الأولى سنة ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨ م.
١٩. منهج التربية الإسلامية أ، محمد قطب، ط، دار الشروق القاهرة.
٢٠. هداية المرشدين، للشيخ، على محفوظ ط، دار الاعتصام ط، التاسعة ١٩٧٩ م.
٢١. إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، ط، عالم الكتب.
٢٢. الأركان الأربعة للعلامة أبي الحسن الندوي، ط، دار القلم الكويت، سنة ١٩٨٤ م.
٢٣. الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية أ، فتحي يكن ط، مؤسسة الرسالة الأولى سنة ١٩٨٣ م.
٢٤. أسس الدعوة وآداب الدعاة للدكتور السيد محمد الوكيل.
٢٥. الإسلام والحضارة الغربية، د، محمد محمد حسين، ط، مؤسسة الرسالة بيروت.
٢٦. التفسير الكبير للرازي ط، بيروت دار احياء التراث العربي ط، الثالثة.
٢٧. ثقافة الداعية للدكتور، يوسف عبد الله ط، مكتبة وهبة التاسعة ١٩٩١ م.
٢٨. الخصائص العامة للإسلام د، يوسف عبد الله، مكتبة وهبة ط، الرابعة سنة ١٩٨٩ م.
٢٩. الدعوة الإسلامية أصولها ورسائلها، وأساليبها في القرآن الكريم د، أحمد غلوش ط، مؤسسة الرسالة الثالثة ٢٠١١ م.
٣٠. الدعوة إلى الله خصائصها ومفهومها د، أبو المجد السيد نوفل.
٣١. الدعوة والإنسان د، عبد الله يوسف الشاذلي.
٣٢. فقه الدعوة الإسلامية عبدالرحمن حنكة الميداني،
٣٣. الفوائد لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ - ١٩٧٣ م.



٣٤. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط، مصطفى الباي الحلبي ط، الثانية سنة

١٣٧١هـ، ١٩٥٢م.

٣٥. كيف نبلي الدعوة الإسلامية إلى الامم الأجنبية، د جمعة الخولي.

٣٦. كيف ندعو الناس، عبد البديع صقر، ط، مكتبه وهبة ط، العاشرة ١٩٩٠م.

٣٧. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي عنى بترتبه محمود خاطر ط، دار

الحديث.

٣٨. المدخل إلى القرآن الكريم د، محمد عبد الله دراز، ط، دار القلم الكويت ١٩٩٣م.

٣٩. المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، ط، المكتبة العلمية بيروت لبنان

٤٠. مع الله دراسات في الدعوة والدعاة الشيخ، محمد الغزالي دار الكتب الحديثة القاهرة ط،

الرابعة ١٣٩٦-١٩٧٦.

٤١. معالم المنهج الإسلامي، د، محمد عمارة، سلسلة المنهجية الإسلامية، رقم (٣) المعهد العالمي

للفكر الإسلامي، دار الأمان الرباط المغرب، ط، الثالثة، سنة ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٢. مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٤٣. مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني دار القلم دمشق ط، الثالثة ١٤٢٣هـ.

٤٤. مقدمة ابن خلدون، دار القلم بيروت ط، الخامسة ١٩٨٤م.

٤٥. مكارم الأخلاق الإمام برهان الدين النسفي تحقيق محمد بن عبد الله أحمد أبو الفضل العدوي

ط، الأولى المكتبة العلمية بيروت لبنان سنة ٢٠١١م.

٤٦. الموسوعة العلمية في الأديان والمذاهب والفلسفات صادرة عن رابطة العالم الإسلامي بمكة

المكرمة.

٤٧. نظرات في القرآن للشيخ محمد الغزالي، دار الكتب الإسلامية ط، السادسة ١٩٨٦م.



السيرة الذاتية الخاصة بالدكتور/ أحمد عبد الهادي شاهين.

المؤهلات:



(١) ليسانس أصول الدين والدعوة من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنصورة سنة ١٩٨٩م قسم الدعوة والثقافة الإسلامية بتقدير (جيد جدا مع مرتبة الشرف).

(٢) ماجستير في الدعوة والثقافة الإسلامية من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٥م بعنوان (مشكلات الشباب النفسية والاجتماعية وعلاج الإسلام لها) بتقدير (ممتاز).

(٣) الدكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان. من جامعة الأزهر كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية سنة ١٩٩٩م بعنوان (خصائص الدعوة في العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم دراسة مقارنة) بتقدير (مرتبة الشرف الثانية).

الوظائف السابقة:

١. عمل إماما وخطيبا بوزارة الأوقاف المصرية من ١/٣/١٩٩٠م. حتى ٢٠/٢/١٩٩٣م.
٢. عمل معيدا بجامعة الأزهر في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢١/٢/١٩٩٣م. حتى ٢٥/١٢/١٩٩٥م.
٣. عمل مدرسا مساعدا في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية في ٢٦/١٢/١٩٩٥م. حتى ٤/٥/١٩٩٩م.
٤. عمل مدرسا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٥/٥/١٩٩٩م. حتى ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م.
٥. عمل أستاذا مساعدا بقسم الدعوة في كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية من ٣٠ يونيو ٢٠٠٣م. حتى ١ يوليو ٢٠٠٤م.
٦. عمل أستاذا مشاركا في الجامعة الإسلامية بأمريكا متشجنا دوترويد من ١ يوليو ٢٠٠٤م. حتى ٣٠ يونيو ٢٠١١م.
٧. عمل أستاذا للدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة طيبة. بالمدينة المنورة. المعهد العالي للأئمة والخطباء. من ١ يوليو ٢٠١١م.



٨. الوظيفة الحالية: أستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان في جامعة الأزهر.

التخصص الدقيق: (الدعوة والثقافة الإسلامية ومقارنة الأديان).

المواد التي يقوم بتدريسها: / الدعوة / الخطابة / الثقافة الإسلامية / تاريخ الخلفاء / إسلام في المشرق / الفرق / فقه السيرة النبوية / الاستشراق / التنصير / مقارنة الأديان / اليهودية / النصرانية / مناهج الدعوة / آيات الله الإنسانية / آيات الله الكونية / قضايا معاصرة / خلق المسلم / رسالة المسجد / حقوق الإنسان في الإسلام.

بها أعمال أخرى:

(١) انتدب للتدريس في كلية الدراسات الإسلامية للبنات بالإسكندرية، ومعهد الثقافة بوزارة الأوقاف، ومعاهد إعداد الدعاة بالجمعية الشرعية بالقاهرة والأقاليم.

(٢) يقوم بالخطابة والدروس والمحاضرات في مساجد الأوقاف بجمهورية مصر العربية، ومساجد الجمعية الشرعية منذ عام ١٩٨٩م حتى الآن.

(٣) سافر إلى دول أوروبا وأمريكا لإلقاء خطب الجمعة والمحاضرات والدروس الرمضانية، وحضور المؤتمرات، والندوات العلمية.

(٤) له العديد من المقالات في مجلة التبيان المصرية. وجريدة الأهرام القاهرية. وجريدة عقيدتي. والأحاديث الإذاعية بإذاعة القرآن الكريم، ونداء الإسلام من مكة المكرمة. يجيد الحديث باللغة الإنجليزية، واستخدام الحاسب الألى.

تاريخ الميلاد: ٢٧ / ٢ / ١٩٦٧م.

الحالة الاجتماعية: متزوج وله أربعة من الأولاد.

عنوان السكن في مصر: محافظة الدقهلية - مدينة أجا - خلف الإدارة الزراعية.

عنوان العمل في مصر: كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ت / ٣١٦٨٩١ / ٢ / ٠٤٨.

البريد الإلكتروني: drahmed1967@yahoo.com



المؤلفات الخاصة بالدكتور/أحمد عبد الهادي شاهين.

سلسلة كتب في الدعوة والخطابة:

١. الدعوة إلى الإسلام قواعد وأصول.
٢. وسائل الدعوة وأساليبها في ضوء القرآن والسنة والواقع.
٣. القواعد المنهجية للدعوة عند السلف.
٤. السيدة عائشة رضي الله عنها وجهودها في الدعوة الإسلامية.
٥. الدعوة الإسلامية في أمريكا (رؤية من الداخل).
٦. الخطابة قواعد وأصول.
٧. المساجد بين الاتباع والابتداع.
٨. في ظلال خلق المسلم. الجزء الأول.
٩. في ظلال خلق المسلم. الجزء الثاني.
١٠. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الثالث.
١١. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الرابع.
١٢. في ظلال خطب الجمعة. الجزء الخامس.
١٣. في ظلال خطب الجمعة. الجزء السادس.
١٤. واحة الإمام في إرشاد الأنام. ١٠٠ خطبة مترجمة إلى اللغة الإنجليزية.
١٥. الوحدة الإسلامية فريضة وضرورة.
١٦. قطوف من الأدب والحكمة.



سلسلة كتب مشكلات الشباب:

١٧. مشكلة الانحراف الجنسي عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.
١٨. مشكلة الإدمان والتدخين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.
١٩. مشكلة الغلو في الدين عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.
٢٠. مشكلة القلق عند الشباب وكيف عالجها الإسلام؟.



سلسلة كتب مقارنة الأديان.

٢١. اليهودية في ضوء العهد القديم وموقف القرآن الكريم منها.
٢٢. النصرانية في ضوء العهد الجديد وموقف القرآن الكريم منها.
٢٣. خصائص الدعوة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم والسنة.
٢٤. المسيح عليه السلام بين النصرانية والإسلام (دراسة مقارنة).
٢٥. التنصير وخطره على العالم الإسلامي.
٢٦. دور القساوسة التبشيري في الحروب الصليبية.
٢٧. الاستشراق في ميزان الإسلام.
٢٨. العلمانية وخطرها على المجتمعات المسلمة.
٢٩. الحوار بين الأديان. (تعايش لا ذوبان).
٣٠. تحقيق مخطوط (الأدلة العقلية على أشرفية الشريعة المحمدية).
لإبراهيم بن محمد الراوي العراقي.



الفهرس.

٣	مقدمة.
٨	المبحث الأول: مدخل إلى علم الدعوة.
١٠	١- التعريف بالدعوة لغة واصطلاحا.
١٩	- التعريف بالإسلام والقواعد والأصول.
٢٢	٢- أهداف الدعوة بين المسلمين وغيرهم.
٢٧	- أهمية الدعوة إلى الإسلام.
٣٠	٣- حاجة الناس إلى الدعوة.
٣٧	٤- حكم تبليغ الدعوة.
٥٥	٥- حكم من لم تبلغه الدعوة.
٦٠	٦- فضل الدعاة.
٦٧	٧- خصائص الدعوة الإسلامية.
٩٠	المبحث الثاني: إعداد الداعية وأثره في المدعوين.
٩١	مقدمة.
٩٩	١- إعداد الداعية إيمانيا.
١٠٧	٢- إعداد الداعية أخلاقيا.
١٢٩	٣- إعداد الداعية علميا.
١٥٧	٤- إعداد الداعية مهاريا.
١٦٤	٥- محاذير للداعية في طريق الدعوة.
١٦٩	المبحث الثالث: أصناف المدعوين وطرق التعامل معهم.
١٧٤	١- أهل الكتاب (اليهود والنصارى).

١٧٩	٢- المشركون والوثنيون.
١٨٢	٣- الجاحدون أو الملحدون (الشيوعيون).
١٨٤	٤- المنافقون.
١٩٧	٥- الملأ.
٢٠٥	٦- عوام الناس.
٢٠٧	٧- المسلمون العصاة.
٢١١	٨- المسلمون الطائعون.
٢١٤	- ملامح عامة حول منهج القرآن الكريم في الدعوة.
٢٢٨	المبحث الرابع: مادة الدعوة.
٢٢٨	مقدمة.
٢٣٢	١- العقيدة.
٢٥٥	٢- العبادة.
٢٨١	٣- المعاملات.
٢٨٢	٤- الأخلاق.
٣٠٠	الخاتمة.
٣٠٢	التوصيات.
٣٠٤	المراجع.
٣٠٧	السيرة الذاتية.
٣٠٩	المؤلفات والكتب.
٣١٢-٣١١	الفهرس.

